جامعة نايف العربية
للعلوم الامنية

الحروب والكوارث واثارها على اوضاع الطفل العربي

الرياض

الطبعة الأولى

1409 هـ

المكتبة الأمنية

الحروب والكوارث وآثارها على أوضاع الطفل العربي

دار النشر
بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب
بالرياض

أبحاث الندوة العلمية الرابعة الخاصة والتي عقدت في مدينة تونس
في الفترة من ٢٣ ٢٥ صفر ١٤٠٧هـ الموافق (٢٧ ٢٩ أكتوبر ١٩٨٦م)

الحروب والكوارث
وآثارها
على أوضاع الطفل العربي

المكتبة الأمنية

دار النشر
بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب
بالرياض

١٤٠٩هـ

أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية
المكتبة الأمنية
رقم العام: ٢٦٣٩١
التصنيف:

حقوق النشر محفوظة للناشر

دار النشر
بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب
بالرياض

الرياض

١٤٠٩هـ [الموافق ١٩٨٩م]

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويـــات

التقديم بقلم الدكتور فاروق عبدالرحمن مراد ١١

أثر الكوارث على الطفل من واقع التجربة اليمنية
الدكتور محمد سعيد فرح ١٣

الحرب وآثارها على الأطفال والناشئة في لبنان.
الدكتور مصطفى حجازي ٥١

الأطفال العرب تحت الاحتلال «الضفة وقطاع غزة»
الدكتور عدنان عبدالرحيم ٨٩

الحرب والأطفال في لبنان
الدكتور عدنان عبدالرحيم ١١٧

أثر الحرب العراقية ـ الايرانية على أوضاع الأطفال
نزيهة محيي الدين الأعرجي ١٤٥

أثر التصحر والجفاف على الطفل السوداني
خلف الله اسماعيل ١٧١

التقديـــــم

من منطلق أهمية التجارب التي تمر بالطفل في تشكيل سلوكه وعلاقاته ونظرته العامة للأمور ظهر الحرص على دراسة مرحلة الطفولة واتصالها بالتجربة العامة بالصغير

ونرتكز في نظرتنا لأهمية العلاقة مابين مرحلة الطفولة والتجارب المحيطة بها على المفهوم الاسلامي الواضح في خطورة سنى الطفولة س حيث الطابع الذي تتركه على سلوك الانسان وعلاقاته ونظرته العامة للحياة.

تشمل التجربة الانسانية في الظروف العادية المحيط الأسري والمستوى الاقتصادي والاجتماعي العام وفرص النمو الفكري والخلقي ووضوح القيم.

أما في الظروف غير العادية فتشمل التجربة الأوضاع الناجمة عن الحروب والاحتلال الأجنبي والكوارث الطبيعية كالفيضانات والزلازل، ولقد تعرض الأطفال في المجتمع العربي في أكثر س مكان في هذا العقد الى العديد من التجارب المرتبطة بظروف غير عادية مثل الحروب والزلازل والفيضانات والاحتلال الأجنبي والجفاف.

أما عامل الاحتلال الأجنبي والحرب فقد ظل أثره مزمنا على مدى سنين طويلة، وفي اعتقادي أن هذه السنين الطوال تجعل أثر التجربة على الطفل في الوطن العربي خطيرة فطفل اليوم هو رجل أو امرأة الغد وسيظهر على سلوكه وفي علاقاته الاجتماعية والانسانية تأثير تجربة المعاناة التي تعرض لها ولفترة طويلة، وسيصبغ ذلك كله

طابع الحياة الاجتماعية في أجزاء مختلفة من العالم العربي، الأمر الذي له انعكاساته ودلالاته على الأمن العام واستقرار المجتمعات

غير أنه وفي إطار وضع الرؤية وبلورة نتائج البحث العلمي يمكن بقدر أو بآخر التدخل بما يكفل إعادة الاختلال المتوقع في التنظيم الاجتماعي والنظرة العامة للحياة في أجزاء من مجتمعنا العربي في المستقبل.

كما أنني أبادر الى القول بأن ما أزعم أنه ممكن ليس بالضرورة بالأمر الهين مما يجعل المسألة أكثر خطراً والحاحاً

والمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض بنشره مجموعة الدراسات التي يشتمل عليها هذا الكتاب يطرح وبقوة المسألة على الصعيد الفكري العربي ويدق أجراس الخطر على المستوى التطبيقي للاهتمام على مستوى عربي شامل بأثر الحروب والكوارث على الطفل.

فاروق عبدالرحمن سراد

أثر الكوارث والزلازل على تربية الطفل من واقع التجربة اليمنية

الدكتور محمد سعيد فرح(*)

في تمام الساعة ١٢,١٥ من ظهيرة يوم الاثنين ١٣ ديسمبر ١٩٨٢م حدثت هزة أرضية شديدة في محافظة ذمار(١) بالجمهورية العربية اليمنية، وقد استمرت هذه الهزة فترة ٤٠ ثانية، وكانت شدتها ٥,٨ بمقياس/ريختر، كما سجلت المئات من الهزات التالية للحدث خلال ٤٦ يوماً بعد الهزة الرئيسية، وقد أحدثت هذه الهزة الرئيسية دماراً شديداً في محافظة ذمار

(*) كلية الآداب. جامعة طنطا. جمهورية مصر العربية.

١ ـ محافظة ذمار التي كانت محور الزلزال، تبلغ مساحتها ٨,٨٧٠ كم٢ وتحتل المرتبة السادسة من حيث عدد السكان بين محافظات الجمهورية، ويبلغ عدد سكانها ٧٩٤,٢١٢ نسمة، ويقطن ٩٥٪ من أهلها الريف، بينما يعيش ٥٪ في الحضر، وتبلغ نسبة سكان ذمار ٩٪ من مجموع سكان الجمهورية، واذا كانت الاصابات قد وقعت كلها في الريف فذلك يرجع الى أن الطابع القروي هو المسيطر وأن له الغلبة على الطابع الحضري، فالريف اليمني يضم ٨٩٪ من مجموع سكان الجمهورية، يعيشون في ٥٢,٦٨٣ قرية صغيرة، وتتكون هذه القرى من مساحات صغيرة متجمعة يكون كل عدد منها وحدة اجتماعية، وهذا العدد الكبير من القرى ظاهرة طبيعية في بلاد كاليمن التي تمزق الأودية كل جزء من أجزائها، وهذه التجمعات البشرية المشتتة سبب أساسي من أسباب تخلف المجتمع اليمني واعاقة جهود التنمية

ولم يكن هذا الزلزال حدثاً طارئاً في اليمن فتاريخ الزلازل في اليمن يبين أن حدوث الزلازل أمر دوري* فكل المناطق في اليمن معرضة للزلازل: فالتكوين الجيولوجي للأرض اليمنية يكشف أن أصلها بركاني، وأن مجموعاتها الجبلية تتخللها أودية ضيقة كثيرة التعرج والالتواء، فتضاريس اليمن عبارة عن هضبة شاسعة قوامها مقذوفات بركانية تفرشها صخور بركانية مكونة في الغالب من البازلت تكونت هذه الصخور من براكين قديمة، أصيبت بها البلاد في الزمن الجيولوجي الثالث (بركانيات اليمن) الى جانب صخور بركانية بلورية[1] حدثت في الزمن الجيولوجي الرابع (البراكين الرباعية).

واذا كان جيل الصغار يجهل آثار الزلازل والبراكين في اليمن، فإن جيل الكبار والشيوخ يتذكر الزلزال الذي حدث عام ١٩٧٣م في صعده والزلزال الذي حدث في الحديدة* في أواخر الخمسينيات ويروي الشيوخ ذكرياتهم عن زلزالين كبيرين أولهما منذ أكثر من ثلاثين عاماً والآخر حدث منذ سبعين عاماً. واذا تناسى الناس تاريخ الزلازل الحديثة والمعاصرة التي أصيبت بها اليمن فان أول انهيار حدث لسد مأرب عام ٧٤٢م، وقع بسبب هزة أرضية

---

* أنظر الخريطة التي توضح أحداث الزلازل في الجمهورية العربية اليمنية

١ - محمد سعيد فرح. زلزال ذمار الواقع الأليم والدرس المستفاد. مجلة معين. مؤسسة سبأ العدد ٣٨ صنعاء ١/١/١٩٨٣م.

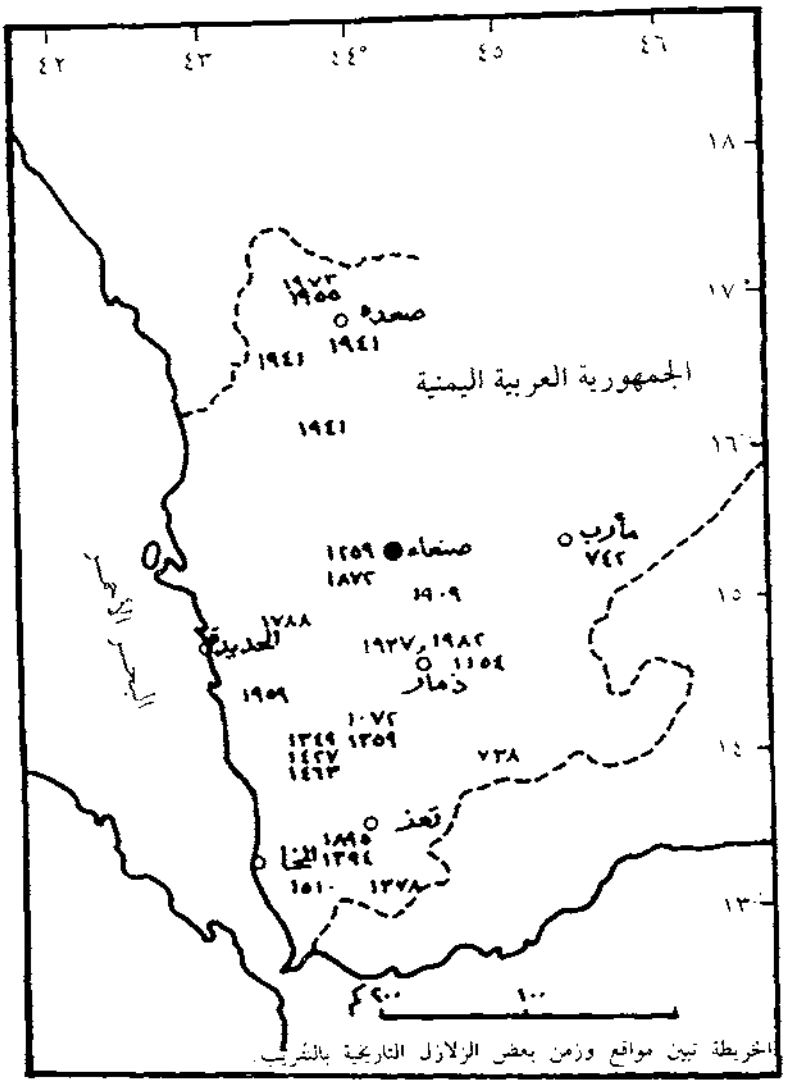

خريطة توضح بعض أحداث الزلازل
في الجمهورية العربية اليمنية

١٥

وقد خلف هذا الانهيار وراءه خسائر مادية وآثاراً اجتماعية واقتصادية جسيمة أدت باليمن الى عصور التدهور، وسنوات عجاف طال أمدها بعد عصور ازدهار حضارة[1]

وقبل أن نتقدم ونعرض للآثار الاجتماعية لزلزال ذمار على الأطفال خاصة، علينا أن نطرح السؤال الآتي ونجيب عليه، والسؤال هو: هل يحق لعالم الاجتماع أن يتصدى لدراسة الكوارث والنكبات التي تهدد البشرية ابتداء من الفيضانات وحرائق الغابات والحرائق الكبيرة المدمرة ـ وخاصة التي تشب في الريف والمناطق الصناعية ـ والزلازل وتلوث البيئة وانتهاء بالانفجارات التي تحدث في المفاعلات الذرية والآثار السلبية للتكنولوجيا النووية؟ أي هل يحق لعالم الاجتماع أن يدرس آثار الزلازل وآثار حادث مثل حادث انفجار المفاعل في شيرنوبل والذي اتخذ صورة سحب من الاشعاعات الذرية تحركت حسب حركة الريح العشوائية؟ يهمنا في البداية أن نوضح أننا لا نهتم بدراسة الكوارث والنوازل والمصائب التي تصيب الانسان باعتبارها ظواهر طبيعية، ومن ثم فنحن لا ندرس شدة الزلزال ولا نهتم بدراسة الفيوض البركانية ولا ندرس ما اذا كانت أرض اليمن نشطة بركانياً أم لا، ولا ندرس الانفجارات التي تقع في المفاعلات الذرية باعتبارها صورة مصغرة للجحيم الذي ستعاني منه البشرية، بل نهتم ـ كعلماء الاجتماع الذين يعطون كل

---

١ ـ محمد سعيد فرح. المرجع السابق.

الاهتمام للانسان وعلاقاته الاجتماعية وللتغير الذي يطرأ على المجتمعات الانسانية ـ بآثار هذا الزلزال على الانسان اليمني عامة والأطفال خاصة، وما طرأ على المناطق المنكوبة من تغيرات اجتماعية قد تؤثر على الانسان عامة والأطفال خاصة

والحقيقة أن الاهتمام بدراسة الكوارث والمصائب التي تهدد حياة البشر وعلاقاتهم الاجتماعية والتي تعوق النظم الاجتماعية من آداء وظائفها موضوع جديد في الدراسات السلوكية، فلم يعد علماء الاجتماع يهتمون بدراسة الجوانب الايجابية في المجتمع الانساني فقط بل تحولوا الى دراسة كل ما يهدد البشرية في صميم وجودها. وعند دراسة الكوارث أولى علماء الاجتماع في العقدين الأخيرين المواقف التي تكشف عن طبيعة العلاقات السائدة بين المتفاعلين أثناء المحنة اهتماماً كبيراً، فهم يدرسون السلوك الانساني في وقت الشدة وما اذا كان هذا السلوك عشوائياً أم محصلة التفاعل بين النسق الاجتماعي والثقافة ونسق الشخصية، وهم يدرسون السلوك الناتج عن المعاناة والفزع، كما يدرسون عمليات اتخاذ القرارات عند وقوع الأزمات والنكبات وأخيراً يدرسون مدى الشعور بصراع الأدوار في أوقات الشدة والكوارث.

ورغم أن الاهتمام بالكوارث قديم قدم الانسان فوق هذا الكوكب، فان الاهتمام بدراسة الكوارث مجال جديد اقتحمه علم الاجتماع منذ سنة ١٩٦٣م عندما أنشيء مركز دراسة الكوارث في جامعة أوهيو والهدف من انشاء مثل هذا المركز القاء الضوء على

مشكلات كثيرة في مجال العلوم السلوكية، سواء على المستوى الشخصي أو المستوى الجمعي. اذ تتيح دراسة الكوارث الفرصة لفهم ردود أفعال الناس في مواقف الأزمات، كما أن الأزمات والنكبات تترتب عليها دائماً تغيرات اجتماعية، والحقيقة أن أغلب الدراسات التي اهتمت بدراسة الآثار الاجتماعية المترتبة على الكوارث، صدرت عن علماء الاجتماع في الولايات المتحدة وأوروبا، فقد أعطى بعض علماء الاجتماع في القارتين اهتماماً كبيراً لدراسة ردود أفعال الناس ازاء الكوارث والقيام بدراسات مقارنة بين ردود الأفعال الانسانية في البلدان والثقافات المختلفة لمعرفة أسباب تباين هذه الأفعال من ثقافة الى أخرى، وهل يرجع هذا الاختلاف في ردود الأفعال في الثقافات المختلفة الى اتجاهات الناس نحو الطبيعة وعلاقتهم بالكون، أي هل يرجع التباين في ردود الأفعال الى إيمان الناس بأن الطبيعة تسيطر عليهم وأنه يتعين على الناس الخضوع للطبيعة، وهذا يعني إيمان الناس بالتواكل، واتسام سلوكهم بالجبرية والاستسلام للطبيعة، وتقبل ما يحدث كأمر طبيعي لا يمكن الفرار منه، فمثل هذا الانسان المؤمن بقوة الطبيعة يعترف بعجزه أمام القوى الطبيعية كالعواصف والأمطار والزلازل فهو عبد الظروف الطبيعية، أم يرجع هذا الاختلاف في ردود الأفعال الى امكانية السيطرة على العالم وتفوق الانسان وتغلبه عليها واخضاع امكانات الطبيعة لخدمة الانسان.

وعالم الاجتماع عندما يتصدى لدراسة الكوارث والنكبات والأزمات فهو يهتم بها باعتبارها أحداثاً مملوءة بالنوازل والمصائب

الشديدة[1]، فهي تصور وتجسم المأساة على المستوى الفردي ابتداء من فقد الأهل ومروراً بالابتلاء بالخوف والجوع وانتهاء الى نقص في الأموال والموارد وتجسم الكوارث على المستوى الجمعي الوجود المستمر لخطر داهم يهدد استقرار النسق الاجتماعي، وقد يؤدي هذا الخطر الى تفكك أو انحلال هذا النسق الاجتماعي، كما تبين الأزمات والنكبات مدى قدرة المجتمع على امتصاص النكبة والكارثة واعادة التوازن والاستقرار الاجتماعيين، ومدى قدرة النسق الاجتماعي على الاستمرار في آداء وظائفه أو تغيير بعض وظائفه وأجزائه، وتكشف لنا مواقف الأزمات والكوارث مدى ترهل واضطراب أو صلابة النسق الاجتماعي ومدى قدرة البناء الاجتماعي على تحمل آثار الأزمة وما يطرأ عليه من التغيرات بعد مواجهة الكارثة

كما تعد دراسة الكوارث والنكبات مجالا هاماً لدراسة بعض العمليات الاجتماعية في أوقات الشدة فهذه الكوارث تتيح لنا فرصة فريدة لا تعوض لملاحظة ومشاهدة ردود الأفعال الانسانية في مواقف اجتماعية مشحونة بضغوط كثيرة، كما تعطي لنا الفرصة لدراسة ردود الأفعال على المستوى الفردي والجمعي في مواقف مشحونة بالخوف والقلق، وتعرض أمامنا أوضاعاً يصاب فيها الناس بالصدمات الفيزيقية والأمراض النفسية الجسمية، كما تقدم لنا مناسبة لمعرفة تصرفات الأفراد الذين يفقدون عائلهم أو أحباءهم أو أقاربهم أو

1 Dynes, Russel: Disaster as a Social Field.

ثرواتهم، كما تفجر الكوارث ضغوطاً جمعية تنعكس مباشرة أو غير مباشرة على العائلات التي نكبت والتنظيمات الاجتماعية وأجهزة الدولة التي تصنع أو تنفذ القرارات، كما قد تؤدي الكوارث الى انحلال أو تفكك التنظيمات الاجتماعية، كما ينظر الى الكوارث بأنواعها باعتبارها سبباً أساسياً وراء تدمير بعض الأنظمة والأنساق الاجتماعية المستقرة، تلك الأنظمة الضرورية ليمارس الشخص حياته الانسانية وليشبع حاجاته الأساسية والثانوية

كما تكون الأزمات والكوارث معملا طبيعياً لعالم الاجتماع يختبر من خلاله بعض الفروض التي تتعلق بكيفية أداء السلوك الانساني في أوقات المحن وطبيعة العلاقات بين التنظيمات الاجتماعية في أوقات الأزمات وكل ذلك في مواقف طبيعية مملوءة بالضغوط والتوترات والانفعالات الحقيقية، وتخلو من الافتعال والتصنع، كما تتيح لنا الكوارث الفرصة لدراسة طبيعة وسرعة الاستجابة لكل من أفراد الشعب والقيادات السياسية والشعبية، ومدى التوافق مع الموقف والرغبة في التغلب عليه، كما تقدم لنا الأزمات مناسبة هامة لفهم أنماط التفكير السائدة في أوقات النكبات ومدى الرغبة في تحقيق سياسة الاكتفاء الذاتي لمواجهة الكارثة أو الاعتماد على الغير أوالتعاون معهم للتغلب على النكبة عند اعادة بناء المجتمع المنكوب

ويعتمد عالم الاجتماع على الملاحظة بالمشاركة في المواقف الاجتماعية العديدة في شرح الأزمات أو تسجيل المقابلات على

مستويات مختلفة بعد وقوع الكارثة لفهم استجابات الناس في مواقف متباينة، سواء بعد الكارثة مباشرة أو بعد هدوء العاصفة، وكذلك ملاحظة ما يطرأ من تغيرات على العلاقات الاجتماعية والتنظيمات الاجتماعية بعد الكارثة، كما يمكن أن يعتمد على الاحصاءات لمعرفة آثار النكبة، وما يطرأ على المجتمع من تغيرات بعد النكبة في مرحلة اعادة البناء.

واذا كانت دراسة النكبات والمصائب قد حظيت باهتمام علماء الاجتماع في الغرب فانه يتعين على علماء الاجتماع في دول العالم الثالث عامة والبلدان العربية خاصة دراسة الآثار الاجتماعية للكوارث والنكبات، فالكثير من هذه البلدان بدأت تتعرض للكثير من الأزمات والنكبات ابتداء من الجفاف والتصحر والمجاعات والزلازل وانتهاء بتلوث البيئة وتزايد أحداث العنف، وتعبر هذه الأزمات عن ضغوط قوية يتعرض لها المواطنون في بلدان العالم العربي والعالم الثالث، وخاصة تلك البلدان التي تمتلك موارد اقتصادية محدودة أو اعداداً بشرية قليلة وتقف هذه الأزمات والكوارث عقبة أمام طموحات شعوب هذه البلدان وعائقاً أمام التزام الحكومات بوضع وتنفيذ برامج تنموية تحاول أن ترفع من مستوى الطاقة الانتاجية المنخفضة وتزيد من الدخل القومي أو تحقق برامج التنمية الاجتماعية ويتعدى تأثير هذه النكبات تدمير الموارد المحدودة الى الزام الحكومات بتحويل بعض الموارد المحدودة من مسارها الطبيعي

الى عملية اعادة بناء ما دمر وخرب وما يترتب على ذلك من بطء معدل الانجازات التنموية

ومن ثم فدراسة الآثار الاجتماعية للنكبات والكوارث تعد موضوعاً هاماً عند علماء الاجتماع ما دام محور اهتمام علماء الاجتماع هو الانسان وما دام التغير الاجتماعي يعد موضوعاً أساسياً من موضوعات علماء الاجتماع، فقد يرجع التغير الاجتماعي الى نشوب أزمات حادة أي قد تؤدي الأزمات الى الاسراع بعملية التغير، كما تؤدي الأزمات الى نمو وظهور أساليب اجتماعية أو فيزيقية جديدة، والى تكوين تنظيمات اجتماعية لمواجهة هذه الكوارث مثلما حدث في اليمن فقد تم انشاء مجلس أعلى لاعادة تعمير المناطق المتضررة من الزلزال يعتمد العمل فيه على التخطيط العلمي، كما أدى الوعي باضرار الزلزال الى تغير نمط المسكن كما دفعت الضرورة لمنع تكرار ما حدث الى الاهتمام بمقاييس جديدة في التعليم والصحة والثقافة والتدريب المهني.

والآن بعد أن أوضحنا أهمية تصدي علماء الاجتماع لدراسة النكبات والكوارث نعرض لآثار زلزال ذمار

لقد أحدث زلزال ذمار دماراً شديداً في مناطق مغرب عنس وعنسي وجهران وضوران والحدا[1]، يوضح ذلك الجدول الآتي:

---

١ الأعمار: الجمهورية العربية اليمنية. المجلس الأعلى لاعادة تعمير المناطق المتضررة من الزلزال.

المناطق	عنس	الحدا	جهران	صوران	مغرب عنس	جبل الشرق	الاجمالي
عدد المواقع	٢١١	٢١٧	٣٩	٣٣١	١٤٧	١٢٧	١٠٧٢
المنازل المهدمة	٤٦٢٩	١٣٤٩	٢٧٨٥	٤٧٠٧	٧٠٠	٥٢٨	١٤,٦٩٨
المنازل المشققة	١٠١٦٥	٣٨٥٦	٢١٧٠	٦٨٦٩	٢٤٨٢	١٩٤٥	٢٧٤٨٧

والقرى التي أضيرت أنواع فهناك فئة س القرى صارت كومة من الأنقاض ودمرت تدميراً شديداً، وهناك فئة ثانية من القرى انهارت وتهدمت بعض مساكنها وتعرضت لتدمير جزئي وتصدع البعض الآخر تصدعات رأسية من الداخل أو من الخارج، وهذه المساكن لم تعد صالحة للسكن ولذا هجرها سكانها وأصبحوا مثل سكان المساكن المتهدمة بلا مأوى وكانت هناك فئة ثالثة من القرى أصيبت بتشققات وتصدعات أرضية، وهناك قرى قليلة لم تصب بأذى ولكن أهلها مثل أهل القرى المتضررة من الزلزال أصيبوا بالهلع والجزع وكانوا يعيشون في خوف ورعب خشية أن يحل عليهم ما حل بالقرى الأخرى، وكان هناك حزن مكتوم على وجوه جميع سكان القرى وأحياناً ما ينفس عن هذا الحزن من خلال كلمات قليلة تعبر عما يختلج في القلب من مشاعر، فكان هناك س يشير الى اطلال منزله قائلا: «هذا ما جمعناه في سنوات الغربة، فقد ضاع البيت والسيارة واختلط المال بالتراب»، وفي موقف آخر شاهدنا صبياً يقف بصلابة بمفرده أمام منزل الأسرة الذي قوضت أركانه يبين لنا صعوبة دخول

المنزل لاخراج ما به س مال ومصوغات وأوراق هامة رغم انقاذ البشر

وقد أخبرنا الجيولوجيون يوم ذهبنا[1] لزيارة بعض المناطق المنكوبة ان محور التمزق بدأ من الشمال الى الجنوب، وقد ساعدت التمزقات الأرضية وسقوط الأحجار من فوق الجبال الى تهدم البيوت مما أدى الى تزايد الاصابات وكثرة عدد الموتى نسبياً وكان أغلب الموتى والمصابين من الأطفال والنساء والشيوخ.

فالشباب كان في أماكن العمل في المدن الكبرى أو مهاجراً في بلدان الغربة، وقد وضحت البيانات الرسمية وجود عدد س الخسائر المادية والبشرية وان هناك س فقد ما يملك من المال والمتاع والحيوان وكانت العين ترى بجانب المنازل المتهدمة السيارات والدراجات التي تهشمت نتيجة سقوط الأحجار وكنا نشاهد الأمتعة المنزلية وأجهزة التلفزيون والأواني والملابس التي قذف بها الزلزال خارج المنزل، كما شاهدنا آثار تهدم بعض آبار المياه.

وقد أدى سقوط الأحجار التي بنيت بها المنازل الى كثرة عدد الضحايا ولا تتوافر أية احصاءات دقيقة كل الدقة عن عدد الضحايا

---

١ ـ تم تكوين فريق من أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب جامعة صنعاء لزيارة المناطق المنكوبة يضم كلا من:

أ.د صلاح الشامي.

أ.د نبيل أو العلا.

أ.د عزت حجازي.

أ.د محمد سعيد فرح.

والمصابين لأن الشعب اليمني مثله مثل أغلب شعوب العالم الثالث يسرع في دفن موتاه ولا يخطر بذلك الجهات الرسمية، اذ ما أن يعثر على جثة تحت الأنقاض حتى تدفع داخل بطانية ويسرع بها لغسلها ثم يصلي عليها ثم يدفنها

ورغم التحفظ على دقة البيانات الرسمية، فان خسائر يوم الفاجعة الكبرى تبين اتساع الرقعة التي أصابها الزلزال، وتوضح البيانات التي سجلت حتى يناير ١٩٨٣م الخسائر الآتية[١]

عددالمصابين اصابات مختلفة ٣٨٠٠ شخص.

عدد الموتى ٢٥٠٠ نسمة

ولا يوجد أي تصنيف لجنس وأعمار هؤلاء فهناك من فقد الأب، وهناك من فقد الزوجة، والأم الثكلى التي فقدت الابن ولقد قلل من عدد الاصابات والضحايا أن الناس وقت الزلزال كانوا في الخارج اما في الحقول أو المدارس أو في المدن.

وتوضح البيانات المتاحة أن الخسائر المادية كانت على النحو الآتي:

عدد القرى المتضررة.	١٠٧٢ قرية.
عدد المنازل المهدمة	١٤,٦٩٨ منزلا
عدد المنازل المشققة	٢٧,٤٨٧ منزلا

---

١ الأعمار. الجمهورية العربية اليمنية المجلس الأعلى لاعادة تعمير المناطق المتضررة من الزلزال.

عدد المساجد.	٦٥١ مسجداً.
عدد مشاريع المياه المفقودة.	١٣١ مشروعاً
عدد المباني الحكومية المهدمة	١٩ مبنى.

وقد بينت الاحصاءات أن ٣٣٪ من المنازل المشققة لن تكون قابلة للاصلاح، وانها ستضاف الى الأعداد المهدمة ولذا فان الأرقام النهائية للخسائر تبين الآتي:

١ ـ أن عدد المنازل المهدمة ٢٥,٠٠٠ منزل.

٢ ـ أن عدد المنازل المشققة ١٧,٠٠٠ منزل.

٣ ـ أن عدد الذين بلا مسكن يبلغون ١٢٢,٥٠٠ نسمة[1].

ولقد أخذت الكارثة طابع المأساة، فهناك الموت والخراب والدمار وهناك الأم الثكلى والأرملة التي خسرت الزوج واليتيم والتيه في الخلاء بحثاً عن مأوى فور الحادث مباشرة.

تلك صورة مبسطة لما حدث يوم الاثنين المشئوم، عقب الزلزال مباشرة، ولكن الاستجابة الرسمية والشعبية في البداية كانت قوية وسريعة فبدأت عمليات الاغاثة الفورية التي ساهمت فيها كل القيادات والأجهزة وشارك فيها المواطنون بتلقائية، ولقد ساهمت أفرع القوات المسلحة في رفع الأنقاض ونقل الجرحى والبحث عن الموتى وقامت القوات الجوية بالدور الأكبر في نقل الجرحى والمصابين

---

١ ـ عدد الذين بلا مأوى يساوي متوسط أفراد الأسرة × عدد المساكن المهدمة =
٤,٩ × ٢٥,٠٠٠

الى مستشفيات العاصمة، وإيصال الغوث للمنكوبين، ونصب الخيام لايواء من أصبحوا بلا مأوى كما تعاونت قوات الأمن وطلبة الجامعات والمواطنون في حملة الانقاذ والبحث عن الجثث واخراج من كانوا على قيد الحياة من تحت الأنقاض، كما أسرع المواطنون الى التبرع بالدم وتبرع القادرون بالمال.

وكانت الاستجابة على المستوى الرسمي سريعة وسخرت الدولة كل الامكانات والأجهزة من أجل الاغاثة وصدر قرار بتشكيل مجلس أعلى لاعادة تعمير المناطق المتضررة وفق خطة محددة، وصدرت التوجيهات السياسية باعداد دراسات فنية وهندسية وجيولوجية لاعادة التعمير وضرورة التنسيق بين الأجهزة المعنية بالتعمير والاغاثة، وصدر قرار بفرض ضرائب جديدة للمساهمة في بناء وتعمير المناطق المنكوبة.

كما سخرت كل الامكانات لاغاثة ومساعدة المتضررين من الزلزال وقدم لهم الغذاء والمال والمساعدات الصحية، والغطاء والملبس والمأوى المؤقت كما قدمت الدولة التعويضات لأسر من توفي أو فقد المتاع الشخصي.

تلك كانت الاستجابة الأولى، ولكن ماذا بعد أن ذهبت السكرة وأتت الفكرة وخفت وطأة المصيبة، وما الآثار الاجتماعية للزلزال على تربية الأطفال.

إذا ما قبلنا تعريف عملية التنشئة الاجتماعية بأنها عملية تربية وعملية تعلم ديناميكية وأنها عملية مستمرة لا تقتصر على طور محدد

س أطوار النمو، وأن عملية التنشئة الاجتماعية تساعد على التكوين الاجتماعي والنفسي للشخصية، وأنها عملية أساسية تهدف الى تغيير السلوك، وأنماط التفكير ودمج عناصر الثقافة الثابتة الراسخة والمتغيرة في الشخصية وربط الشخصية بالبناء الاجتماعي، فان عملية التنشئة الاجتماعية تؤدي الى اكساب الطفل والراشد مجموعة من الاتجاهات والمهارات والمعارف وأشكال الثقافة السائدة والمتغيرة في مواقف التفاعل[1]، واذا كانت البيانات تؤكد أن هناك خسائر مادية وبشرية ترتبت على الزلزال، فان هناك مظاهر واضحة تؤكد أن ثمة تغيرات اجتماعية في المناطق المتضررة من الزلزال بدأت مع مرحلة التعمير واعادة البناء، وأن ثمة مظاهر تؤكد حدوث تغيرات ايجابية نحو مجتمع أفضل، وان هذه التغيرات تعني بداية تقويض ركائز المجتمع التقليدي اليمني وبداية عصر تحديث قطاع من الريف، فقد بدأت التغيرات تطرأ على نمط المسكن وبناء المدرسة، وثمة بوادر واضحة تشهد بأهمية العمل الجماعي المنظم الموجه المستند على خطة علمية.

ومن أهم التغيرات التي تلاحظها العين، والتي لها أثار في المستقبل على الطفل تغيير نمط المسكن، فقد وضح من آثار الزلزال أن المسكن اليمني التقليدي لم يعد صالحاً للمعيشة وقد بدأت عملية اعادة البناء، وأعدت خطة لبناء وانشاء ٢٥،٠٠٠ منزل متهدم،

---

١ ـ محمد سعيد فرح. البناء الاجتماعي والشخصية. الهيئة العامة للكتاب. الاسكندرية: ١٩٨٠م. ص: ٢٥٢ ـ ٢٦٧

وترميم ١٧,٠٠٠ منزل متضرر، وتمت اعادة بناء قرى جديدة في مناطق شرق ذمار وضوران وهجرة منقدة ورصابة وبني شجر، ولكن المسكن الجديد لم يكن على نمط المسكن القديم، فقد تعلم اليمني من تجربة الزلزال ضرورة بناء مسكن معد للحماية من الزلزال، وصممت منازل للمتضررين من ثلاث غرف وحمام ومطبخ، وقد اعتمد تحديد مواقع بناء المواقع الجديدة على أسس محددة هي:

١ ـ أن تكون بعيدة عن الانهيارات الجبلية وسليمة من الناحية الجيولوجية.

٢ ـ أن تكون بعيدة عن تجمعات السيول، وأن تكون جيدة من ناحية تصريف المياه.

٣ ـ الا تبعد المواقع عن أراضي المواطنين ومصادر رزقهم.

٤ ـ أن تكون صالحة للتوسع الرأسي والأفقي

ولقد أعطي اهتمام كبير بالمسكن واعادة بنائه على شكل جديد، بعد أن أثبت درس الزلزال أن نظام البناء في القرية اليمنية ساعد على كثرة عدد المباني المتهدمة، وكثرة عدد الموتى والمصابين، فقد تعود اليمنيون على بناء البيوت المرتفعة في قمم الجبال على تلال صخرية أو بالحجارة التي لم تقطع تقطيعاً منتظما أو باللبن أو الطين[1] وهذه البيوت العالية تتكون من طابق أو طابقين، والمرافق الصحية بهذه المساكن سيئة ويتكون المسكن من عدة أدوار ليتسنى لجميع أفراد

---

١ ـ محمد سعيد العطار التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن.

العائلة السكن فيه ويسمى مسكن عدة أسر داخل منزل واحد (حِلال).

ولذا أدرك اليمني بعد درس الزلزال ضرورة بناء المساكن في مناطق السهول وليس على قمم الجبال، وفي مواقع صالحة للبناء بعيدة عن المخاطر، ولقد تكون الوعي بعد الأزمة والنكبة بضرورة توفير مواصفات جديدة للمسكن الجديد، وتم تصميم الوحدة السكنية هندسياً، بحيث يتوسط بناءها حوش كبير مساحته ١٠ لبنات* وتم تجميع البيوت في مجموعات بحيث يتوسط كل مجموعة حديقة صغيرة للعب الأطفال، وتجاور المساكن مركزاً تجارياً ومركزاً صحياً

واذا كان للمسكن الجديد نتائج ايجابية تعترف بحق الطفل اليمني في الترفيه والراحة واللعب في حديقة صغيرة بجوار سكنه، واذا كان المسكن الجديد ملائماً وسليماً من الناحية الهندسية، فان الممول المشترك في عملية اعادة التعمير بدأ يفرض شروطه، وبنيت قطاعات كبيرة تلاحظ في احداها بصمات المعمار الهولندي، وفي الثانية سمات المعمار الكويتي أو السعودي أو الصيني الخ، ولكن ما خطر ذلك على الطفل؟ في البداية نقول أن القرى المتجاورة بدأت تفقد الطابع المميز للبيئة اليمنية، وأن تعدد أنماط البناء سيؤدي الى نمو الازدواجية عند الطفل، ويعني أخيراً هدم الاصالة اليمنية، وغزو أساليب جديدة تخالف الطابع اليمني التقليدي

---

* اللبنة = ٤٤ م.

ولقد أعطي اهتمام كبير في المناطق السكنية الجديدة للخدمات والطفل اليمني هو المستفيد الأول من ثمار هذه الخدمات، فقد تم بناء مدارس ابتدائية واعدادية جديدة وخطط لبناء ساحات عامة ليمارس فيها الأطفال والشباب نشاطاتهم ومدت المساكن بالكهرباء والمياه والمجاري، وغيرها من الاحتياجات الصحية للتجمعات الحديثة، وحددت أماكن لاقامة حدائق مركزية وبذا تصبح المناطق المتضررة قرى ومدناً نموذجية

ولقد أعطت عملية تغيير شكل الحياة في القرى المنكوبة اهتماماً واضحاً لعملية التعليم، فقد تم بناء مدارس مؤقتة بلغ عددها ٢٦ مدرسة يستفيد منها ١٩,٥٠٠ طفل في المناطق المنكوبة، كما خطط لبناء ٤٤ مدرسة جديدة واقامة مشروعات تعليمية جديدة وتجهيزها بالأجهزة التعليمية الحديثة.

ولم يقتصر الاهتمام بالتعليم على عملية بناء المؤسسة التعليمية، ولكن تعدى الأمر ذلك الى تدعيم كل ما يحقق نجاح العملية التعليمية، ولقد ثبت من الواقع المعاش أن الأسرة اليمنية لا يوجد لها أي اشراف على ابنها ولا تتابع العملية التعليمية في البيت وتعتبر المدرسة هي المسئولة كلية عن عملية تعليم الطفل اليمني[1]، ومن ثم وجدت الضرورة للاهتمام بنظام الريادة في المدارس وتحديد رائد أو مشرف يتولى الاشراف على كل ٣ فصول دراسية، وبذا

---

١ ـ تقرير مرفوع من مدير التعليم في محافظة ذمار الى محافظة ذمار ١٩٨٥م.

أصبح المدرس الجديد يساهم في اعداد الطفل للقيام بواجباته الاجتماعية. وتكون الوعي بأن المدرسة هي الأداة الاجتماعية الحاسمة في تكوين الشخصية الاجتماعية، وتلقين الطفل اليمني المبادىء الاجتماعية، ولكن هل تتحمل المدرسة مسئولية المحافظة على الطابع القومي للشخصية اليمنية؟ ما دام المدرس القائم بعملية التدريس والريادة في الريف اليمني في أغلب الأحوال غير يمني، فثمة شك في تحمل المدرس والمدرسة هذه المسئولية

ولقد صاحب عملية بناء المدارس وعي زائد بأهمية النشاط المدرسي، وأن عملية التعليم ليست مجرد تلقين الطفل الصغير المعلومات والدروس. فقد ظهر الوعي بأهمية الأنشطة الفنية والموسيقية والرياضية لتكوين شخصية اليمني الصغير، الا أن ثمة عائقاً عن تحقيق نتائج ايجابية من خلال النشاط المدرسي مؤاده عدم وجود مدرسين لهذه الأنشطة[1]

كما تكون الوعي بأن عملية بناء المدارس تتم بطريقة عشوائية تحت ضغوط الجمعيات التعاونية ولذا فقد ظهر اتجاه يدعو الى اعادة توزيع المدارس بين القرى توزيعاً عادلا، بما يحقق عائداً أفضل من اقامة مدرسة بلا عدد كاف من التلاميذ، كما تكون الوعي بأهمية توفير المساكن الطلابية لتلاميذ المرحلة الاعدادية في مراكز النواحي وضرورة أن توفر الدولة سبل اعاشة هؤلاء التلاميذ بالاشتراك مع الهيئات التعاونية

---

١ راجع تقرير مكتب التربية والتعليم بمحافظة ذمار ١٩٨٥م.

ولقد أدى درس الزلزال الى الايمان بسلطة المدرسة ولو في طور متأخر من أطوار النمو وأثر السلطة المدرسية في توجيه السلوك وتكوين العناصر الأساسية للشخصية ابتداء من روح النظام الاجتماعي، والتعود على النشاط الجماعي، وقدرة المرء على التحكم في ذاته والارتباط بالحياة الاجتماعية ولكن الهوة بين المدرسة والبيت واسعة وما دامت الأسرة لا تتابع نشاط أولادها في المدرسة فيصبح المدرس - لا الوالدان - هو وسيلة المجتمع اليمني الى توجيه سلوك الطفل وتحديثه وفق مبادىء الدولة العصرية.

ولقد تعدى درس الزلزال الطفل الصغير وامتد الى كل من حرم من التعليم، اذ أعطى اهتماماً لتدريب وتعليم الكبار فقد أعطى اهتماماً لتدريب فريق من العمال المهرة في البناء وتم تدريب ٨١٢ مواطناً في عام ١٩٨٣م تفاوتت أعمارهم كما تمت اقامة مركزين لتدريب وتشغيل العاملين في الوحدات الصحية

وكان لدرس الزلزال آثاره في توجيه الاهتمام بالجانب الصحي للمواطن عامة والطفل اليمني خاصة، فقد صاحب عملية تعمير المناطق المتضررة من الزلزال عملية بناء مراكز صحية وتحسينها وأقيمت مشروعات المياه النقية في القرى المحيطة بالوحدات الصحية، وأقيمت الحمامات العامة، وأعطي اهتمام بتغيير البنية التحتية في المناطق المنكوبة ومدت شبكات المجاري وأقيمت محطات كهرباء فرعية وشبكة لتوزيع الكهرباء لتغطي بعض المناطق ولا يعني دخول الكهرباء القرية اضاءة بعض الحجرات، بقدر ما يعني تغيير

طريقة الحياة في هذه القرى، واذا كان دخول الكهرباء يعني اختفاء الظلام من المسكن فهو يعني أيضاً بداية عصر تنوير عقل الطفل وتغيير طريقة قضاء وقت الفراغ، واتاحة وقت أكبر للاستفادة من الكتاب المدرسي وغير المدرسي، وسماع الراديو ومشاهدة البرامج التلفزيونية وما يترتب على ذلك من آثار اجتماعية ونفسية

كما شقت الطرق الجديدة وفق قواعد هندسية وهذا يعني انتهاء عهد العزلة والوحدة وبداية الانفتاح على الخارج، ويعني هذا كله أن ثمة عمليات تنموية تعتمد على الدولة والتمويل الخارجي[1] بدأت تغير واقع الحياة في القرى اليمنية، واذا كان محمد سعيد العطار قال: ان نمط الحياة في النصف الأول من القرن العشرين لم يتغير عن طابع الحياة القديمة وان نظام السكن في القرية اليمنية يعكس تاريخاً من الفوضى السياسية، فاننا نقول أن الخير للقرى اليمنية المنكوبة قد أتى من ابتلاء الزلزال ورغم ما أنفق من مال كثير في عملية التعمير والانشاء وبناء القرى المتضررة فان العائد الاجتماعي كان أكبر فقد

---

١ ـ ثمة مساعدات كثيرة قدمت لاغاثة وتعمير المناطق المنكوبة، كانت هناك مساعدات عربية شاركت فيها المملكة العربية السعودية ومجلس التعاون الخليجي وقطر وعمان والامارات وجمعية المرأة الظبيانية واللجنة الشعبية الكويتية، وثمة مساعدات قدمتها الحكومات والهيئات الادارية شاركت فيها منظمة أوكسفام البريطانية وحكومة المانيا الاتحادية ووكالة التنمية الأمريكية وحكومات هولندا واليابان والسوق الأوروبية المشتركة ومساهمات دولية قدمتها اليونسيف.

تعلم اليمني من درس المحنة فبدأ بتغيير نمط المسكن. واهتم بالمدرسة باعتبارها نظاماً اجتماعياً يهدف الى التعليم والتدريب، كما اهتم بتغيير البنية التحتية وعني بتغيير العادات الصحية المتوارثة، ويعني ذلك كله تغيير طريقة المعيشة في القرى المنكوبة والنقلة من الحياة التقليدية الى عصر التحديث.

ولكن! هل أدى حادث الزلزال الى تفكك النظام الاجتماعي ومن ثم تشرد بعض الأطفال؟ الجواب بالسلب.

اذا كان من المتوقع أن يؤدي فقد الأهل وهدم المنزل الى تشرد بعض من نجا من الصغار، وهيامهم على وجوههم وانحرافهم كحدث ولكن الحياة الجمعية التي تميز المجتمع الريفي في اليمن تؤكد عكس ذلك، فالناس في الريف عند مواجهتهم للمشكلات أو المواقف الصعبة يلجأون الى الأهل والأقارب لمساعدتهم[1] فالطفل الذي فقد الأب والأم وهدم مسكنه لن يعدم أن يجد من يأويه أو يعوله، فكلهم أقارب له، ينحدرون جميعاً من جد واحد يحملون اسمه[2] ويرتبطون كلهم بعلاقات نسب، فالعلاقات في الريف اليمني تقوم على المشاركة الجماعية والتكافل والتعاون في تحمل المسئوليات

---

١ ـ نورية حمد. التحولات الاجتماعية والاقتصادية. البناء الأسري. مع دراسة مقارنة للبناء الأسري. الريف والحضر اليمني. جامعة عين شمس. رسالة دكتوراة. القاهرة: ١٩٨٥م. ص: ٣٠٢

٢ ـ فضل علي غانم. القبيلة اليمنية والتغير الاجتماعي، رسالة دكتوراة مقدمة الى جامعة عين شمس.

الجماعية تجاه الأقارب حتى الدرجة السادسة[1]، كما أن الملكية في العائلة الريفية جماعية وليست فردية فالأسرة اليمنية كما ظهر من الشواهد تتسم بدرجة عالية من التماسك الأسري، واتساع شبكة العلاقات الأسرية والاعتماد على كبار السن والالتجاء الى الأهل والأقارب وقت الحاجة، فأهل القرية اليمنية كانوا وما زالوا يمثلون العائلة الممتدة، وتعرف العائلة الممتدة عند اليمنيين بالبيت، وكل بيت من هذه البيوت يستقل برقعة جغرافية معينة، محدودة في أرض القبيلة أو القرية كفرع جزئي من القبيلة، وهذه القرية تمثل وحدة قرابية وترتبط بعلاقات اجتماعية مع وحدات قرابية مجاورة، ولقد شكلت هذه العائلة وحدة بمعنى التشابك والمشاركة في جميع الأحداث، ولذا فحدث الزلزال أكد أهمية الحياة الجمعية عند الصغار والشعور بالمسئولية الجماعية والتعاون في كافة الأنشطة في مجالات الحياة اليومية

والتعاون كقيمة اجتماعية ظهر واضحاً جلياً أمام الصغار، فقد ظهر التعاون التلقائي بين سكان القرى التي أضيرت وسكان القرى المجاورة التي لم تحل عليها آثار الزلزال، فهؤلاء سرعان ما هبوا لنجدة المنكوبين، وقدموا لهم الطعام والمساعدات، كما حضر الأهل من القرى المجاورة للاطمئنان على أقاربهم وحملهم مع أمتعتهم الى

---

١ نورية حمد. التحولات الاجتماعية والاقتصادية. البناء الأسري. ص: ٤٠٢

قرى مجاورة لم تُضرَ من آثار الكارثة وتدعم مواقف الزلزال قيم التعاون التي توحد بها الطفل اليمني.

وعقب كارثة الزلزال ارتفعت صيحات عالية في مجتمع تقليدي متماسك تطالب باحداث تغيرات اجتماعية وتغيير أنماط التفكير السائدة، وتدعو الى ضرورة تعلم الانسان اليمني كيفية التعامل مع الحياة والأرض وكيف يواجه النوازل والمصائب، وبدأت الدعوة على المستوى الرسمي بأهمية التخطيط كأسلوب علمي لبناء المجتمع الذي تضرر من الزلزال، وضرورة الاعتماد على الادارة الرشيدة لازالة آثار النكبة، وطالب المفكرون كل على حدة بأهمية احترام الوقت كعنصر هام لتحقيق التقدم، ونادى البعض بضرورة الاستفادة من الكارثة واعتبار حدث الزلزال نقطة الانطلاق الى عصر العلم، وارتفعت أصوات تدعو بحمل الكتاب واحترام العقل ومنجزاته بدلا من حمل السلاح فوق الأكتاف، وضرورة تربية الأجيال الصاعدة وفق قواعد المنطق، وتدريبهم على الاستفادة من العلم والنظر الى ما أنتجه العلم والعصر من مخترعات ومبتكرات ومن أبحاث نظرة جادة وأخذ أمور الحياة بجدية[1] والا نتواكل والا نتساهل والا نلقي كل ما يحدث في المجتمع من مشكلات على شماعة القدر، ونادى أصحاب هذا الاتجاه الجديد بضرورة الاستفادة من

---

١ ـ محمد الشرفا. لتكن هذه الزلازل في العقول والنفوس. مجلة معين. ج. ع. ي. في ١ يناير ١٩٨٣م.

دراسات العلماء والاستعانة بالأجهزة العلمية والتخلص من الخرافات وهدم كل أصنام الفكر والأوثان التي تسيطر على الفكر وتعوق انطلاقه وتقدمه.

وهذه الأفكار التي صدرت عقب تشقق الأرض وتصدع المباني تعكس ارهاصات قيم جديدة نامية ستترك آثارها على الطفل المقيم في المدينة فيما بعد، والبناء الاجتماعي الحضري خاصة فهزة الزلزال أعقبتها هزة البناء الاجتماعي التقليدي، اذا ساد شعور في المدينة بأن الكثير من القيم صارت موضع شك وخاصة بين المثقفين والصفوة، وأصبح الطفل اليمني يسمع من المدرس أفكاراً جديدة ويشاهد في جهاز التلفزة بعض أنماط السلوك التي لم يتعود عليها كما يسمع من المذياع عادات جديدة وعن قيم وأنماط سلوك جديدة وحلول للمشكلات تخالف ما تلقنه له الأم والأب

لقد كشف حادث الزلزال أن أساليب التفكير السائدة والمتوارثة عن المجتمع التقليدي وان الحلول التقليدية والمتوارثة لم تعد صالحة ولا تتناسب مع تجارب الزمن الذي يعيشه اليمني في أواخر القرن العشرين ولا يمكن ان تخلد أنماط التفكير ولا أشكال السلوك المتوارثة عن الأجداد ولقد صدرت دعوات تنادي بضرورة تغيير الواقع مما ينعكس حتمياً على أساليب تربية الأولاد وتنشئتهم، وأن أساليب التنشئة الاجتماعية التي سادت في عهد الامام وتورثها الآباء عن الأجداد لم تعد صالحة لتوجيه سلوك الأحفاد، فلكل جيل من الأجيال أساليبه الخاصة في التنشئة الاجتماعية للصغار وتوجيههم الى المستقبل

والاندماج في عصر العلم والتكنولوجيا، وكان أهم دروس الزلزال أن بعض الآباء وعوا أنهم يعيشون الآن في مجتمع غير مجتمع طفولتهم وأن ثمة قيماً وأنماطاً سلوكية ولدت في المجتمع الذي يعيشون فيه، وأن حلول المشكلات التي تعودوا عليها لم تعد تلائم المجتمع الجديد ولم تعد قادرة على حل مشكلاته فبعض القيم المتوارثة عن الأجداد صارت بالية وتعبر عن مجتمع تقليدي مغلق ولا تحقق للأطفال الاستقرار في مجتمع جديد مفتوح، وبدا واضحاً أن ثمة وعياً بدأ يتكون وخاصة بين الصفوة والمتعلمين يطالب بضرورة تغيير أساليب السلوك التي تلقن للصغار، وتعديل القيم التي تحدد السلوك لكي تتلاءم مع توقعاتهم لمجتمع جديد يعيش فيه الآباء يسود فيه العلم ويرتفع فيه شأن المتعلم، وتدعم وسائل التثقيف والاتصال وهي وسائل موجهة هذا الاتجاه الجديد الناشيء، ومن ثم نقول في النهاية أن أساليب التنشئة الاجتماعية ستتغير لتصاحب التغيرات اللامادية والمادية التي طرأت على المجتمع اليمني، وأن أساليب التنشئة الاجتماعية التي ستسود المدينة ستختلف عن أساليب التنشئة الاجتماعية في الريف اليمني، فاذا كانت صيحة الدعوة الى العلم أفرد لها مكان في المدينة في المقيل وفي الصحافة وفي المدرسة فان ثمة قيماً راسخة تعكس الايمان القوي عند الريفي بحكم القدر والتسليم بأمره فالألسن بعد الكارثة كانت تردد بلا انقطاع وبايمان قوي، «هذا قضاء الله وهذا حكمه» وهذا الايمان القوي ليس وليد الساعة فقد لاحظته الطبيبة الفرنسية كلودي فابان منذ أكثر من ثلاثين سنة، ونوهت به عندما لاحظت أن اسم الله يتردد على كل لسان في كل

مناسبة وفي كل وقت، فالدين هو الدافع الأول وراء كل سلوك اليمنيين وخاصة في الريف وسبب رضاهم الظاهر والكامن وايمانهم العميق يجعلهم يهرعون الى الله قبل كل شيء يحمدونه على السراء والضراء

وثمة دعوة بشر بها بعد الزلزال، تطالب بتنمية الوعي الادخاري عند المواطنين وحثهم على ايداع أموالهم في البنوك وتشجيع مشروع بنوك القرى بدلا من دفن الأموال داخل الوسادة أو وضعها داخل الصوان وضياعها اذا ما انهار المسكن وتلك دعوة جديدة تشجع على الادخار في أوعية ادخارية لم يكن المواطن اليمني منتبهاً اليها.

الذي لا ريب فيه أن درس الزلزال وَعَّى عدداً من الآباء والمسئولين عن التثقيف والاعلام بضرورة تغيير بعض القيم السائدة التي لم تعد صالحة لروح العصر، ومن ثم ضرورة أن يغير الوالدان أساليب تنشئة الصغار لشعور بعض الآباء والأمهات ـ وخاصة من نالوا حظاً من التعليم ـ بعدم الرضا عن أساليب التربية التي تربوا عليها، وادراكهم أن الكثير من القيم والأفكار وأنماط السلوك لم تعد تتلاءم مع روح عصر التكنولوجيا

حقيقة أن عدد هؤلاء الآباء والأمهات والمعلمين والكتاب والمسئولين عن التثقيف والاعلام قليل، ولكن لو رجعنا الى تاريخ اليمن قبل ربع قرن فمن ذا الذي كان يتحدث عن أهمية العلم وضرورة استخدام أساليب التكنولوجيا لحل مشكلات المجتمع،

ويؤكد أهمية التعليم ويطالب بتغيير نظام المسكن، ويسخر من حمل السلاح بدلا من الكتاب، ويسمح للدولة أن تخطط وتنفذ المشروعات في أرض القبيلة، ومن ثم فان عدد الذين يدعون الى قيم جديدة ويطالبون بتغيير نمط الحياة سيتزايد يوماً بعد يوم، بعد أن تتلاءم أساليب التنشئة حسب أشكال السلوك المرغوبة، اذ أن الآباء والأمهات والمعلمين ينشئون الصغار مفترضين توقعات جديدة لمستقبل أولادهم ويدربون الأطفال على أنماط سلوك متوقعة في المستقبل ويدمجون في شخصياتهم قيماً وأفكاراً يفترض أنهم يقتدون بها في المستقبل

وثمة دراسة ميدانية أجريت على بعض الأطفال الذين أضيروا بالزلزال بعد الحادث مباشرة، ونقلوا الى المجتمعات الجديدة في شارح وبني خضير[1] وكان أهم النتائج التي توصل اليها فريق البحث اعتراف أمهات الأطفال بأن جميع الأبناء يعانون من القلق والرعب، وهذا الشعور بالقلق لا يقتصر على الصغار وحدهم، بل حتى الكبار يشعرون بالفزع والخوف والقلق، فهم يخشون امكانية وقوع الزلزال مرة ثانية، ويتزايد هذا الشعور ليلا وترمز أحلامهم الى مظاهر هذا

---

١ ـ قام بهذه الدراسة الميدانية أعضاء فريق البحث ورعاية الأمومة والطفولة السويدية وكتب تقرير باللغة الانجليزية.

لقد اشتملت العينة على ٦٦٠ طفلا من الجيش في تربة شارح، و ٤٩١ طفلا في تربة بني خضير.

القلق، وعند النوم يقترب الأطفال اقتراباً شديداً من الأبوين كما يخاف الكثير من الأطفال الذي عايشوا أهوال الزلزال من ضجة السيارات والرعد.

وقد اهتم البحث بتقصي آثار الزلزال على الأحوال المعيشية للصغار وأسرهم في المناطق المنكوبة وهل ثمة تغير حدث أم لا؟ وقد أجاب ٢٣٪ من الأطفال بالنفي فهم يرون أن أحوالهم المعيشية لم تتبدل وأن كل شيء بقي كما كان من قبل وهم راضون كل الرضا عما وقع، أما الآخرون فقد أجابوا بأن ثمة تغيراً قد حدث ولكنهم اختلفوا في تفسير وتوضيح هذه التغيرات.

فأفراد الفريق الأول يرون أنهم أضيروا من الزلزال بعد أن فقدوا الأهل والمال والمنزل، والفريق الآخر الذي أضير يرى أن أهم أضرار الزلزال نجمت عن الحراك الى اماكن التهجير وتغيير نمط المسكن، فقد استبدلوا بالمسكن القديم سكناً جديداً، مما أدى الى آثار هامة على العلاقات القرابية والتماسك العائلي فلم يعد المسكن الجديد يضم الأجداد والآباء والأبناء، فالمسكن الجديد بني ليضم الأسرة الزوجية وحدها وفقد المسكن الجديد الكثير من الخصائص الجمعية التي تميز بها المسكن القديم.

ولقد أثر المسكن الجديد على الحياة الأسرية التقليدية فأمور البيت لم تعد تحتاج الى أيدي عدد كبير من النساء، بعد أن أصبح عمل المرأة قليلا، كما قلت سيطرة الحماة على زوجة الابن، فلم يعد هناك من يقول «اعملي هذا ودعي ذاك» كما قلت المشاجرات التقليدية

بين الأولاد أثناء اللعب أمام المنزل، أو توزيع الطعام، فلم يعد الأطفال يختلفون ويتخاصمون بسبب التنافس في اللعب أو الغيرة.

ولقد تضمن البحث سؤالا عن المكان الذي كان فيه الأطفال وقت وقوع الزلزال، وكما وجدت بالمشاهدة والمعايشة فالطفل قوة منتجة وليس عبئاً اقتصاديا على أسرته فالابن يحل محل الأب الغائب دائماً عن أسرته فالأب اليمني اما مغترب في السعودية أو في دول الخليج ابتداء من السبعينيات ـ بعد أن تغير اتجاه الهجرة من الدول الافريقية والأوروبية ـ سعياً وراء الرزق، وإما مهاجر الى إحدى المدن اليمنية ليعمل وليحصل على الأجر، فالكثير من الأطفال يتعلمون ويعملون فهم يعملون بعد العودة من المدرسة فترة تتراوح ما بين ٤ ـ ٦ ساعات في أعمال الزراعة والتجارة أو البيت، ولقد كان بعض الأطفال في المدرسة أثناء حدوث الزلزال والبعض في البيت ينظفونه ويرتبونه والبعض يحضر المياه من البئر، والبعض يعمل في الأرض الزراعية

أما عن تصرفات وأفعال الأطفال بعد الزلزال فقد تضمن البحث سؤالا الى الصبية: ماذا تتذكر من أحداث بعد وقوع الزلزال؟

ولقد أجاب الصغار على هذا السؤال اجابات متنوعة:

ـ «كنت في المدرسة، عدت الى البيت، لم أجده، ذهبت الى الحقل لم أجد أبي، فقد كان يبحث عني، وأخيراً وجدت أبي».

ـ «حصلنا على خيمة وأتت الطائرات بالطعام، وحمل الجرحى الى المستشفى».

- «لا أريد أن أتذكر ما حدث في ذلك اليوم»

- «في البداية شعرت بهزة بسيطة ثم بدأنا في تلاوة القرآن وعندما حدثت الهزة العنيفة هربنا من المدرسة الى الحقول، وفجأة انهارت المدرسة كلها لم يصب الا تلميذ واحد فقد ساقه»

- «كان الناس يصيحون عند اخراج المصابين من تحت الأحجار، وكانت الأحجار والصخور تتساقط باستمرار، فقد عجز الكثيرون عن الخروج من تحت الأحجار».

- «هدمت قريتنا كلها، وبقيت الأسر بلا مأوى لمدة عشرة أيام ثم حصلنا على خيمة».

- «فجأة سقطت الأحجار فوقنا، واختفى كل شيء، ولم تستطع أمي رؤيتي، فقد كان كل شيء فوقي، ولقد خرجت من تحت الأنقاض لا أعرف كيف».

- «كان الناس يتصايحون أخرج أخرج بقيت أمي في الداخل تحاول مساعدة أختي على الخروج سقط بعض الاخوة من الاعياء والتعب وبعد يومين من الزلزال خرجت من أسرى بعضنا أصيب في رأسه أو جسده ونقل الى المستشفى واستمر بها ثلاثة شهور».

- «انهدم المنزل فوق رأسي وعلى اخوتي وأخواتي، كان أحد اخوتي رضيعاً في البداية لم تعثر عليه أمي قالت الجدة لا تحزني لديك عدد كبير من الأولاد وأخيراً وجدوه مصاباً بجرح نافذ، حمل أخي الى المستشفى ولكنه مات هناك وعم الحزن علينا».

- «كانت الأرض تتحرك من تحتي حاولت أن أذهب الى منزل خالتي، سقطت الأحجار على رؤوسنا أصيب بعض الأطفال، نقلت

الى مستشفى ذمار، بقيت هناك ثلاثة أيام ثم حملت الى مستشفى صنعاء».

ـ «كنت العب في الخارج بجوار البيت، شاهدت أختي الكبرى تجري سقطت عليها حجرة كبيرة فماتت في الحال».

ـ «شهدت دوياً، قال الكبار أن الحرب قد اندلعت»

ـ «عندما كنت في الحقل، شاهدت كارثة انهيار البيت وقتل الجدة تحت الأنقاض، بقيت أمي حية تحت الصخور والأحجار مغشياً عليها لمدة ساعات أصيبت بجرح نافذ وأصبحت صاحبة عاهة منذ ذلك اليوم».

ـ «كنت في الخارج أغسل الملابس، وفجأة شعرت بهزة الأرض عدت الى البيت فوجدت أخي ميتاً حملته الى الخارج فوق كتفيّ كنت أبكي وأصيح طوال الوقت، وكانت أمي مشغولة برفع أبي س تحت الأنقاض»

ـ «كان كل مس في القرية حزيناً، ويصيح. فالجميع أضيروا سن الزلزال فهناك الحزين على موت الأهل والأصحاب والحزين على ماله والمغتم على المنزل الذي انهار».

ولقد قدم الأطفال لهيئة البحث معلومات تفصيلية ومحددة عما حدث يوم الزلزال وكانت اجابات الصغار معبرة عن قدرة واضحة عما يختلج في النفوس س مشاعر وأفكار، ولقد قدم الأطفال أفكاراً متباينة عن أسباب الزلزال، وكانت الاجابة الشائعة والمتكررة: كان الزلزال «عقاباً الهياً»، لأن الناس تركوا الصلاة والعبادات كما اعتقد

بعض الأطفال أنهم ردوا الى يوم القيامة في ذلك اليوم الحزين، ويكشف هذا التفسير عن قوة الشعور الديني عند الصغار وقد حصل الباحثون أثناء المقابلة مع الصغار على اجابات متنوعة عن تفسير الصغار لأسباب الزلزال:

ـ «اعتقد أحدهم أن سبب الزلزال نشوب الحرب، وأن أحد أطرافها الحكومة والطرف الآخر اليهود».

ـ «أفاد بعض الصغار أنهم يعيشون حالة خوف من حدوث الزلزال مرة أخرى، وثمة كابوس يجسم على صدورهم، وتصور أحلامهم الكثير مما حدث في تلك الساعة المشئومة فالصغار كلهم أجابوا انهم يخافون وقوع زلزال جديد يقتل فيه الأقارب والأهل ويهلك الحرث وتهدم البيوت ويخرجون الى التيه مرة ثانية».

ـ «أفادت قلة من الصغار أنها ترفض الحديث عن الزلزال فهم لا يعتقدون بتكرار الزلزال».

ولكن هل ثمة تغير في الأحوال المعيشية للصغار بعد وقوع الزلزال؟ انقسم المجيبون الى فريقين: الفريق الأول: يرى أن ثمة تغيرات الى الأحسن طرأت بعد الزلزال. والفريق الثاني: يرى أن الحياة الجديدة ليست بأحسن مما كان عليه الحال قبل الزلزال.

وقد أجاب الفريق الأول الذي يرى أن ثمة تغيرات الى الأحسن حدثت في القرية الاجابات الآتية:

ـ «الحياة الأسرية الآن أحسن، لقد بنيت المساكن الجديدة بطريقة آمنة»

ـ «الحياة في القرية الجديدة أحسن، والمدرسة الجديدة أفضل، لدينا الآن كل شيء».

ـ «الطعام الآن أفضل مما كنا نأكل، فنحن الآن نأكل الأرز والخضروات والفاكهة».

أما الفريق الثاني: الذي لا يرى الا الوجه القبيح للزلزال فتنحصر انتقاداته في الاجابات الآتية:

ـ «نعيش الآن في مأوى مؤقت بعد ما انهدم المسكن».

ـ «الحياة من قبل كانت أفضل، كنا نعيش سوياً متقاربين وكان الناس يساعدون بعضهم البعض ولكننا الآن نعيش في عزلة عن الأهل».

ـ «الحياة من قبل كانت أفضل، والمساكن كانت أحسن وأكثر اتساعاً ولكننا فقدنا البيت والأهل ونعيش ليلا في الظلام».

ـ «نعيش الآن في رعب وخوف من تكرار ما حدث، وهل يتكرر وقوع الزلزال بعد بناء واصلاح البيوت، كلنا نفكر في الزلزال والخوف من وقوعه مرة أخرى».

ـ «كان كل شيء من قبل أفضل، لم نعرف منذ ولدنا الزلزال أما الآن فنحن نعيش في رعب من حدوث الزلزال مرة أخرى».

ـ «من قبل كنا أكثر راحة وسعادة، كل شيء ينذر الآن بالكارثة».

ـ «كنا نملك بيتاً وأصبحنا نعيش في خيمة كان كل شيء سعيداً وبهيجاً، تعودنا زيارات الناس الآن نعيش في عزلة».

ـ «ان لم تهدم القرية لكانت المعيشة فيها أفضل، فكرة زيارة القرية القديمة تذكرنا بالكارثة والفاجعة».

ـ «كنا بالقرب من آبار المياه كان لدينا المياه والكهرباء الآن نعيش بلا ماء أو كهرباء».

ـ «كان كل سكان القرية من الأهل والأقارب والأصدقاء يعيشون متجاورين، الآن لا نعرف من يجاورونا ولا هم يعرفوننا».

وهكذا يدرك الأطفال الذين أضيروا من الزلزال أن ثمة تغيرات اجتماعية طرأت على الحياة الاجتماعية وأهم تلك التغيرات الاجتماعية تلك التي أصابت التماسك الأسري فقد كان من السهل قبل الزلزال الحصول على مساعدة الأقارب وتبادل الزيارات مع الأهل الذين تفرقوا وتباعدوا

ولقد كانت التغيرات التي حدثت بعد الزلزال عديدة وأهمها بناء المدارس وتوفر الطعام وتحسن مستوى الخدمات الصحية واتاحة فرص اللعب للصغار

وثمة تغيرات يمكن ملاحظتها بعد الزلزال أهمها:

١ ـ تشتت الأهل والأقارب وبدء ضمور العلاقات القرابية التقليدية والتحول من الحياة الجمعية والعائلية الممتدة الى الأسرة الزواجية وما يصاحبها من نمو الفردية

٢ ـ استخدام التكنولوجيا الحديثة أثناء تعمير القرى الجديدة.

٣ ـ الاهتمام بتحسين الخدمات التعليمية والصحية

واذا ما قارنا اجابات الأطفال عن أحوال المعيشة قبل الزلزال وبعده نجد أن الحياة لها أكثر من معنى عندهم فالبعض يرى أن الحياة قبل الزلزال أفضل والبعض الآخر يرى أن الحياة بعد الزلزال أفضل، ولقد أجاب الأطفال الذين نقلوا الى أماكن التهجير أن حياة المأوى تعني عند الأطفال الظلام والملل والانتظار والسكون وخاصة بعد الغروب، ولا جدال ان المعيشة في مدن الخيام أحدثت شرخاً في البناء النفسي لكثير من الأطفال.

وثمة نتيجة مهمة توصل اليها البحث مؤداها أن العناية الوالدية والعلاقات العاطفية الوثيقة بين الأقارب والتماسك الاجتماعي القوي بين أهل القرية، كلها أسباب أساسية وراء عدم شعور الصغار بالاضطرابات النفسية وعدم تشردهم.

وفي نهاية هذا البحث نقول أنه اذا كانت النتائج السلبية الظاهرة للزلزال تكاد تكون قليلة وأن النتائج الايجابية الواضحة للزلزال أكثر من غيرها، فثمة نتائج سلبية وايجابية للزلزال ما زالت مطمورة ولم تظهر بعد في المجتمعات الجديدة.

المراجـــع

١ ـ الأعمار. الجمهورية العربية اليمنية المجلس الأعلى لاعادة تعمير المناطق المتضررة من الزلازل.

٢ ـ البناء الاجتماعي والشخصية محمد سعيد فرح. الهيئة المصرية العامة للكتاب الاسكندرية: ١٩٨٠م

٣ ـ التحولات الاجتماعية والاقتصادية البناء الأسري. نورية أحمد. رسالة دكتوراه من جامعة عين شمس القاهرة: ١٩٨٥م.

٤ ـ التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن. محمد سعيد العطار

٥ ـ زلزال ذمار الواقع الأليم والدرس المستفاد. محمد سعيد فرح. مجلة معين.مؤسسة سبأ العدد ٢٨ صنعاء: ١٩٨٣/١/١م.

٦ ـ القبيلة اليمنية والتغير الاجتماعي فضل علي غانم. رسالة دكتوراه مقدمة الى جامعة عين شمس.

٧ ـ لتكن هذه الزلازل في العقول والنفوس. محمد الشرفا. مجلة معين. الجمهورية العربية اليمنية أول يناير ١٩٨٣م.

الحرب وآثارها النفسية والاجتماعية والتربوية على الأطفال والناشئة في لبنان

الدكتور مصطفى حجازي(*)

المقدمـــــة:

لاتوجد حروب بدون خسائر وآثار سلبية، والأطفال هم في معظم الحالات أكبر الخاسرين من الحروب وأكثر من يتلقى آثارها السلبية، أياً كان الوطن أو الجماعة التي ينتمون اليها، وهناك حتى اليوم اتجاه لتجاهل النتائج الحقيقية للحرب على الأطفال، على أن هذه الآثار تتنوع تبعاً لطبيعة الحرب مدتها، مجالاتها، وأطرافها.

فالحرب ضد عدو خارجي قد تكون لها آثار ايجابية على الأصعدة النفسية والاجتماعية رغم ما تحمله من خسائر مادية وبشرية، حرب مقاومة الاحتلال الاسرائيلي للبنان مثلا، كسائر حروب التحرر من المحتل والمعتدي تعزز الانتماء وتعلي من شأن الهوية الوطنية والتضامن الاجتماعي، ويجد الأطفال أمامهم نماذج عالية من البطولات تعزز شخصيتهم وتعوضهم عن الصدمات النفسية الناتجة عن الاعتداءات الحربية في حالة من الاعتزاز الوطني.

(*) كلية الآداب. جامعة بيروت. بيروت. لبنان.

ولكن ليس هذا شأن الحرب التي تتخذ طابع الصراعات الأهلية الدامية والمتنقلة من موقع الى آخر ومن صعيد الى آخر، فهنا تغيب كلياً الأوجه الايجابية من المعارك لتبقى الآثار السلبية وحدها، وهي تبلغ في هذا الحالة ـ كما سنرى ـ درجات من الخطورة والشمول والعمق تشمل كل مقومات الحياة والوجود، ولا تقتصر على الجوانب الأمنية وحدها، كما هو حال الحروب ضد عدو خارجي.

ولذلك لابد حين دراسة الآثار الاجتماعية والنفسية والتربوية للحرب اللبنانية على الأطفال من التمهيد في قسم أول بتحديد خصائص هذه الحرب ومعالمها، وذلك على صعيدين أساسيين: أمني واجتماعي حياتي ذلك أن الأضرار اللاحقة بمستقبل الناشئة ـ كما سنرى ـ لا تنتج عن صدمات المعارك وحدها، بل تنبع أساساً من نوع الاطار الاجتماعي الحياتي الذي يعيش فيه هؤلاء الناشئة وأسرهم في ظل الحرب الأهلية.

ذلك أن صدمات الحرب أمنياً قد تعوض أو تستوعب على المدى الطويل بدرجات متفاوتة من النجاح، أما الذي يشك في امكانية تعويضه فهو الخلل الذي يصيب بنية الشخصية ونموها ونمط العلاقات والنظرة الى الذات والوجود، والذي ينتج عن اختلال الأطر الاجتماعية والحياتية في ظل الحروب الأهلية

تستند معطيات هذه الدراسة أساساً على تجربتنا العيادية في العمل مع الأطفال والناشئة والأسر ضمن مؤسسات الرعاية وخارجها

وفي الاطار المدرسي والمهني، حيث تشغل مهاماً ارشادية علاجية تربوية، كما تستند الى الدراسات النفسية العيادية غير المنشورة التي أجراها طلاب الماجستير في قسم علم النفس في الجامعة اللبنانية تحت اشرافنا خلال ٣ سنوات على الأسر المهجّرة والأسر التي تعيش في مناطق الاشتباكات الدائمة، وتستند أخيراً على مراجعة العديد من الدراسات والمقالات وأوراق العمل والمحاضرات التي أعدت عن آثار الحرب اللبنانية على الطفولة والناشئة والأسرة.

١ ـ الخصائص الأمنية للحرب اللبنانية:

لم يعرف تاريخ العنف لوناً أو أسلوباً أو شكلا من أشكاله الا ووجد له في الحرب اللبنانية تطبيقاً، حتى أن الانسان اللبناني قد أضحى خلال ١١ سنة من الحرب محاصراً بالعنف على كل صعيد ومعرضاً له من كل ناحية.

فهناك العمليات الحربية النظامية وشبه النظامية بالأسلحة الثقيلة، هذه العمليات التي تنتقل من منطقة الى أخرى وتتفاوت في ضراوتها وتدميرها أدت الى خلق خطوط تماس ومناطق عزل وفرز سكاني، كما أدت الى تدمير مناطق بأكملها في العديد من أرجاء لبنان والى تهجير مئات الآلاف من السكان تهجيراً نهائياً في معظمه، ومؤقتاً في قسم ضئيل منه

اختلطت هذه المعارك مع الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة من اجتياحات لبعض المناطق وتدمير لها واحتلال لأخرى، ومن غارات

جوية، أو عمليات كوماندوس تزرع الموت والدمار وصولا الى الاجتياح الاسرائيلي عام ١٩٨٢م وما حمله معه من دمار وخراب وخسائر بشرية واصابات ومصائب واعتقالات ومداهمات ونسف، مما يشكل حالة صدمات حقيقية مما سيأتي الحديث عنه في القسم النفسي.

يضاف الى هذه العمليات النظامية وشبه النظامية تفجر وتنقل المعارك داخل الجبهة الواحدة ما بين المليشيات والتنظيمات المسلحة، هذه المعارك المتكررة والتي قد تحدث بشكل دوري أو مفاجيء تتفاوت في ضراوتها، وفيما تسببه من خسائر مادية وبشرية، الا أن الغالب عليها هو انزال الخسائر بالمواطنين العاديين غير المسلحين، فهؤلاء وأرزاقهم وممتلكاتهم وأرواحهم يشكلون وقودها الحقيقي، حتى أن هناك من قال: «ان أفضل وسيلة لحماية ذاتك من أخطار هذه المعارك هو أن تكون مسلحاً» وما يصدم في هذه المعارك هو عبثيتها بالنسبة للمواطنين، فهي خسارة محضة لا تحسم وضعية ولا تؤدي الى نتيجة، فبعد فترة لا تطول تعود الأمور وكأن شيئاً لم يكن، كما أنها تشكل من حيث آثارها النفسية السلبية كابوساً أمنياً للمواطن الذي لا يدري متى سيفاجأ باشتباك أو معركة قد يذهب هو أو أسرته أو أبناؤه ضحية له

ويولد ذلك حالة من القلق الدائم وانعدام الشعور بالأمن في المجال الحيوي المعتاد، وتتراكم الصدمات هذه لترسخ مشاعر التهديد للوجود الذي يظل كامناً في فترات الهدوء ولكن يعود فيتفجر

فجأة عند اندلاع الاشتباكات؛ وهكذا يعيش المواطن في وضعية الخطر الذي لا يدري من أين سيأتيه ومتى يصيبه أو يحاصره، والأخطر من هذه الاشتباكات هو حالات الحصار التي قد يتعرض لها المواطن: حصار الأطفال في المدارس، أو الأب في الخارج، والعيش في قلق اللحظات العصيبة حين تنفصل الأسرة عن بعضها بهذا الشكل.

وتتقطع هذه الاشتباكات مع معارك خطوط التماس ومع القصف العشوائي الذي تنهمر قذائفه على كل مكان لا تستثنى مدارس ولا مستشفيات ولا منازل ولا مؤسسات ناهيك عن الأماكن العامة، وهكذا يصبح البقاء في المنزل خطراً والذهاب الى العمل أو المدرسة خطراً على حد سواء، ويماثل القصف العشوائي في خطورته - أو يزيد من حيث صعوبة اتخاذ الاحتياطات الأمنية اللازمة - عمليات التفجير: تفجير السيارات المفخخة، تفجير المكاتب والمحال، وتفجير المباني، فالخسائر الفادحة التي تنزلها عمليات التفجير هذه بالمواطنين مادياً وبشرياً وعنصر المفاجأة فيها تجعل الانسان يعيش في حالة من الاعتباط التام، يفقد زمام الموقف والقدرة على التصرف، ويلقي به في وضعية الضحية الكاملة التي لا حصانة لها ولا حماية، وهو ما يفجر - كما سنرى - النزعات الخوافية والاضطهادية، موقعاً الكثيرين في حالة من الوساوس المرضية والشلل الحياتي شبه التام نتيجة ما يسعون الى اتخاذه من احتياطات يعرفون أنها قد لا تقيهم خطر الاصابة

ويضاف الى ذلك كله عمليات المجازر الجماعية والخطف والقتل على الهوية (لا لذنب اقترفه المرء الا لأنه من طائفة معينة أو منطقة جغرافية محدودة ذات تجانس سكاني أو طائفي يشكل الخروج منها بالنسبة للغالبية العظمى من الناس خطراً حقيقياً) كما يضاف اليه التوقيف على الحواجز الدائمة أو الطيارة (والتي لا يمكن الاحتياط لها في غالبية الأحيان).

بالطبع لا تتساوى هذه الأخطار الأمنية في شموليتها لكل الناس ولا لكل المناطق، فهناك مناطق خطر دائم وهناك أخرى أقل خطراً، وهناك ثالثة تتضمن خطراً بالصدفة، الا أن الخطر يظل ممكناً في أي وقت وأي مكان.

كما أن أكثر الناس تعرضاً للأخطار هم بالطبع الأقل قدرة وامكانية على الصعد المادية، فهؤلاء يفتقرون الى وسائل الاحتماء أو التحرك الى مناطق أكثر أمناً أو السفر كما هو شأن الموسرين.

ولا تتمثل الآثار السلبية لهذه الأخطار الأمنية في الاصابة المباشرة (موت أو عاهة) أو فقدان الممتلكات أو المسكن أو مورد الرزق فقط، بل تتغلغل آثارها في العمق لتصيب مجمل العلاقات الأسرية مفجرة فيها الصراعات وردود الفعل الانفعالية المتطرفة، كما هو الحال في وضعية الاقامة الطويلة في الملاجىء وما تتضمنه من تحديد للمجال الحيوي وتقييد لحرية الحركة وفرض لنماذج من السلوك الطفلي، وحتى خارج الملاجىء فان النسيج الأسري يضار

بشكل خفي وخطير نتيجة للكابوس الأمني وللعيش في وضعية القلق الدائم، وهو ما سنتوقف عنده تفصيلا في بحث الآثار النفسية.

٢ ـ الخصائص الوجودية الحياتية:

لا تتوقف آثار الحرب على جوانبها الأمنية التي تظل محدودة رغم ضراوتها بل ان الجوانب الحياتية ونمط الوجود الذي ينشأ عن الحرب قد تكون أكبر ضرراً وأعمق أثراً بما لا يقاس على التوازن النفسي والتكيف الاجتماعي المستقبلي للأطفال ولذلك لابد لنا من وقفة متأنية ازاء نمط الوجود الذي ولدته الحرب لاستعراض انعكاساته في الأقسام التالية من البحث ومن الطريف أن نشير هنا الى أن معظم الدراسات التي أجريت على آثار الحرب في لبنان كانت تركز على الجوانب الأمنية في المقام الأول، ولا تعطي للجوانب الحياتية والوجودية الوزن المستحق رغم كونها الأكبر أثراً حيث تؤدي الى نمط مختلف من الوجود، وبالتالي الى نمط مختلف من التوجه والنشأة.

أول خصائص الاطار الحياتي الذي ولدته الحرب وقد يكون من أخطرها على الاطلاق،نظراً لانعكاساته على العديد من العوامل الأخرى، هو انهيار السلطة الرسمية في مصداقيتها ومرجعيتها وأدواتها ورموزها وقوانينها ومؤسساتها، فالمواطن أصبح يعيش بدون مرجع يردع ويضبط رغباته في التسلط أو خرق القانون وبالتالي فلقد أصبح في الوقت عينه بدون حماية، وبدون مرجع يضبط سلوكه وسلوك الآخرين تجاهه، مرجع يؤمن له الحد الأدنى ولو الرمزي من سلطة

توجيه الممارسات والسلوك، المواطن بلا قانون هو مواطن بلا حصانة ولا حقوق، وهو مواطن معرض لكل شيء في كل وقت، وهذه وضعية مولدة للقلق ومشاعر الضياع وانعدام الطمأنينة الجذري، وقد يعرضه ذلك للانفلات بدون حساب ولكنه يلقيه في وضعية الخطر الدائم.

وسنرى أن الأمر بالنسبة للأطفال أخطر من ذلك، اذ يمس قضية تمثل القانون ورموز القانون باعتبارها العملية الأساس في نمو الشخصية المتوازنة نفسياً والمتكيفة اجتماعياً

ومع انهيار السلطة فعلياً ورمزياً تصاب السلطة المباشرة في الأسرة في نفس الوقت (سلطة الأب أو من يمثله، وسلطة الأسرة عموماً) باعتبارها المرجع الأساس للطفل، المنظم لنزواته ومصدر الحماية له، والنموذج الذي يحتذيه لبناء ذاته، ومع وهن سلطة الأسرة وهنت كذلك سلطة بقية المؤسسات الاجتماعية التي تؤطر السلوك وتقننه وتوجه الطاقات وتضع النماذج والمعايير لنمو الشخصية

وهكذا يجد المواطن نفسه كبيراً كان أم صغيراً وحيداً في مواجهة عالم غير محكوم ولا مضبوط ولكن المسألة لا تظل على حالها من الفراغ اذ نشأت سلطات بديلة محلية، تتفاوت في حجمها وقوتها ونفوذها وطبيعة علاقاتها بالناس محل السلطة الرسمية وتقاسمت أشلاءها، هذه السلطات البديلة تؤدي في المقام الأول الى تفتيت الولاء والانتماء اذا كانت قادرة وساهرة على رعاية المواطن، ولذلك

أصبح مرجع الانسان، والطفل في المقام الأول، محلياً ضيقاً يعزله عن الانتماء الى وطن كامل المقومات، وسنرى كيف أدى ذلك الى انهيار الهوية الوطنية بما هي أحد المراجع الرئيسية في بناء الهوية الذاتية.

على أن السلطات البديلة لم تكن دوماً على درجة كافية من الثبات والاستقرار والقدرة على ملء الفراغ فإما أنها تصبح شكلية محضة تقتصر على جوانب القوة ورموز القوة، وإما أنها سلطة متغيرة تتبدل بتبدل الأحوال وسير الأزمة عسكرياً وسياسياً وهنا تنشأ حالات الضياع: الى من يرجع المواطن ومع أي سلطة يتعامل؟ فهو قد يجد قنوات اتصال مع سلطة بديلة معينة لا تلبث الأحداث أن تطيح بها كي يأتي بديل لها وهكذا.

أما على مستوى الأطفال فالكثير منهم يقعون في الحيرة التامة والضياع الكلي حين يجدون أن من كان صديقاً وحليفاً وحامياً قد انقلب الى عدو دون أن يدروا، لماذا؟ ذلك يفتح المجال أمام سيطرة الاعتباط، كمبدأ موجه للحياة، وليس أخطر من هذا المبدأ على نمو الشخصية المعافاة نفسياً والمتكيفة اجتماعياً، الا أن هذا الاعتباط الظاهري سيعود وينتظم في قانون جديد هو قانون القوة المحض. التجربة الحياتية هنا، والمجال الحيوي كله ستحكمه انطلاقاً من ذلك علاقات القوة والعجز، أو علاقات المعتدي والضحية، فانت اما أن تكون قوياً أو محمياً من قوة ذات سلطان فتبيح لنفسك كل شيء وإما أن تكون ضعيفاً وغير محمي فتستباح في

كل شيء، إما أن تسيطر واما أن تنكفىء، تلك هي صورة الواقع الحياتي الذي نتج عن الحرب والذي يتعامل معه الأطفال كما سنرى.

ومن أبرز الآثار الناتجة عن هذا الواقع، ايثار الناس للسلامة وانكفاء غالبيتهم، وفقدان الأطفال لمجال حيوي طبيعي يتحركون فيه ويترعرعون، الشارع مصدر خطر، والحديقة العامة قد أخذت منهم والأماكن العامة غير مأمونة وهنا يتضافر الأمن العسكري مع ما اصطلح على تسميته الفلتان في تصعيد الخطر، وتكون النتيجة أن صورة الحياة وصورة العالم الخارجي عند الأطفال تتصفان بالخطر بدل اتصافهما بالجاذبية وتقديم فرص الانطلاق والتعامل النشط مع الحياة.

ومن أبرز الظواهر التي أنتجتها الحرب على صعيد الحياة العامة الأذى الكبير الذي لحق بالمجال الحيوي الأصلي لشطر هام من المواطنين الذين اقتلعوا وهجروا من مناطقهم، حمل التهجير تحولات كبرى في حياة الآلاف من الناس هي أقرب ما تكون الى الزلزال الذي افقدها تماسكها وتوازنها وافقد الناس انتماءاتهم وعلاقاتهم وغير نمط حياتهم ونظرتهم الى أنفسهم والى وجودهم ومصيرهم فهو ـ كما سنرى ـ يثير أشد مشاعر القلق ويحرك عقدة النقص والعجز وما يرافقها من مشاعر دونية واثم، وما قد تغطي به من عدوانية متفجرة أو افراط في الانكفاء، أو هروب في التحلل السلوكي والخلقي، انه يخلق حالة تشكل خطراً جدياً على التوازن النفسي وعلى التكيف الاجتماعي وعلى التوجه نحو المستقبل: الحياة في سساكن متداعية أو

مهجورة بسبب ما لحق بها من أضرار أو بسبب ما يحيط بها من أخطار أمنية

من ضمن الحالات الأقل حدة في آثارها رغم خطورة هذه الآثار الاقتلاع الدائم والتغيير القسري والدوري للسكن وللمجال الحيوي بحثاً عن الأمن.

ومن الظواهر المميزة لحياة الحرب والتي تمارس أشد الضغوط النفسية على المواطن العيش في حالة دائمة من الغموض وعدم التأكد كيف ستتطور الأمور؟ هل ستنفرج أم ستنفجر؟ ذلك هو السؤال الدائم الذي اتخذ طابعاً هجاسياً قهرياً والذي يطرحه الناس على أنفسهم ويبادرون غيرهم به في كل مناسبة ولقاء، من خصائص الحرب في لبنان أنها انتجت هذه الوضعية المعلقة ولمدة طويلة جداً من الزمن (ما يزيد عن عشر سنوات) فهي تمر بمراحل من التفجر والانفراج متعاقبة وتجر معها حالات مفرطة من الخوف والحذر ومن التفاؤل والاقدام، ولكن لا الخوف كان مجدياً ولا التفاؤل كان فعالا واذا الناس في متاهة حقيقية لا يدرون ماذا يفعلون وكيف يخططون ليومهم وغدهم وحياة أولادهم ومستقبلهم، ان تساوي احتمالات الانفجار والانفراج على الدوام ولد وضعية تتصف بكل خصائص العصاب التجريبي، (صراع توجهين متناقضين ومتساويين في القوة لا يمكن حسمه) اضافة الى ما لهذه الوضعية من آثار خطيرة على توازن الآباء والأبناء على حد سواء على الصعيد النفسي، فانها تؤدي الى حالة ليست أقل خطراً على صعيد التكيف الحياتي والمستقبلي، اذ

حين تضطرب الديمومة وتختل صورة المستقبل أو يصبح متعذراً استشرافها ضمن حدود دنيا س الثبات يختل السلوك لا محالة ويقع الانسان في حالة ردود الفعل الآنية التي تشكل أبرز مقومات التصرفات غير المتكيفة اذا لم تصل الى حد التصرفات الكارثية: عدمية، يأس، استهتار، هروب في الملذات، هروب الى الأمام، وهذا كله يفتح صفحة سوء التكيف السلوكي عند الأبناء.

كل ما سبق من ملامح نمط الوجود المميز للحرب اللبنانية يؤدي الى حالة عامة تتصف بفقدان معنى الحياة المدنية العادية والعيش في حالة طوارىء وتحسب للأخطار الداهمة التي يكتظ بها العالم المحيط بما يتصف به من تهديد وغموض، بالطبع ليس ذلك هو الاطار السليم أو الذي يمكنه تأمين شروط النمو المعافى للأطفال.

ويضاعف من آثار فقدان معنى الحياة المدنية العادية كل الصعوبات والمنغصات الحياتية التي حملتها معها الحرب ومازالت: انقطاع الكهرباء المتكرر، انقطاع المياه، نقص المواد اللازمة لتسيير حياة الناس أو اختفاؤها دورياً مثل الغاز والمحروقات، والخبز وتحول المواطن الى صياد لهذه المواد ما بين الفينة والفينة، بدل الانصراف الى حياته العادية

على أن هناك مستجدات تضاف الى كل ما سبق لتضفي طابع التحول الحقيقي على نوعية الحياة العامة واليومية للناس، وتنتقل بهم الى مرحلة جديدة بدأت تضع المجتمع بكل امكاناته ومقوماته على حافة الانهيار الفعلي، ابرز هذه المستجدات اثنان: انقطاع الصلات

وصعوباتها مع العالم الخارجي والوقوع فيما يشبه الحصار، وانهيار الوضع المالي.

من المعلوم أن جزءاً كبيراً من الازدهار اللبناني كان يقوم على العلاقات والتبادلات مع المحيط العربي والانفتاح على الحركة الاقتصادية الدولية، اما الآن فالتبادل في اتجاه الانحسار الى أبعد الحدود بسبب التدني الهائل في الاتصالات والتفاعلات مع الخارج (صعوبات السفر، صعوبات التأشيرات، التحفظات على قبول اللبنانيين وسد الفرص أمامهم) مغادرة معظم البعثات الدبلوماسية، والمنظمات الدولية، والممثليات التجارية والصناعية والاقليمية للعاصمة بيروت

أما انهيار الوضع المالي فيعود الى الدمار الهائل الذي لحق بقطاعات واسعة من العمران وخسارة الثروات المتراكمة في مناطق كبيرة جداً من لبنان، وانهيار النقد وتراكم المآزق المالية والاقتصادية وهذا كله بدأ يشكل موجة عارمة من الكساد والبطالة

على أن هذه الحالة المستجدة بدأت تهدد جدياً تماسك البنية الاجتماعية اللبنانية وتعرضها للتفتت والتمزق، فالعوز المريع والبطالة واستشراء التعدي على الأموال العامة بدأ يولد موجة من السلوك الجانح وانهيار المعايير الخلقية التي كانت تحكم حياة قطاعات شعبية واسعة سواء لسد الاحتياجات الحيوية أم انجرافاً مع الموجة الشائعة: كل يتدبر أمره كما يستطيع، ومن هنا بداية تفشي ممارسات السلب والنهب والسرقة والتشليح والخطف والتسلط والابتزاز في حالة

من السيادة الكاملة لقانون القوة وفي غياب أي ردع أو عقاب، ومن هنا أيضاً تفشي الادمان على المخدرات والانجراف في الممارسات اللاخلقية والارتزاق.

وسنرى أي آثار ستتركها هذه الحالة في تكيف الناشئة في الأوساط المعوزة أو التي تفتقر الى الحصانة الخلقية الذاتية حتى بدون عوز

طبعاً تتفاوت آثار هذه الحالة الحياتية تبعاً لظروف كل فئة سكانية ومقدار الضغوط التي تمارس عليها وحجم الأزمات التي تعاني منها، وهي تضاف الى آثار الأوضاع الأمنية لتولد واقعاً يهدد مستقبل الطفولة بشكل جدي في لبنان كما سنرى من الاستعراض المتخصص لآثارها في الأقسام الثلاثة التالية:

الآثار النفسية للحرب:

تقسم الآثار النفسية للحرب على الأطفال الى فئتين تتعلق أولاهما بالأخطار والاصابات الأمنية ونبحثها تحت عنوان «صدمات الحرب»، وتنتج الثانية عن عالم الحرب وخصائصه الأسرية والحياتية والاجتماعية، وهي آثار قد تطال بنية شخصية الطفل ويكون لها نتائج أكثر دواماً، وقد درجت العادة على الاهتمام بالأولى دون الثانية نظراً لطابعها الصدمي الملفت للنظر والمقلق، الا أن هذه على ما تولده من قلق لدى المحيط قد تظل أقل خطراً في بعض الأحيان من التأثيرات الخفية التي تطال بنية الشخصية، والنظرة الى الذات والآخرين والوجود.

وفي الحالتين تتفاوت شدة هذه الآثار تبعاً لمدى وطأة الأخطار الأمنية واحتمالات التعرض للاصابات المباشرة، وتبعاً لمدى اضطراب النمط الحياتي بسبب ظروف الحرب

١ ـ صدمات الحرب:

نعالج هنا الآثار النفسية الناتجة عن الأخطار الأمنية على اختلاف أنواعها والتي استعرضناها في القسم الأول س البحث، وتأخذ هذه الآثار شكل الاضطرابات النفسية والسلوكية التي قد تصل حد الصدمة بما لها من أعراض.

ولقد ثبت س التجربة العيادية ومن جملة الدراسات الميدانية على الأطفال الذين تعرضوا للأخطار الأمنية أن مقدار الاضطراب النفسي يتوقف على العوامل التالية اضافة الى شدة الخطر بحد ذاته ومدى استمراره:

ـ فقدان الطفل لوسائل الدفاع ضد الصدمات كما هو شأن الراشدين فالطفل غير مسلح ذاتياً بما يكفي للاستيعاب الملائم للقلق المصاحب للتعرض للأخطار الأمنية، ولذلك فان استجابته قد تكون أشد أو أكثر اضطراباً من استجابة الراشد.
ـ عدم قدرة الطفل على الاستيعاب العقلاني لما يجري، س مثل "لماذا يضربوننا أو يغيرون علينا طالما أننا لم نفعل لهم شيئاً؟" ومن مثل حيرته أمام صراع الحلفاء ومعاركهم الضارية مما يجعله يفقد التوجه في نظرته الى العالم وتقسيمه الى حلفاء وأعداء.

ـ تتوقف آثار الأخطار الأمنية على الأطفال على مدى قدرة الأهل على تحملها واستيعابها، فالطفل يتخذ له من موقف أهله مرجعاً لتقدير استجابته للخطر، فاذا شعر أن الأهل مستوعبون للموقف ومحافظون على رباطة جأشهم، تحمل الخطر بسهولة نسبية، الا أنه يصدم ويستسلم للقلق حين يرى أنهم خائفون بدورهم.

ولقد ثبت من عدد من الدراسات أجريت على أطفال بيروت الغربية لتقدير مدى الآثار النفسية للحرب عليهم أن الاضطرابات السلوكية وارجاع القلق تظهر عند الصبيان أكثر منها عند البنات، وتظهر بوضوح عند الأطفال المنفصلين عن أسرهم (الأطفال المقيمون في مؤسسات رعاية) أكثر مما تظهر عند الأطفال الذين يعيشون مع أسرهم، كما ظهر من الاختبارات المطبقة[1] أن أكثر الأعمار تأثراً بأخطار الحرب هي الفئات العمرية من ٣ ـ ٧ سنوات ومن ١٢ ـ ١٤ سنة، وأن أقل الفئات العمرية تأثراً هي من ٨ ـ ١١ سنة وهي الفئة المعروفة بسن الكمون، وظهر أخيراً خلال نفس الدراسات أن أشد ما يقلق الأطفال هو خشيتهم من فقدان أهلهم بالموت، وبالتالي فقدان حماية هؤلاء الأهل ومجابهة الأخطار الأمنية منفردين.

تصيب صدمات الحرب أكثر ما تصيب الأطفال الذين يعيشون في مناطق الاشتباكات المسلحة الشديدة والمستمرة (مثل خطوط التماس) كما تصيب الأطفال الذين هجروا أسرهم مع التعرض للعنف أو المجازر

---

1 - R. Day and P. Saigh, Psychological Assessment of Children Status in Lebanon, AUB BEIRUT, 1985.

بالطبع كلما وقع ضحايا من الأسرة كانت الصدمة أكبر، خصوصاً اذا شهد الطفل وقوع هذه الضحايا وما حل بها (كأن يقتل أحد ذويه المباشرين في قصف أو تصفية أو مجزرة) أما ابرز مظاهر الاضطراب النفسي المصاحبة لصدمات الحرب فهي:

- **الاثارة العصبية**: الخوف والرعب وتوقع الأذى والخطر، الخوف من الأصوات المدوية والمفاجئة، اليقظة الليلية والأرق، الخوف من الوحدة، الاصرار على النوم مع الأهل، والكوابيس والأحلام المرعبة.

- **الأغراض النفسية الجسدية**: الطفح الجلدي، ارتفاع الحرارة والمرض وانقطاع الشهية.

- **الأعراض النفسية**: تأخر الكلام، النكوص الى وضعية طفلية البوال، الانطواء والسلوك الانسحابي.

- **الأعراض السلوكية**: الهياج الحركي وعدم الاستقرار، عدم القدرة على التركيز، تفجر السلوك العدواني، المشاجرات والميل الى الأذى وتصرفات التشفي

وتتصعد هذه الآثار في حالة العيش في الملاجىء لفترات طويلة وتقييد حرية الحركة وانحسار المجال الحيوي، حيث يزداد التوتر والهياج والقلق، والسلوك العدواني والارجاع الخوافية.

أما التهجير الذي يقتلع الأسرة من مجالها الحيوي نتيجة لموجات ارهاب وعنف وقصف، يصب على مجموعات سكانية

بأكملها، وخصوصاً اذا رافقتها مجازر فإن هذا يشكل أشد حالات صدمات الحرب، فهنا تضاف صدمة الاقتلاع الى صدمة التهديد الأمني.

وأخطر ما في صدمة الاقتلاع ذلك الاحساس بالعجز والهزيمة ان احساس الطفل ويقينه بأن والديه عاجزان عن حمايته من الأخطار الخارجية، وعاجزان عن الدفاع عن مجالهما الحيوي يحدث جرحاً نفسياً لا يمكن أن يندمل بسهولة في شخصيته، فالتهجير هو في النهاية هزيمة، وهو يفجر أشد أشكال القلق البدائي المصاحب لمشاعر العجز والنقص، فالانسان يقوى بمجاله الحيوي المألوف له، شأنه في ذلك شأن بقية الكائنات الحية، فاذا ما أخرج من هذا المجال الحيوي فانه يفقد كل احساسه بالمنعة والحصانة، والمنزل ليس مجرد مكان للايواء انه مجال التاريخ الذاتي الحميم، وهو موضوع الخصوصية وسياجها، انه معقد الكيان الذاتي، واذا اقتلع الانسان من منزله عنوة أو ترهيباً فان ذلك يحمل معنى الاعتداء على نواة الذات عينها وتهديدها وافقادها احساسها بالحصانة الداخلية والمنعة

ومن هنا تظهر لنا أبحاثنا العيادية التي قمنا بها مع طلاب الدراسات العليا الآثار النفسية للتهجير، كما أن الصدمات كبيرة وتمس نواة الشخصية، مما يولد زلزالا يعصف ببنية الأسرة ذاتها: طغيان احساس خفي بالتعرض والانكشاف، وفقدان القدرة والمنعة وما يرافقه من أحاسيس بفقدان ميزان القوى ما بين الذات والعالم، فالتهجير أكبر من كونه مأساة اقتصادية أو سكانية هو مأساة وجودية

كاملة حيث تتغير دلالة الوجود وتتزعزع صورة الذات، ومن هذا ما لاحظناه خلال أبحاثنا على الأسر المهجرة من ارتباك وضيق وحيرة ومشاعر يختلط فيها الأسى والعار بالنقمة والعدوانية في حالة احساس دائم بالانكشاف وفقدان الحصانة، ولقد تبين لنا أن موقف الانسان المهجر عنوة هو دوماً موقف دفاعي في العلاقة مع الذات ومع الآخرين هناك شعور بالذنب نتيجة القصور في الدفاع عن الذات والذود عن الحياض يقض مضجع الانسان المهجر، ولذلك فان كل خطابه دفاعي وكل علاقاته دفاعية: من تبرير الى تجنب وشك وحذر الى محاولة تجميل الصورة الى الانكفاء على الذات ورفض التجاوب (خوفاً من الانكشاف) الى العدوانية الشديدة ضد كل الناس وكل شيء، الى اسقاط العيب والعار على الآخرين الى الخوف من الانهيار أمام الضغوطات التي تتجاوز القدرة على الاحتمال، الى الهروب النكوصي في الماضي السعيد والتغني بأيام هناء العيش وكرامته، ويرافق هذه الأرجاع بعض تصرفات الاستسلام والتخلي عن المسئولية والسلطة، مع ما يرافق ذلك من تبدل في الأدوار وتغير في المكانة خصوصاً مكانة رب الأسرة وسلطته الفعلية والنفسية، ناهيك عن الانجراف في الانحراف والوقوع في وضعيات الخطر الخلقي التي تهدد جدياً تماسك الأسرة وتكيف الأبناء ومستقبلهم، واذا لم تتيسر للأسرة المهجرة وسائل الدعم الكافي أو كانت تفقد الامكانات لاستيعاب الوضعية وتجاوزها فان انعكاساتها على الأولاد لا تخلو من الخطر، فازاء ذلك الجرح الدفين وفقدان التوازن ما بين الذات والعالم يكون على الطفل اما الرضوخ والاستسلام لوضعية الضعف

والانكسار وإما الاستجابة التعويضية بالعنف والعدوانية حيث لا يعود يرى سوى العنف وسيلة للتعامل مع العالم، وإما الهروب الى الأمام والانجراف في السلوك الجانح، هذه الأرجاع تهدد جدياً التوازن النفسي والتكيف المستقبلي.

تظهر الآثار النفسية لصدمات الحرب جلية من خلال رسومات الأطفال والعابهم وتعبيراتهم، فغالبية هذه الرسومات تحفل بصور الأسلحة والمعارك والنيران والقذائف، الدمار والموت هما الموضوع الرئيسي: دمار المنازل، اصابات آلات الحرب ودمارها، الموتى والجرحى والاسعافات، اما الألوان فهي ألوان القلق والعدوانية المتفجرة (الأسود والداكن والأحمر) وأما الخطوط فكثيفة تعكس مدى طغيان مشاعر انعدام الطمأنينة

وأما الألعاب فهي عبارة عن مسرح تفريجي حقيقي: ألعاب الحرب تحتل الحيز الأبرز من معارك الى حواجز خطف وتصفية على الهوية الى أعمال الاغاثة، وهنا يصرف القلق المتراكم من خلال هذه الألعاب التي تقلب فيها الأدوار، فالطفل الضحية يجد شيئاً من التوازن النفسي من خلال لعب دور المعتدي والمهدد دور من يملك التحكم بمصائر الآخرين مما يطلق عليه تعبير التماهي بالمعتدي: حيث المهدَّدُ يصبح مهدِّداً في قلب تام للأدوار

وأما التعابير ومراكز الاهتمام فهي كلها حربية بدورها حتى ليصح القول أنه نشأت عن هذه الحالة ثقافة حربية فتحليل اللغة ونوع المفردات المستخدمة في التخاطب يبينان طغيان مصطلحات الحرب في

عملياتها وأدواتها: التفجير، القصف، القتل، التفخيخ، التقنيص التهجير، التصفية، والاقتحامات

وفيما يتعدى الصدمات النفسية المباشرة والتي قد تكون قابلة للعلاج والتعويض، فان ما يجب أن يشغل البال في هذه الوضعية هو الآثار الدائمة التي تتركها صورة الوجود، هناك فقدان لمعنى الحياة المدنية العادية وهناك فقدان لصورة العالم الواعد الزاخر بالفرص والامكانات، وهناك طغيان لصورة العالم الخارجي المهدد الذي يفتقر الى عناصر الأمان والطمأنينة.

٢ ـ عالم الحرب وتأثيراته:

تتخذ الآثار النفسية على هذا الصعيد طابعاً خفياً ولكن أكثر دواماً لأنه يحدد مقومات بناء الشخصية ونموها، وتتضافر على هذا الصعيد عوامل المحيط الحيوي الذي يعيش فيها الطفل مع التغييرات التي تطرأ على نمط العلاقات الأسرية نظراً لما تتعرض له من ضغوطات.

أما على صعيد المجال الحيوي فان أبرز المؤثرات اضافة الى صورة العالم الخارجي المهدد تتمثل في تحديد المجال الحيوي وما ينتج عنه من انحسار وجودي، يفقد الطفل بسبب الأخطار المتنوعة كل فرص الانطلاق ويفرض عليه التحرك ضمن دائرة قد تصبح مفرطة في ضيقها مما يؤدي الى عالم فقير ونكوصي. كما أن المجال الحيوي

الذي يتحرك فيه الطفل في المدينة خلال أوقات السلم قد أصبح مصادراً من قبل العديد من العناصر والتنظيمات المسلحة، معظم التجهيزات والمؤسسات التي تساعد على الانطلاق والانفتاح على العالم وممارسة النشاطات المنمية إما أنها مصادرة أو متوقفة عن العمل نتيجة الانهيار في مقومات الحياة المدينية ذاتها، حتى أن شبكة العلاقات وفرص التفاعل مع الأتراب والأصحاب تتضاءل لتقتصر على الجيران المباشرين، ان النتيجة المباشرة لهذه الحالة هي الارتداد الى سلوك نكوصي يلازمه افقار ثقافي وحياتي وحرمان من تفتح الامكانات الذهنية وتتكرس هذه الحالة من خلال حياة السلبية التامة التي تفرض على معظم الأطفال الذين يمكثون فترات طويلة في منازلهم وليس لديهم من متنفس الا أفلام الفيديو ذات النوعية الرديئة فهذه الأفلام التي يقضي الطفل ـ مدفوعاً الى ذلك برغبة أهله في الحد من هيجانه وازعاجه ـ جل وقته متفرجاً عليها تلقي به في السلبية وموقف التفرج حارمة اياه من التعامل مع الحياة واكتشافها والسيطرة عليها وصناعتها.

ويضاف الى هذا النمط من الوجود المتصف بالسلبية والانحسار انفجار أطر الزمان والمكان فالتقلبات والمفاجآت الدائمة تحول دون أي تخطيط للمستقبل، وتدفع الى العيش في الحاضر من موضع المنتظر

ان انفجار الديمومة بهذا الشكل واقتصارها على الحاضر وحده يمثل خطراً جدياً على التكيف للمستقبل الذي لا يتم الا عبر انتظام

سيرورة الزمان، فهنا تنحسر قيمة الأشياء الى ما هو ممكن حالياً، مما يفتح باب الميول الاستهلاكية واقتناص الفرص كأسلوب أساسي في التعامل مع الحياة.

أما انفجار المكان فيحمل خطورة كبيرة على تكوين الهوية الشخصية فالوطن الفسيح كوحدة جغرافية كيانية هو أحد مرتكزات تكوين الهوية الوطنية التي تمثل اطار الانتماء الذي لا يمكن لأي هوية شخصية أن تقوم بدونه.

ان انفجار الكيان الجغرافي للوطن الى كيانات محلية ومناطقية يصيب الهوية الوطنية بأكبر الأضرار، حيث تحل هويات غامضة المعالم محلها، ويؤدي ذلك الى الانغلاق على الذات الذي يفتح السبيل واسعاً أمام كل أشكال التعصب والعدوانية تجاه الجماعات الأخرى، المجهولة أو المتجاهلة

فهوية اللون الواحد والمنطقة الواحدة تجعل النظرة الى الوجود منحسرة وفقيرة بقدر ضيقها ومحدوديتها، ويدخل ضمن نفس الاطار اضطراب المرجع الموجه للشخصية وما يصاحبه من اختلال في التمثل النفسي الرمزي للقانون نتيجة لانهيار السلطة المركزية، وحلول سلطات متعددة الألوان ومتنوعة المتانة والصلاحية محلها، خصوصاً أن هذه السلطات البديلة لا تتمتع دوماً بالاستقرار الكافي الذي يكسبها القوة الرمزية الضرورية لتصبح مرجعاً بديلا ومحدد المعالم.

ان اضطراب تمثل القانون يؤدي الى اختلال التوازن ما بين أركان الشخصية أي ما بين النزوات والضوابط الذاتية س جهة والتعامل مع ضرورات الواقع الموضوعي والذاتي من جهة ثانية اختلال تمثل القانون يضع الطفل أمام قلق مزدوج: الخوف من طغيان نزواته والاغراء في الانجراف معها، والخوف من طغيان الأخطار الخارجية التي تشكل مفهوم القانون المتمثل ذاتياً مصدر الشعور بضبطها وحمايته منها، وهنا نعود الى صورة العالم المهدد الذي يحكمه قانون القوة وعلاقات القوة، وحيث يكون على كل انسان أن يحمي نفسه بالوسائل البديلة التي تتوفر له، ويكون الطفل هو الضحية الأولى على الصعيد النفسي لهذه الوضعية، نظراً لقلة حيلته، وفقدانه ذلك الاحساس بالحصانة والمناعة الداخلية

لا تقتصر آثار الحرب النفسية على خصائص المجال الحيوي العام وحده، بل تضاف اليها خصائص المجال الحيوي الأسري وتتفاعل معها، ويكاد الجو الأسري ونوع العلاقات ضمنه يشكل عنصراً حاسماً في تحديد الآثار النفسية والاجتماعية للحرب على الأطفال، فالقوى والعوامل الفاعلة في وضعية الحرب تمارس تأثيرها من خلال مصفاة الأسرة، نوع الموقف منها، أسلوب التعاطي معها وانعكاساتها على جو الأسرة.

وما زالت الحرب تترك بصماتها التي لا تمحى على تكوين الأسرة وحياتها وجوها، وتتراوح المسألة ما بين انهيار الأسرة وتفككها نتيجة لظروف الحرب وضغوطاتها وما يستتبع ذلك من انعكاسات

على توازن الأولاد وبين تراخي الأسرة في القيام بالوظائف النفسية والتربوية والاجتماعية وما يستتبعه من تعثر في عمليات التنشئة السليمة والنمو المعافى، وبين تشتت الأسرة وانفصال أعضائها عن بعضهم البعض لمدد تطول أو تقصر، أو من خلال تسرب الصراعات الخفية اليها وطغيان التوتر والمآزق الوجودية عليها وما لها من انعكاسات تمارس أثرها في الخفاء.

ان أضرار الحرب لا تقتصر على الصدمات فقط بل تتوقف في المقام الأول على مدى الضرر اللاحق بالحياة الأسرية وهو ليس بالقليل وان لم يكن كله جلياً للعيان.

واذا كانت الصدمات التي تصيب الأسرة من تهجير واصابات وأضرار أو تفكك وتشتت بغنية عن تبيان آثارها السلبية على الأطفال فان الضغوطات والأزمات التي تنصب عليها تحتاج الى ابراز فعلها الخفي

هناك في المقام الأول كل حالات القلق الأمني الذي يحاول الأهل اخفاءه بشكل أو بآخر الا أنه ينتقل الى الأولاد من خلال التواصل الخفي ومن خلال ما يولده لدى الأهل من توترات تنعكس على تصرفاتهم وردود فعلهم والتي يمتلك الطفل حساسية شديدة لها، ويتأثر بها بعمق وبصمت، هناك مثلا سلوك الافراط في التحوط من خلال فرض القيود المشددة على حركة الطفل وتحديد مجاله الحيوي، وهناك حالة القلق الدائم والتعبئة النفسية المستمرة لدى الأهل مما

ينعكس قلقاً مضاعفاً على الطفل وهناك حالات الصراع والنزاعات الزوجية الناتجة عن حالة الضغط والتوتر التي يعيشون فيها والتي تنصب على الأبناء.

وهناك حالة التدخل المفرط من قبل الوالدين وخصوصاً الأب نتيجة لبقائه في المنزل لفترات طويلة بسبب الظروف الأمنية مما يربك عالم الطفل ويفقده تلقائيته وخصوصيته، وهناك حالات الانهيار العصبي الخفي أو السوداوية الخفية والتي تثقل جو الأسرة بوطأتها وتؤدي الى انحسار التفاعل وبرودته وعدم التسامح مع الأطفال أو تحملهم وهناك كل حالات الاضطراب والاختلال في قيام الأسرة بوظائفها وادارة حياتها وتخطيط مستقبلها والوقوع في حالة الانتظار القلق في وضعية عدم التأكد وفقدان وضوح الرؤية لما سيأتي، مع ما يحمله ذلك من تذبذب ما بين الافراط في التفاؤل والافراط في التشاؤم مما يفقد الأسرة طابعها المستقر والمنسجم، وهناك أخيراً الخوف المتزايد من المستقبل وما سيحمله من تحديات وتهديدات أصبحت جدية فعلا مع استفحال الضائقة الاقتصادية والانفتاح على أسوأ الاحتمالات ان استفحال الأزمة الاقتصادية بدأ يشكل بحد ذاته تهديداً كبيراً للاستقرار الحياتي والأسري ويمثل حالة قلقية تتجاوز الكثير من المشكلات الأمنية في شدتها، ويفتح الباب أمام تفجر الصراعات والنزاعات الأسرية أو يلقي الوالدين في حالة س الاستسلام اليائس مما يفقدهم سلطة الدور والمكانة لدى الأبناء.

هذاالنمط من الوجود بجوانبه الظاهرة والخفية يحمل في طياته انعكاسات تنصب على بنية شخصية الطفل عينها، فتؤدي الى ادخال الخلل على نموها المعافى وتوازنها وانغراسها، واذا كانت الأخطار الأمنية تقتصر على الفئة الأكثر غبناً من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، فإن انعكاسات جو الأسرة وعالم الحرب تصيب شرائح واسعة من الأسر، وبالتالي تلحق الضرر بمعظم الأطفال.

الآثار الاجتماعية للحرب:

أحدثت الحرب وما رافقها من عمليات تدمير عمراني ومؤسسي تدريجي تغييرات كبيرة ونوعية في البنية الاجتماعية نفسها، مما كان له أكبر الأثر على الناشئة ونموهم وتكيفهم المستقبلي، اذ من المعروف أن سلامة متانة عملية التنشئة تتوقف على مدى عافية البنية الاجتماعية وتماسكها.

عملية التنشئة بدأت تتعرض لتهديد جدي نتيجة لما حل بالبنية الاجتماعية في لبنان ولذلك سنعرض في خطوة أولى الأضرار اللاحقة بهذه البنية ومن ثم ندلف الى الحديث عن الآثار الناتجة عنها على تكيف الناشئة.

أبرز معالم الضرر الذي لحق بالبنية الاجتماعية يكمن في تفتت الوحدة الجغرافية الوطنية للبنان وحلول سلطات محلية بديلة محل السلطة المركزية التي وهنت سيطرتها وتغطيتها للمجتمع. ولقد صاحب ذلك فرز سكاني على أسس طائفية أو مذهبية محلية مما أدى

الى اضطراب الانتماء وانحساره وتضعضع الهوية الوطنية واستبدالها بهويات محلية تفتقر الى المتانة والاستقرار وتتغذى من الانغلاق المتزايد وبروز مشاعر الحذر والعداء،ان وهن المعيار المرجعي الموحد والموجه للسلوك يهدد عملية الانتماء الاجتماعي واستقرار المعايير والقيم والتوجهات، وهذه بدورها تعيق عملية التنشئة الاجتماعية السليمة للأطفال.

كما أن وهن السلطة وفقدان القانون لقوته الملزمة والرادعة موضوعياً وقوته المرجعية نفسياً، أدى الى سيادة قانون بديل يقوم على القوة المسلحة يتحكم بالعلاقات الاجتماعية.

وهكذا فالمسألة تجاوزت مبدأ الغلبة للأقوى كي تطال نوعية العلاقات المواطنية التي فقدت الكثير من طابعها التعاضدي ليحل محله تفشي الفردية والتركز حول الذات، ويفتح هذا الواقع المجال عريضاً أمام تفشي السلوك الجانح الذي لا يجد له من حدود في التعدي على القانون وعلى استباحة كل ما هو عام ومشترك، واذا أضفنا الى ذلك وهن المؤسسات العامة وانهيار فعالية معظمها في تأطير نشاط المواطن وتقنينه، وفي لعبها دورها المرجعي واذا أضفنا اليه أيضاً أن هذه المؤسسات أصبحت في العديد من الحالات مستباحة للاستغلال من كل صاحب قوة نجد أننا أصبحنا على عتبة انهيار البنية الاجتماعية، وليس هناك من حاجة لتباين آثار ذلك كله على الأطفال وسلامة تنشئتهم ذلك أن البدائل التي تبرز ليست لها من القوة

ومقومات الديمومة ما يجعلها مرجعاً ولا حياة سوية اجتماعياً بدون اطار اجتماعي مرجعي يتصف بالمتانة والقدرة على التوحيد.

ان وهن القانون واستباحة المؤسسات وانهيار الحدود تخلق جميعها حالة اللامعيارية الاجتماعية (فقدان قدرة المجتمع على ضبط سلوك الأفراد، وفقدان الفرد للمعايير الموجهة لسلوكه) ومن المعروف أن اللامعيارية تتلازم مع تفشي الانحراف في كل أشكاله ودرجاته، ولهذا فلا عجب أن نجد كل الممارسات الجانحة مزدهرة في المناطق والأماكن التي تفتقر الى المعيارية الاجتماعية: السرقات وعمليات السلب والتشليح في وضح النهار، التعديات على الأشخاص والأملاك والمؤسسات بدون رادع، وهو ما ولد حالة فعلية من وضعية الخطر الاجتماعي، فالمواطن ليس آمناً على ذاته وذويه ومقتنياته ومقدراته لا في منزله ولا خارج هذا المنزل، ويضاف الى ذلك بالطبع تفشي كل المغريات بالسلوك المنحرف والجانح من ادمان على ممارسات لا أخلاقية الى عمالة وارتزاق، وحين تطغى المعايير الجانحة بهذا الشكل فانها تنشر اغراءاتها على قطاعات متزايدة في اتساعها من فئات المجتمع وأخطر انعكاسات لهذه الحالة تمارس آثارها على الناشئة وخصوصاً تلك الفئات التي تفتقد مقومات الحصانة نظراً لضآلة امكاناتها وما تعانيه في الأصل من حرمان مزمن، فهذه الناشئة التي لم تأخذ حظها من الفرص الاجتماعية والتي تتعرض لأكبر قدر من تفشي اللامعيارية الاجتماعية في مجالها الحياتي تجد لها في نماذج السلاح والقوة وما يرافقهما من سطوة واغراءات المنفعة والكسب من

التصرفات المنحرفة، ما يجذبها اليه بشدة لاعطاء وجودها معنى وقيمة ولاعطائها وهم تعويض الفرص الضائعة، وهو ما يمنعها من التوجه نحو الاعداد للمستقبل (غير الأكيد على كل حال) جرياً وراء فرص الغنم الآني.

وتتفاقم هذه الحالة نتيجة لتدخل متغيرين متفاعلين: التهجير والأزمة الاقتصادية.

ان الأضرار التي يحملها التهجير على التكيف الاجتماعي تبلغ حداً مقلقاً فالسكن في أحياء مكونة س خليط سكاني لا رابط بينه وكذلك السكن في بنايات قيد الانشاء، أو مساكن بالاحتلال وخصوصاً السكن في أمان تفتقر الى مقومات البيت كالمكاتب التجارية والمؤسسات العامة وما يرافقه س ازدحام وفقدان الحرمة والحياة الحميمة والشيوع، يشكل حالة للّامعيارية الاجتماعية فهنا تصاب المعايير الضابطة للسلوك بالوهن والتراخي وتبرز من خلال استسهال الانجراف وراء الممارسات المنحرفة والجانحة ولهذا فان الأسر المهجرة بهذا الشكل هي في وضعية خطر خلقي حقيقي والأبناء هم ضحايا هذا الخطر، فالأسرة تتعرض للمغريات من الخارج اضافة لتعرضها للأزمات الداخلية خصوصاً في حالة وهن نظام السلطة فيها

وتأتي الأزمة الاقتصادية وما تحمله من تضخم متسارع بوتيرة مذهلة تفلت من كل قدرة على استيعابه وما ينتج عنه من بطالة متفاقمة لتزيد من وضعية الخطر الخلقي جاعلة منها أمراً تتعذر

مقاومته، هذه الفئات السكانية المهجرة وغيرها مهددة فعلياً بفقدان تماسكها وتوازنها وانهيارها فاستفحال البطالة والتضخم يصعد حالة اللامعيارية الاجتماعية وتكون النتيجة كما نشهد حاليا هروباً من المأزق في السلوك الجانح س ناحية وفي الانكباب على الملذات من ناحية ثانية: الخمرة وتفشي تعاطي المخدرات والتحلل الجنسي والأسرة التي تتعرض لهذا الخطر لابد أن يصاب أبناؤها مما يلقي بهم في نفس الحلقة: الاقدام على ممارسة النشاطات الطفيلية والبحث عن استهلاك الممكن من البقايا السلعية، والاستجداء وصولا الى السلوك الجانح الأكثر نشاطاً مع تقدم السن، فردياً حيناً ومن خلال الانتماء الى عصب جانحة في أغلب الأحيان.

ان الآثار الاجتماعية للحرب تمثل مرحلة متقدمة من الخطورة الفعلية على الأطفال على مستوى الانتماء والتنشئة والتوجه المستقبلي الذي يمثل المؤشر الأبرز على التكيف الاجتماعي، فهذه الناشئة المعرضة للأخطار الخلقية الراهنة هي ناشئة بلا غد لأن دروب الاعداد للمستقبل ليست مفتوحة أمامها، وبالتالي فهي ناشئة مدفوعة دفعاً الى موقع الهامشية الاجتماعية وسوء التكيف.

الآثار التربوية للحرب:

يقسم أثر الحرب على التربية والتعليم الى مستويين يقع على المستوى الأول الأضرار اللاحقة بالعمليات التربوية في القطاع المدرسي الأكثر تقدماً (المدارس ذات المستوى الجيد) أما المستوى

الثاني فيشمل القطاع الأكبر والأوسع وهو قطاع التعليم الرسمي ومن ضمنه الهدر التعليمي اللاحق بالفئات السكانية المهجرة وتلك الأكثر تعرضاً للأخطار الأمنية للحرب.

١ ـ القطاع التربوي المتقدم:

يتضح من دراسة أجراها فريق من أساتذة الجامعة الأمريكية[1] على أوضاع التعليم في بيروت الغربية بعد الاجتياح الاسرائيلي أن آثار الحرب على التربية ليست هينة وان لم تكن كلها منظورة، وتتمشى نتائج هذه الدراسة مع العديد من الدراسات الأخرى التي أجريت على المناطق التي تضررت من الحرب: هناك نقص في عدد المدارس، وتدهور في مستويات التعليم، وأضرار وتدمير للمؤسسات التعليمية وانخفاض عدد المعلمين المؤهلين، وازدحام المدارس المتوفرة وانتقال العديد من المدارس من مقراتها الأصلية (خطوط التماس ومناطق الاشتباك) الى مقرات رديئة (بنايات سكن) ولكنها أكثر أمناً

أكثر المدارس تأثراً بالحرب هي تلك الواقعة على خطوط التماس وأماكن الاشتباكات فهي التي أصيبت بأكبر نسبة من الأضرار في المباني والتجهيزات التربوية والتسهيلات المختلفة

أما الخسارة في الوقت التعليمي فهي كبيرة بدورها وتصل أحياناً الى السنتين خلال المرحلة الابتدائية وتعود نسبة كبيرة من

---

1 Carlton K. Knight: In the Status of Children in Lebanon, A Multi-disciplinary Assessment, AUB BEIRUT, 1985.

حالات اغلاق المدارس الى تردي الحالة الأمنية من ناحية والى الأضرار التي لحقت بهذه المدارس تهديماً وسرقة خلال الغارات والاشتباكات، وأما الخسارة في المواد التربوية فهي أيضاً كبيرة، والعديد من المدارس استنكف عن تعويضها للسرقات المتكررة خلال الغارات والاشتباكات ويصاحب ذلك توقف في خطط التطوير والتوسع التربوي

أما البرامج والمناهج فلقد تعرضت للانحسار والافقار، حيث ألغيت معظم مواد الاجتماعيات (مواد التنشئة والانتماء) واقتصرت العمليات التعليمية على المواد الأساسية من لغات وعلم ورياضيات واقتصر التعليم في هذه المواد على المفاهيم الأساسية في كل موضوع، كما انخفض عدد ساعات التدريس ووصل في بعض الحالات الى ٣ ساعات يومياً نتيجة للعمل بنظام الدوامين أو الثلاثة دوامات بسبب تجميع طلاب المدارس في الأماكن الأكثر أمناً

وأما الروابط مع المحيط فلقد تأثرت بدورها، حيث انحسر النطاق الجغرافي لمصادر الطلاب على الرفقة المحيطة بالمدرسة ، وهو ما أدى الى تصعيد حالة العزلة الاجتماعية والوطنية نتيجة للحد من عمليات الاختلاط والتفاعل، كما أن الروابط مع المحيط قد وهنت نتيجة للعمل بنظام الطوارىء تبعاً للمفاجآت الأمنية.

أما الطلاب فان الدراسة قد أظهرت أن حوالي ٢٠٪ منهم يعاني من تأخر تحصيلي لمدة سنتين، وتبرز المشكلة بوضوح في الموقف من التعلم: تراخٍ في أداء الواجبات المدرسية، تشتت الانتباه والعجز

عن التركيز، وصعوبات الاستيعاب، أما أبرز الظواهر على هـذا الصعيد فهي مشاكل الانضباط: كثرة الغياب، تراخي الشعور بالمسئولية، التهرب من انجاز الواجبات البيتية، تدني احترام المعلمين، ازدياد محاولات الغش، والانشداد نحو النشاطات الميليشياوية.

وأما مؤهلات الهيئة التعليمية فلقد حل بها الضرر أيضاً حيث ترك أكثر العناصر تأهيلا العمل التعليمي بحثاً عن أبواب أخرى للرزق نظراً للضائقة الاقتصادية، ولقد اضطربت نتيجة لذلك عملية تأمين البدائل المؤهلة

٢ ـ القطاع التعليمي الشعبي:

ان الأضرار اللاحقة بالمدارس الرسمية المجانية الخاصة وشبه المجانية لا تقاس بما حل بالقطاع التربوي المتقدم، فآلاف المدارس الرسمية تعرضت للاقفال والخراب بسبب الغارات والدمار الناتج عنها، وبسبب الاجتياح الاسرائيلي، ومن ثم الاشتباكات المسلحة، ومعظم تجهيزات هذه المدارس قد اتلف أو سرق، وصعوبات الاصلاح وتعويض التجهيزات كبيرة، كما أن الآلاف من هذه المدارس تحول دورياً أو بشكل دائم الى مراكز لايواء المهجرين.

وأما المعلمون فان الاضطراب الحاصل في عملهم يمثل مشكلة حقيقية، فالآلاف منهم لا يلتحق بعمله اما لأسباب أمنية، أو نتيجة للتحول الى مصادر أخرى للكسب لسد الاحتياجات المادية.

وأما العمليات التعليمية فهي أقرب الى أن تكون اسمية منها فعلية، حيث المناهج لا تدرس الا جزئياً وما يدرس منها لا يستوعب مما يجعل العديد من التلاميذ في حالة أمية مقنعة، هذا اضافة الى كثرة الغياب وترك الدراسة بسبب الحاجة الى الكسب.

وتبقى المشكلة الابرز على صعيد المهجرين فأبناء هؤلاء قد حرموا فرصة الاستقرار والانتظام الدراسي والنسبة الكبرى منهم تظل بلا مدارس نتيجة لترك مكان الاقامة الأصلي وعدم توفر مدارس بديلة، وهذه الفئة الأخيرة سرعان ما تقع في الأمية شبه الكاملة، وتجد نفسها في حالة من سوء الاستعداد للدراسة بعد تأخر أكثر من سنتين تحصيليتين، هذا القدر من التأخر يسد الباب أمام التكيف المدرسي، وبالتالي أمام حسن اعداد المستقبل مهنياً، وتكون النتيجة عملية تهميش وتسريب واسعة النطاق، وهي عملية تستفيد منها التنظيمات المسلحة التي تجد لها في هذه الفئة من الناشئة خزاناً بشرياً لا ينضب.

وهكذا تتضافر في هذه الحالة مؤثرات الأوضاع الاجتماعية والحياتية للحرب، مع مؤثرات الأوضاع التعليمية مما يشكل تهديداً جدياً لفئة متزايدة في أعدادها من الأطفال والناشئة في الاعداد للمستقبل والتكيف الحياتي.

وفي كل الحالات هناك أذى عام يلحق بالتربية نتيجة للحرب هو تدهور ووهن الهوية الطلابية، وكما أن الهوية الذاتية هي أساس

تشكيل الشخصية، والهوية الاجتماعية هي أساس الاندماج والانتماء الاجتماعي، فان الهوية الطلابية هي أساس الاعداد للمستقبل والنجاح المهني اللاحق.

ان تدهور الهوية الطلابية يؤذي صورة الذات المهنية المستقبلية ويدفع بالناشئة الى البحث عن الاستهلاك من خلال التركيز على الحاضر وما يتضمنه من مغريات، في حالة من الهروب الى الأمام الى وهم النضج المبكر والوصول السريع.

الخاتمـــــة :

تتعدد ميادين الحرب اللبنانية وأطرافها وأشكالها وتتعدد بالتالي آثارها، فالمقاومة ضد الاحتلال، رغم فداحة الخسائر المادية والبشرية التي أنزلها بلبنان، تستنهض الهمم وتعبىء الطاقات وتوحد الشمل وتخلق جواً س البطولة يقدم للأطفال نماذج متقدمة في قيمتها للتماهي وبناء الهوية الذاتية والشعور باعتزاز الانتماء، تعوض هذه الوضعية كثيراً س صدمات الحرب وتساعد على تحملها، أما الحرب ذات الطابع الأهلي فهي أكبر ضرراً على الطفولة حيث لا تقتصر على الأخطار الأمنية وما تسببه من صدمات، بل تتجاوز ذلك كما رأينا لتطال بنية ونوعية المجال الحيوي والتي تنعكس بدورها أزمات تصيب بنية الشخصية وعملية التنشئة الاجتماعية

واذا كانت الصدمات النفسية المتولدة عن الأخطار الأمنية قابلة للعلاج وللاستيعاب ضمن ظروف ملائمة، فان الأضرار النفسية الخفية والاجتماعية والتربوية تهدد بترك آثار دائمة قد يتعذر تعويضها اذا استمرت الحرب.

ولقد وصلت الوضعية حالياً الى النقطة الحرجة التي استنفدت جل طاقات التحمل والاستيعاب وبدأت مرحلة تغيير نوعي في نمط الحياة تنعكس تغييرات دائمة نفسياً واجتماعياً، وهذا هو مصدر الخطر الأكبر على الطفولة ونموها المعافى وانفتاحها على المستقبل.

ولابد بالتالي من دق ناقوس الخطر في هذا الصدد، فاذا لم تتوقف الحرب بسرعة وتستعيد الحياة شيئاً من طبيعتها العادية سنكون بازاء جيل سيتعذر عليه ولوج أبواب المستقبل الواعد.

بالطبع تتنوع آثار الحرب ومداها تبعاً لنوع الأخطار التي تعرضت لها كل من الفئات السكانية اجتماعياً واقتصادياً وجغرافياً الا أن أبرز الأضرار لحقت ـ وما زالت ـ بأكثر الفئات غبناً في الأصل، بينما هناك فئات أقل عدداً كانت ـ وما زالت ـ المستفيدة من هذه الحرب، وهكذا نجد أنفسنا بازاء طفولة قليلة العدد ازدادت حظوظها، بينما الغالبية تتعرض لتضافر الغبن الأساسي والأضرار المتلاحقة التي حملتها الحرب على كل الأصعدة، مما يؤدي الى تراكم الأخطار المحدقة بحاضرها ومستقبلها.

ولسنا ندري متى ستتوقف الحرب، وبالتالي ماهية وحجم الأضرار النهائية التي ستنتج عنها.

الأطفال العرب تحت الاحتلال
«الضفة وقطاع غزة»

الدكتور عدنان عبدالرحيم(*)

المقدمـــــة:

يعاني الأطفال في الأراضي العربية المحتلة، شأنهم شأن بقية السكان العرب في تلك الأراضي، من مختلف أشكال القهر والتحامل، والاضطهاد اذ انهم كالكبار يخضعون لممارسات قائمة على العنف والحرمان من حقوقهم الانسانية والسياسية والمدنية.

ومن الصعب تحديد حدود فاصلة بين الطفولة والرجولة اذ أن المفهوم الأول بالاضافة لدلالاته العمرية يرتبط بمفاهيم ثقافية، تحدد معايير النضج والرجولة، وتجاوز مرحلة الطفولة، وهذه المفاهيم الثقافية تختلف تبعا لاختلاف الأطر الاجتماعية والقيم كما أن تقسيم الطفولة الى طفولة مبكرة وطفولة متأخرة يخضع بدوره أيضا الى معطيات اجتماعية وثقافية مختلفة وسنستعمل المفهوم في هذه الدراسة للاشارة الى المرحلة العمرية التي تسبق المراهقة، والتي تعتبر في العالم العربي بمثابة مرحلة انتقال بين الطفولة والرجولة

(*) الادارة التربوية. منظمة التحرير الفلسطينية دمشق. سوريا.

يتميز سكان الأراضي العربية المحتلة في فلسطين بارتفاع نسبة الأطفال دون سن المراهقة، اذ أن هذه النسبة تكاد تصل الى ٥٠٪ من التعداد العام للسكان، وعلى سبيل المثال كان عدد سكان الضفة الغربية عام ١٩٨٢م (٨٧١ ألفاً) منهم حوالي ٤٠٠ ألف دون سن الرابعة عشرة، أي أن أكثر من ٤٥٪ من السكان في الضفة المحتلة هم من الأطفال[١] أنظر الملحقين (١ - ٢).

وتصل نسبة الأطفال دون سن المدرسة الى أكثر من ٢٠٪ من عدد السكان أي أطفال الفئة العمرية (٠ - ٦) وكان عدد الأطفال في هذه المرحلة العمرية عام ١٩٨٥م في الضفة الغربية وقطاع غزة يزيد عن ٣٠٠ ألف طفل معظمهم محرومون من مختلف أشكال الخدمات التربوية والصحية والاجتماعية الضرورية لنموهم، وسنشير في وقت لاحق الى تلك الخدمات ومحدوديتها.

أطفال الأراضي المحتلة تحت الاحتلال. وضحايا الحروب:

بالاضافة الى التغذية الجيدة، والبيئة الصحية، يحتاج الأطفال في المراحل المبكرة من حياتهم الى تأمين جملة من الشروط الاجتماعية والثقافية والانسانية الضرورية لنموهم السليم ولعل اهم هذه الشروط هي: «الاستقرار والمحبة، الشعور بالأمان، الرعاية الأسرية، انعدام التهديد، الارتباط بالأم، وجود الحياة العائلية

---

١ - المجموعة الاحصائية الفلسطينية منظمة التحرير الفلسطينية. المكتب المركزي. دمشق: ١٩٨٣م.

السليمة، القدرة على الاتصال بالأطفال الآخرين، وتأمين المؤسسات التربوية والاجتماعية الكفيلة برعايتهم والتي تساهم في تأمين نموهم الانفعالي والعقلي باتجاهات صحية وسليمة» [1]

ولاشك أن النزاعات العسكرية، والحكم العسكري، في الأراضي المحتلة قد أديا الى خلق أوضاع لا تساعد على تأمين الأجواء المناسبة لنمو الأطفال، اذ أنهم وقعوا ضحية لأعمال العنف، والقمع والاضطهاد المستمرة، وحرموا من أبسط حقوقهم الانسانية، وكانوا إما ضحايا مباشرة للقمع والعنف المسلح أو أنهم كانوا ضحايا غير مباشرة لجملة التغييرات في البيئة المحيطة بهم وبأسرهم نتيجة للاحتلال[2] فقد تعرضت الأسر الفلسطينية في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة، والأراضي التي احتلت من فلسطين عام ١٩٤٨م الى انتزاع الأراضي، والأملاك ونسف البيوت من قبل السلطات العسكرية الصهيونية والتهجير، أو فقدان الأب أو الأم وأحيانا العائلة بكاملها، نتيجة للعمليات العسكرية الاسرائيلية، أو نتيجة لردود فعل السلطات الصهيونية العسكرية على أنشطة المقاومة الفلسطينية داخل الأرض المحتلة وخارجها.

---

1 A Guide to Facilities for Early Childhood Care and Education. UNESCO/UNICEF/Paris 1985.

2 Brisset, Claire; Les Enfants dans un monde, de conflits, lemonde Diplomatique Janvier, 1986. P.

ويمكننا تمثيل جملة مظاهر لتأثير الواقع الاضطهادي الذي يعاني منه الأطفال الفلسطينيون في فلسطين المحتلة، وتتجلى هذه المظاهر في عدة ميادين أهمها:

- تأثير الاحتلال العسكري الصهيوني على أنماط حياة الأطفال داخل الأراضي المحتلة.
- أثر القهر العسكري على حرمان الطفل سن حقوقه السياسية والمدنية
- تأثير الاحتلال على المؤسسات التربوية والاجتماعية التي ترعى الأطفال هناك.
- الاستغلال الاقتصادي للأطفال قبل سن العمل في سوق العمل السوداء في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة

القمع في المجال السياسي:

تأثر الأطفال في الأراضي المحتلة، بواقع وجود احتلال غريب يمنعهم من ممارسة حياة طبيعية، وفي الوقت نفسه يحرمهم من الشعور بالانتماء الى وطن مستقل ويعاني الطلاب منهم بشكل خاص من (القلق) وعدم الاستقرار والتمرد، وغياب الهوية السياسية، وغياب الدولة الوطنية والاغتراب والتغريب والتمزق الاجتماعي[1]

---

١ - علي سعود عطية مشكلات الطلبة في الأراضي العربية المحتلة.دراسةمقدمة الى ندوة الآثار التربوية للصراع العربي الصهيوني. جامعة الكويت. الكويت. مارس/ آذار ١٩٨٥م.

وتفرض عليهم ثقافة غريبة وقيم لا تتناسب مع القيم التي اكتسبوها من أسرهم وبيئتهم الاجتماعية من خلال وسائل الاعلام الصهيونية وأنماط الحياة القائمة على ثقافة استهلاكية غريبة عن بيئتهم المحلية

ويشكل غياب كل من الهوية السياسية والانتماء لوطن واحد أهم مصادر الاحباط الذي يعاني منه الأطفال في ظل الاحتلال كما ان ذلك يعقد مسألة اكتسابهم لهويتهم الوطنية وبلورة شخصية ثقافية فلسطينية متميزة، ويرافق ذلك تعبئة حاقدة ضدهم في أدبيات الأطفال التجارية الموجهة للطلبة اليهود، يقول الباحث فوزي الأسمر: إن هذه الكتب مليئة بالموضوعات التي تتحدث عن قيام الطفل اليهودي بهزيمة الطفل العربي. الذي يتعطش للقتل، والذي يمثل بالنسبة له متعة شخصية وهو متردد جامد، يؤمن بالحتمية والاستسلام للقضاء والقدر[1] وكذلك فان العربي يقدم للطفل اليهودي بأنه لا توجد لدى العربي قيمة للحياة، وهو لص أيضا يسرق لأن هذا في طبيعته، يغدر بأهله وأقاربه، منحط، يبيع نفسه وضميره وشعبه بأبخس الأثمان، جبان لا يقدر على الحرب وغدار[2]

---

١ ـ فوزي الأسمر صورة العربي في أدب الأطفال الصهيوني. دراسة مقدمة الى الندوة نفسها. جامعة الكويت. الكويت ١٩٨٥م.

٢ ـ المصدر نفسه ص: ١٠

إن هذه التعبئة تفسر الكراهية التي يواجه بها اليهود الأطفال العرب في الأراضي المحتلة، وبشكل خاص الأطفال الفلسطينيين في الأراضي المحتلة قبل عام ١٩٦٧م، وتفسر أيضا الوحشية التي يعامل بها الجنود الأطفال الفلسطينيين أثناء التظاهرات الوطنية المعادية للاحتلال.

ونتيجة لعوامل الاحباط الاجتماعي والسياسي التي يعاني منها الأطفال العرب في الأراضي المحتلة، فهم يشكلون قوة رئيسية بين الفئات العمرية التي تتصدى للاحتلال وهم دائما في طليعة التظاهرات الوطنية يتصدون للقوى العسكرية الاسرائيلية بالحجارة، والزجاجات الحارقة، وقد تعرض الكثيرون منهم الى القتل والغرامات، والاعتقال في السجون الاسرائيلية، ولم تأخذ السلطات الصهيونية بعين الاعتبار صغر سن معظمهم[1] وقد شكل هؤلاء الأطفال ظاهرة سياسية وطنية وأطلق عليهم لقب (**أطفال الحجارة**)[2]

١ ـ تقرير مقدم الى لجنة حقوق الانسان الدولية. منظمة التحرير الفلسطينية. دائرة التربية والتعليم العالي.. في عام ١٩٨١م تم اعتقال ٤٤٧ طالباً وطالبة، وفي عام ١٩٨٢م أعتقل ٣٣٨ طالباً وطالبة، وفي عام ١٩٨٥م اعتقل ٢٥٢ طالباً وطالبة عمّان: ١٩٨٦م.

٢ ـ أنظر: تقريراً مترجماً عن مجلة تايم باسم (أطفال الحروب)، صادر عن الدراسات الفلسطينية بدمشق، بتاريخ ١٩٨٢م. يتضمن التقرير شهادات حية صادرةعن الأطفال يروون فيها معاناتهم من القمع العسكري الصهيوني والحروب. وهناك شهادات صادرة عن أطفال فلسطين في كل من لبنان والضفة الغربية.

ويروي رجا شحادة في كتابه «قانون المحتل». الانتهاكات الاسرائيلية لحقوق الانسان ضد الأطفال الفلسطينيين في كل س الضفة الغربية وقطاع غزة[1]، ويشير الى قيام الاسرائيليين باعتقال طلاب المدارس الصغار من المرحلتين الثانوية والاعدادية بشكل عشوائي، والتعرض لهم في الشوارع بالضرب ودفعهم الى المعتقلات.

واقع الأسرة الفلسطينية تحت الاحتلال وأثر ذلك على الأطفال:

تعاني الأسرة الفلسطينية في ظل الاحتلال الصهيوني من تدهور أوضاعها الاقتصادية وتدهور دخولها المادية، فلقد فقَدَ الكثير من المزارعين الفلسطينيين أراضيهم من خلال المصادرة بحجة دواعي الأمن، وأحيانا من خلال سيطرة المستوطنين الصهاينة عليها لاقامة مستعمرات جديدة، وبتشجيع مباشر من السلطات الصهيونية العسكرية الرسمية وتقدر بعض المصادر أن أكثر من ثلث الأراضي الصالحة للزراعة في الضفة الغربية قد تم الاستيلاء عليها كما أن رقابة صارمة تفرض س قبل السلطات المحتلة على مصادر المياه، مما أدى بالاضافة الى ضعف انتاجية الأرض الى دفع عدد كبير من العاملين الفلسطينيين في الزراعة الى البحث عن عمل في فلسطين

1- Shehadeh, Raja; Occupiers Law, Palestine Studies, Washington, D.C., 1985.

المحتلة عام ١٩٤٨م في المصانع الاسرائيلية أو في قطاع الخدمات كعمال غير مهرة لا يتمتعون بأية ضمانات صحية أو اجتماعية أو نقابية وقد رافق هذه التحولات ارتفاع تكاليف المعيشة وتضخم نقدي مما زاد في بؤس الأسرة الفلسطينية وأضعف قدرتها على رعاية أطفالها، وتوفير الامكانات المادية اللازمة للعناية بأطفالها وتغذيتهم وتأمين مستوى مقبول من الخدمات الصحية والاجتماعية لهم.[1]

وأدت هذه التغيرات الاقتصادية وضعف دور الزراعة في الناتج العام لاقتصاديات الضفة الغربية وقطاع غزة وخروج كل من الأب والأم أحيانا الى العمل بعيدا عن أماكن سكناهم الى تغير كبير في العلاقات الأسرية، مما أدى بالتدريج الى تفكك العائلة الكبيرة، وضعف رقابة الوالدين على الأولاد، والتقليل من دور الوالدين في التنشئة الاجتماعية للطفل، واكسابه جملة القيم الأخلاقية والاجتماعية التقليدية، وبالتالي حرمان الوالدين من المساهمة الفعالة في بلورة شخصية الطفل على المستويين الانفعالي والاجتماعي.

ويعاني المجتمع المحلي في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة حالياً مما عانى منه المجتمع الفلسطيني في فلسطين المحتلة قبل عام

---

١ ـ تتضمن دراسة لباحث يهودي «احصائيات عامة عن نتائج الاحتلال الاسرائيلي لكل من الضفة الغربية وقطاع غزة» وتتضمن التأثيرات الديمغرافية والتغيرات على الزراعة والبنى الصناعية في الضفة الغربية نتيجة الاحتلال.

Benvenisti, Meron: The West Bank Data Project, American Institute for Public Policy Research, Washington, 1985.

١٩٦٧م س انتقال المزارعين العرب من قراهم للعمل في قطاع الخدمات الاسرائيلية، وانهيار المجتمع القروي والأسرة الكبيرة وتفكك الروابط التقليدية بين أفراد الأسرة، وضعف الضغوط الاجتماعية والأسرية على الأطفال، مما ساهم في اغتراب هؤلاء الآخرين وحرمانهم س حقهم في نمو اجتماعي ثقافي يرتبط بأصولهم وبيئتهم العربية، وسنشير في فقرة لاحقة الى دور تعليم العرب من قبل سلطات الاحتلال في زيادة هذا الاغتراب وتعميقه[1]

ولقد واجه الأطفال في المناطق المحتلة انماط حياة تميز سكان المستوطنات الصهيونية القريبة من قراهم ومدنهم، تختلف عن قيم وتقاليد وعادات وأنماط سلوكهم كما أن سلوك سكان المستوطنات وجنود الاحتلال تجاههم ينطوي على كثير من الاحتقار والازدراء بقيمهم وعاداتهم وتقاليدهم، مما ساهم في زيادة وحدّة الشعور بالحقد والتحدي تجاه العدو المحتل.

ولقد أدى تطبيق مبدأ «العقوبات الجماعية» القائم على نسف بيوت عائلات الفدائيين والمناهضين للاحتلال، واعتقال أفراد أسرهم الى فقدان آلاف الأسر الفلسطينية لأماكن سكناها، وبالتالي تشردها، وتشرد أطفالها وهجرتها، بحثا عن مأوى مما ساهم في زيادة شعور أطفال تلك الأسر بعدم الاستقرار وفقدان الأمان، والشعور بالتهديد الدائم، وأدى بالتالي الى اضطرابات انفعالية، ونفسية لدى الأطفال،

---

1 Zureik, Elias: The Palestinians in Israel, A Study of Internal Colonialism, Routledge and Kegan Paul, Ltd., 1979.

وحرمهم من حقهم في الاستقرار الضروري لنموهم النفسي والانفعالي وباختصار حرمهم من طفولتهم.

وعمدت السلطات الصهيونية أيضا الى إبعاد عدد كبير من المناضلين الوطنيين عن الضفة الغربية وقطاع غزة، مما فصل بين عدد كبير من الآباء وأبنائهم وحرم أطفالهم من رعاية الأب، الضرورية لنموهم النفسي والانفعالي كما أنها اعتقلت آلاف الآباء في السجون وزاد عدد السجناء من الوطنيين والمقاومين عام ١٩٨٥م عن ٢٠٠٠ مناضل، مما حرم أبناءهم من رعايتهم وحال بين الآباء وبين الإشراف على حياة أطفالهم في المراحل المبكرة من طفولتهم، وهناك آلاف الأطفال في الضفة الغربية من الذين لم يروا آباءهم أبداً.

ولقد تعرض أطفال الآلاف من الشهداء الى حياة صعبة وقاسية تميزت بالفقر والعوز، نتيجة لفقدان المعيلين، هذا بالاضافة الى الاضطهاد المميز الذي تعاني منه عائلات أولئك الشهداء من سلطات الاحتلال، وهناك آلاف الأسر التي فقدت بالاضافة للأب عدداً من أبنائها في النضال ضد الاحتلال الصهيوني، وبذلك واجه أطفال عدد كبير من الأسر الفلسطينية في الأراضي المحتلة واقع الموت والتهديد بالقتل والنفي والسجن وغياب الأخ أو الأب فجأة في أوقات مبكرة من طفولتهم، مما أثر على نموهم النفسي والانفعالي بشكل سلبي وسبب لديهم أشكالا مختلفة من القلق والسلوك العدواني، والمخاوف المرضية والوساوس واضطرابات فيسيولوجية مختلفة ذات منشأ نفسي.

وحتى الآن لم تدرس هذه الظواهر دراسة ميدانية احصائية في الأراضي المحتلة من قبل باحثين عرب، لتبيان مدى تأثير القمع الصهيوني على حياة الأطفال النفسية في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة، وفي الوقت نفسه تحديد الاحتياجات التربوية والاجتماعية والصحية الكفيلة بالحد من تأثير القمع العسكري على الأطفال العرب في الأراضي المحتلة، وخاصة في ظل الافتقار الحاد الى المؤسسات التربوية والاجتماعية التي تعنى بالأطفال في المراحل المبكرة من حياتهم «رياض أطفال، حضانات» مراكز خدمة اجتماعية ومراكز صحية، نواد للأطفال، ومكتبات. إلخ».

وحرم عدد كبير من الأطفال الفلسطينيين رعاية الأب نتيجة لهجرة آبائهم خارج الأراضي المحتلة، وتشير بعض المصادر الى أن معظم المهاجرين من الذكور المتعلمين الذين تتجاوز أعمارهم العشرين، والذين يتركون خلفهم أطفالهم وأسرهم بحثا عن فرص للعمل في المناطق النفطية في الوطن العربي، وبلغ عدد المهاجرين عام ١٩٨٢م وحده من الضفة الغربية حوالي ٣٢,٩٠٠ مهاجر، ومعظم هؤلاء تركوا أسرهم في الوطن أي أنهم تركوا أطفالهم بدون رعاية أبوية، ومنذ عام ١٩٦٨م هاجر من الضفة الغربية أكثر من ١٣٦ ألف فلسطيني وحوالي ٩٠ ألفاً من قطاع غزة[1]

1 Benveuisti, Meron: Op. cit.

الأطفال العرب وسوق العمل السوداء في (الكيان الصهيوني):

يعمل في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م حالياً أكثر من ١٥٠ ألف عامل من الضفة الغربية وقطاع غزة، وأكثر من ٥٠٪ منهم يعملون في قطاع البناء، والباقون يعملون في قطاعات الخدمات وهم محرومون من كافة الحقوق والضمانات الصحية والاجتماعية، ويعمل عدد كبير منهم دون عقود عمل تحميهم من الطرد، ومعظم هؤلاء كانوا مزارعين هجروا أراضيهم، ولا يملك معظمهم مهارات مهنية أو تقنية، لذلك توكل اليهم الأعمال التي لا تحتاج الى مهارات مهنية والتي تعتمد على التحمل الجسدي والتي لا يقبل العمال اليهود بها، وهؤلاء يعملون طوال النهار في المدن الساحلية في فلسطين ولا يحق لهم البقاء فيها في الليل.

وبالاضافة لهؤلاء ونتيجة الأوضاع الاقتصادية الصعبة للأسر الفلسطينية استغل بعض رجال الأعمال اليهود حاجة تلك الأسر لدخول الأطفال، فنشأ نتيجة لذلك ما سمي (بسوق عمل الأطفال) السوداء، وليست هناك معطيات احصائية دقيقة تتعلق بعدد الأطفال دون سن الرابعة عشرة الذين انخرطوا في سوق العمل السوداء، ولكن الصحف الاسرائيلية تتحدث بشكل متصل عن قيام رجال الأعمال اليهود باستئجار الأطفال الصغار من الضفة الغربية وقطاع غزة بموافقة ضمنية رسمية ونقلهم من ساحات محددة في المراكز المدنية في الضفة الغربية وقطاع غزة الى داخل الكيان الصهيوني، للعمل في الزراعة والبناء وقطاعات الخدمات المختلفة

لقد ترك معظم هؤلاء الأطفال مدارسهم وتوجب عليهم مواجهة المشكلات الصحية والاجتماعية في أعمال ومهن تحرمهم من التمتع بطفولتهم، وتعرضهم أيضا الى أشكال متنوعة من التشوه النفسي والانفعالي وتعيق نضجهم العقلي، وتكامل شخصياتهم، وتصف صحيفة دافار الصهيونية في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧٨/٨/١٤م بعضا من هؤلاء الأطفال العرب في قطاع غزة بقولها:

«ومازال كثيرون منهم يصلون في كل صباح الى سوق العبيد في مداخل عسقلان، وينتظرون من الساعة الرابعة صباحا حضور رب العمل اليهودي الذي يأتي ويأخذهم من هناك ليوم عمل، يحصلون لقاءه على ما لا يزيد عن ٤٠ ليرة اسرائيلية، وعندما يشغّل رب العمل اليهودي طفلا عربيا يقل سنة عن ١٤ عاماً تفرض عليه غرامة مضحكة لا تتجاوز ٥٠ ليرة اسرائيلية على الأكثر[1]، ويعمل

---

١ عن صحيفة دافار بتاريخ ١٩٧٨/٨/١٤م "عن نشرة الأرض الصادرة في دمشق، عن مؤسسة الأرض"، السنة السادسة العدد (٢). ١٩٧٨/١٠/٧م تروي المجلة قضية الرحلة اليومية لطفل لا يتجاوز ١٤ سنة من عمره من قطاع غزة الى فلسطين المحتلة للعمل المرهق في المدن الاسرائيلية

راجع أيضاً كتاب (سوق عمل الأطفال العرب في اسرائيل).

The Market of Arab Children in Israel, Israel League for Human and Civil Rights, Tel-Aviv, December, 1978.

حكاية طفل من غزة يعمل في جني الحمضيات. القبس ١٩٨٦/٦/٢٧م وتتحدث الكاتبة Anne M. Lech عن عمال غزة من الأطفال في دراستها Gaza, Forgotten Corner of Palestine, J.P.S., Beirut, August, 1985.

معظم هؤلاء الأطفال في مهن يسميها اليهود عادة بالأعمال السوداء، وحياة العمل اليومية المتعبة لهؤلاء الأطفال تمتد لأكثر من ١٢ ساعة، مليئة بالمتاعب التي يلاقونها وبعض أرباب العمل اليهود يرفضون في نهاية العمل اعطاء بعض هؤلاء الأطفال أجورهم، ولا يستطيع أولئك الآخرون المطالبة بها رسمياً أمام السلطات الصهيونية»[1]

إن انتزاع الأطفال من مدارسهم وبيوتهم وزجهم كقوة عمل رخيصة يكاد يمثل سياسة مقبولة من قبل السلطات الصهيونية، بشكل يماثل سياسة الحكومة العنصرية في جنوب افريقيا في استخدام الأطفال السود في مناجمها ومصانعها

الواقع التربوي للأطفال في الأراضي المحتلة:

نتيجة لتردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الأراضي المحتلة يعاني الأطفال في المراحل المبكرة من حياتهم من ندرة الخدمات التربوية والصحية والاجتماعية وترديها على المستويين الكمي والنوعي، اذ لا تتوفر للأطفال دون سن السادسة الحضانات والروضات الكفيلة بمساعدتهم على النمو الفيزيولوجي والعقلي والنفسي، ولم تعمد سلطات الاحتلال الى انشاء حتى ولو دار حضانة أو روضة واحدة في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة، كما أن وكالة الاغاثة الدولية (الأونروا) التي تعلم عدداً كبيراً من الأطفال

---

١ المصدر نفسه الصحيفة نفسها.

الفلسطينيين في مرحلة التعليم الأساسي «أي كل من المرحلتين الابتدائية والاعدادية» لاتدير سوى ١٥ صفاً تحضيرياً لمدة سنة واحدة تسبق التحاق الطلاب في المرحلة الابتدائية في قطاع غزة[١]، وأما في الضفة الغربية فليست هناك هيئة رسمية تقوم بهذا النشاط.

وتدار معظم روضات وحضانات الضفة الغربية وتمول من قبل الجمعيات الخيرية والنسائية المحلية، وكانت هذه تمول وتدير أكثر من ٧١ روضة في الضفة الغربية عام ١٩٨١م باستثناء منطقة القدس وحوالي ٥١ روضة في منطقة القدس في العام نفسه ضمت حوالي ١٣٤٦٠ طفلا وطفلة، ونقص العدد في العالم التالي ١٩٨١ - ١٩٨٢م بحيث أصبح ١٣٠٤١، ومن الملاحظ أن نسبة الأطفال الملتحقين بالرياض الى نسبة الأطفال في المرحلة العمرية (٣ - ٦) تقل عن نسبة ٦٪ أي أن ٩٤٪ من الأطفال في سن الحضانات والروضات في الضفة الغربية لا تتوفر لديهم فرص الالتحاق بحضانة أو روضة[٢]

وأما في قطاع غزة فليس الوضع بأحسن حالا اذ لم يتجاوز عدد الحضانات والروضات التي تديرها الجمعيات الخيرية والنسائية المحلية عام ١٩٨٤ - ١٩٨٥م(٥٧)روضة وحضانة، ضمت في العام

---

١ - الدكتور عدنان عبدالرحيم. تعليم العرب في فلسطين المحتلة مركز الدراسات الفلسطينية. دمشق: ١٩٨٥م. ص: ٨٢.

٢ المصدر نفسه ص: ٨٥.

نفسه حوالي ٥٧٦٦ طفلا، أي أقل من ٦٪ من عدد الأطفال في المرحلة العمرية ما قبل المدرسية، وليست هناك معاهد لتدريب العاملات في تلك الروضات أو مناهج خاصة في تلك المؤسسات التربوية، كما أنها تعاني من نقص في أدبيات الأطفال الصغار، والألعاب، وتعاني الأبنية من نقص في الباحات والملاعب والشروط الصحية الأخرى. (أنظر الملاحق ٣، ٤، ٥).

وتتميز الحياة المدرسية في المرحلتين الاعدادية والثانوية باضطراب مستمر نتيجة عمليات الاغلاق المتكرر لعدد كبير من المدارس الاعدادية في الضفة الغربية وقطاع غزة[1]، والاعتقال المستمر للطلاب وحتى داخل مدارسهم واعتقال الأساتذة[2]، وابعاد

---

١ الأوضاع التعليمية في الوطن المحتل للعام الدراسي ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦م. م.ت.ف-دائرة التربية والتعليم العالي. عمان: ١٩٨٦م. ص: ١٥، يورد التقرير أمثلة عن اغلاق المدارس الاعدادية والابتدائية في ١٣/٣/١٩٨٥م اقتحمت القوات الاسرائيلية مدرسة ذكور الجلزون بتهمة رشق سيارة عسكرية بالحجارة. وفي ٢٧/٣/١٩٨٥م اقتحمت القوات الاسرائيلية مدرسة البيرة الاعدادية واعتدت بالضرب على الطلاب وهيئة التدريس. وفي ٣٠، ٣١/٣/١٩٨٥م أغلقت السلطات الاسرائيلية كل المدارس في الضفة الغربية بسبب يوم الأرض الخ.

٢ لقد شملت عمليات الحذف في المقررات المدرسية بعض الكتب المقررة في المرحلتين الابتدائية والاعدادية، وتركزت بشكل خاص على كتب الاجتماعيات واللغة العربية والديانة الاسلامية، وعلى سبيل المثال شمل الحذف والتشويه مقاطع كاملة من كتاب جغرافية آسيا العربية للصف =

بعضهم أحياناً خارج الأراضي المحتلة وقيام المستوطنين الصهاينة بمهاجمة المدارس الاعدادية وضرب الطلاب وتعطيل المدارس، ولم تتورع سلطات الاحتلال عن سجن الأطفال من طلاب المدارس الابتدائية والحكم عليهم أحياناً بغرامات مادية كبيرة. (أنظر الملاحق ٦، ٧، ٨).

لقد أدى ذلك الى اضعاف الناتج المدرسي للطلاب في المناطق المحتلة وتسرب عدد كبير من الطلاب وانقطاعهم عن الدراسة في المرحلتين الابتدائية والاعدادية، إن الطالب الذي يسجن مرتين في سنة واحدة سيجد نفسه خارج المدرسة في العام التالي، وبالتالي سيبحث عن عمل في المدن الفلسطينية لا يحتاج الى مهارة فنية أو تقنية، ويشكل هؤلاء الطلاب نسبة كبيرة من اليد العربية العاملة في فلسطين المحتلة قبل عام ١٩٦٧م.

وبالاضافة لذلك يحرم الطفل في كل سن المرحلتين الاعدادية والثانوية من الاطلاع على ثقافة أمته العربية وثقافة شعبه الوطنية، اذ عمدت سلطات الاحتلال الى منع الكتب المقررة التي تتحدث عن

= الخامس الابتدائي، فاستبدلت عبارة "السهل الساحلي الفلسطيني" بالسهل الساحلي الاسرائيلي، وحذف موضوع الوطن المغتصب فلسطين وكذلك شمل الحذف كتاب تاريخ العرب والمسلمين للصف الخامس الابتدائي وكتاب جغرافية افريقيا العربية للصف السادس الابتدائي والتاريخ العربي الحديث والمعاصر للسادس الابتدائي الخ

النضال الوطني للشعب الفلسطيني، وتراثه الوطني والثقافي وحذفت أحياناً، فصولا كاملة من الكتب الأردنية المقررة بحجة أنها تحتوي على تحريض ضد الاحتلال، كما أنها منعت اقتناء كتب معينة في المكتبات منها دواوين شعر لشعراء فلسطينيين وقصص ومسرحيات وطنية أو اجتماعية

وتبين دراسة صادرة عن دائرة التربية والتعليم العالي في منظمة التحرير الفلسطينية حول مشكلات التعليم في الأراضي المحتلة وبشكل محدد الضفة الغربية وقطاع غزة، الى أن أهم هذه المشكلات تسرب الطلبة من المدارس، وضعف الكفاءة التعليمية لأعضاء هيئة التدريس، والمعاناة المادية للطلاب، بسبب ارتفاع الأسعار، ومحدودية الدخل، مما يدفعهم الى ترك المدرسة هذا بالاضافة للمضايقات والمداهمات التي تتعرض لها المدارس من قبل سلطات الاحتلال، واعتقال الطلبة والأساتذة لفترات طويلة أحياناً والمناهج والمقررات المدرسية غير الملائمة لاحتياجات المجتمع المحلي وسوق العمل.

ملاحظات أخيرة:

نتيجة لتردي الأوضاع للأسرة الفلسطينية والتغيرات الاجتماعية التي طرأت على بنية الأسرة الفلسطينية في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م، وتفكك العائلة الكبيرة، وعمل الآباء في مناطق بعيدة عن أماكن سكناهم، أو هجرتهم خارج الأراضي

المحتلة، بحثاً عن فرص عمل لا تتوفر في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة، فقد ضعف دور الأسرة الفلسطينية في رعاية ابنائها، وقدرتها على توفير الشروط المادية والاجتماعية الضرورية للنمو العقلي والفيزيولوجي السليم لأطفالها، وبسبب ندرة الخدمات التربوية والصحية المقدمة للطفل، واقتصار الأنشطة في هذا المجال على جهود جمعيات خيرية ونسائية محدودة الامكانات المادية والفنية فان الأطفال في الأراضي المحتلة وخاصة الأطفال في سن ما قبل المدرسة يعانون من ضعف الرعاية الصحية والتربوية الضرورية لنموهم السليم، وتنشئتهم الاجتماعية والوطنية، وتتطلب حماية الطفولة في الأراضي المحتلة عملا عربياً رسمياً مشتركاً يهدف الى:

أ ـ زيادة عدد الوحدات الصحية التي تقدم خدماتها للأمهات والأطفال بعد الولادة، وحتى بداية مرحلة التربية المدرسية على أن تقدم تلك الوحدات وجبات غذائية للأطفال واشرافاً صحياً على أكبر عدد ممكن منهم.

ب ـ العمل على كشف عمليات القمع والتعذيب والاعتقال الموجه ضد الأطفال في المراحل المبكرة س حياتهم، في مختلف المحافل والندوات العربية والعالمية، لتخفيف النشاط العدواني لسلطات الاحتلال ضد الأطفال العرب في المناطق المحتلة

جـ ـ تقديم دعم مادي ومعنوي عربي للجمعيات الخيرية والنسائية في الضفة الغربية وقطاع غزة لزيادة قدرتها على انشاء المزيد س الحضانات والروضات في المناطق المحتلة وتحسين الواقع التربوي لتلك الروضات.

د ـ العمل على تأليف ونشر وتوزيع أدبيات أطفال تعزز القيم العربية الايجابية لدى الأطفال وتوفر للعاملات في مؤسسات التربية ما قبل المدرسية المناهج والمقررات الضرورية للتنشئة الاجتماعية والسياسية المناسبة لهم والتي تربطهم بتاريخ أمتهم أو نضال شعبهم.

هـ ـ دعم مادي لرفع مستوى دخل الأسرةالفلسطينية قائم على اقامة المزيد من المشاريع الانتاجية (زراعية ـ صناعية) لاستيعاب القوى العاملة التي تهاجر للعمل اما في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م أو خارج الأراضي الفلسطينية، وقد يساعد ذلك بشكل غير مباشر الأسرة الفلسطينية على تحسين شروطها الاجتماعية والثقافية الكفيلة بتحسين رعايتها لاطفالها.

إن الأطفال الذين يواجهون الاحتلال بالحجارة والقنابل الحارقة، يستحقون من شعبهم وأمتهم رعاية أفضل واهتماماً أكبر باحتياجاتهم على مختلف المستويات.

الملحق رقم (١)

العرب الفلسطينيون حسب فئات العمر بالآلاف

الضفة الغربية ١٩٦٧ - ١٩٨٢م

السنوات	أقل من ١٤	١٥ ٢٩	٣٠ ٤٤	٤٥ ٦٤	أكثر من ٦٤	المجموع
١٩٦٧	٣١٥,٩	١٣٥,٧	٩٢,٦	٧١,٩	٤٢,٧	٦٥٨,٨
١٩٧٠	٣٢٦,٥	١٥٥,١	٩٢,١	٦٨,٧	٣٤,٧	٦٧٧,١
١٩٧٥	٣٥٩,٧	١٩٦,٥	٩٦,٥	٧٤,١	٣١,٣	٦٥٨,١
١٩٨٠	٣٦٨,٩	٢٣٦	٩٥,٥	٨٥,٩	٣٢	٨١٨,٣
١٩٨٢	٣٩٢,٨	٢٥١,٥	١٠١,٤	٩١,٦	٣٤,٣	٨٧١,٦

الملحق رقم (٢)

العرب الفلسطينيون حسب فئات العمر قطاع غزة/بالآلاف

فلسطين المحتلة قبل عام ١٩٦٧م[١]

السنوات	أقل من ١٤	١٥ ٢٩	٣٠ ٤٤	٤٥ ٦٤	أكثر من ٦٤	المجموع
١٩٦٧	١٩٤,٦	٨٣,٢	٥٥,٦	٣٤,٩	١٨,٣	٣٨٩,٧
١٩٧٠	١٨٠,٤	٩١,٨	٥٠,٤	٣١,٠	١٣,٦	٣٦٧,٧
١٩٧٥	٢٠١,٨	١١١,٣	٥٤,٨	٣٩,٣	١٢	٤١٨,٥
١٩٨٠	٢٠٣,٨	١٢٨,٨	٥٤,٦	٤٣,٩	١١,٠	٤٠٤,١
١٩٨٢	٢٢٧,٥	١٣٨,٥	٥٠,٧	٤٦,٢	١٣,٤	٤٧٦,٣

---

١ المجموعة الاحصائية الفلسطينية. المكتب المركزي للاحصاء. م.ت.ف. دمشق ١٩٨٣م.

الملحق رقم (٣)

رياض الأطفال والحضانات في الضفة الغربية[١]

القضاء	عدد الرياض
جنين	٨
نابلس	١٦
طولكرم	٩
رام الله	١٩
بيت لحم	٦
الخليل	١٣
	٧١

لا تشمل روضات وحضانات منطقة القدس.

الملحق رقم (٤)

رياض الأطفال والحضانات في قطاع غزة

١٩٨١ - ١٩٨٢م[٢]

غزة	٢٦
خان يونس	١٧
رفح	٦
سيناء	٢
المجموع	٥١

١ - النشرة الاحصائية الفلسطينية. م.ت.ف. دمشق: ١٩٨٣م.

٢ قطاع التعليم في قطاع غزة ١٩٨٠ - ١٩٨٥م. م.ت.ف. دائرة التربية والتعليم العالي. عمان: ١٩٨٥م.

رياض الأطفال في قطاع غزة

السنة	عدد الرياض	الأطفال
١٩٨١ ١٩٨٢م	٥١	٤٨٥٢
١٩٨٢ ١٩٨٣م	٥٣	٥٢١١
١٩٨٤ ١٩٨٥م	٥٧	٥٧٦٦

الملحق رقم (٥)

الأطفال في الحضانات ورياض الأطفال في الضفة الغربية[1]

١٩٧٩ ـ ١٩٨٠م	١٢١٠٣
١٩٨٠ ـ ١٩٨١م	١٢٠٨٠
١٩٨١ ـ ١٩٨٢م	١٣٤٦٠
١٩٨٢ ـ ١٩٨٣م	١٣٠٤١

---

١ ـ المجموعة الاحصائية الفلسطينية. م.ت.ف. المكتب المركزي للاحصاء دمشق: ١٩٨٣م.

الملحق رقم (٦)

بعض الأطفال تعرضوا للاعتقال في كل

س الضفة الغربية وقطاع غزة (إناث)[1]

	الاسم	السن	التاريخ	سبب الاعتقال ومدته
١	فاطمة ابوالشيخ	١٣	١٩٦٩م	كفالة مالية ـ القاء حجارة
٢	نعمان صادق	١٤	١٩٦٨م	مساعدة الفدائيين
٣	رحمة الخيمي	١٤	١٩٦٩	عشرة آلاف ليرة غرامة
٤	عزيزة الخليلي	١٦	١٩٦٩م	٥٠ يوماً ـ تعاون مع المقاومة
٥	نعمات مهنا	١٥	١٩٦٩م	٨ أشهر ـ مظاهرات
٦	سهيل محمود	١٦	١٩٦٩م	٦ أشهر ـ محاولة قطع نهر الأردن
٧	ليلى عوده	١٧	١٩٦٩م	سنة ونصف
٨	نهى عوده	١٧	١٩٦٩م	١٤ يوماً ـ مساعدة الفدائيين
٩	رائدة التميمي	١٧	١٩٦٩	مظاهرات
١٠	سامية الطويل	١٧	١٩٦٩	٥ سنوات ـ إلقاء قنبلة
١١	حليمة عبدو	١٧	١٩٧٠م	٥٠٠ ليرة ـ اضطرابات في المدرسة
١٢	جميلة دحدوح	١٦	١٩٧٠م	سنة ونصف ـ اطعام فدائيين
١٣	اكتمال طه	١٥	١٩٧٠م	٩ أشهر ـ الانتساب لتنظيم سري
١٤	زينب زليخات	١٦	١٩٧٠م	٥٠٠ ليرة ـ اضطرابات في المدرسة
١٥	زينب قبلان	١٥	١٩٧١م	٦ أشهر ـ الانتماء وتنظيم فدائي
١٦	حورية خليفة	١٥	١٩٧١م	٥ سنوات ـ الانتماء لتنظيم فدائي
١٧	نعيمة زعروب	١٦	١٩٧٢م	ـ
١٨	شاهناز أبو خالد	١٧	١٩٧٤م	٩ أشهر ـ الانتماء لتنظيم فدائي
١٩	سلمى قطينة	١٥	١٩٧٤م	٩ أشهر ـ الانتماء لتنظيم فدائي
٢٠	لينا مرعي	١٥	١٩٧٤م	٥٠ ألف ليرة ـ الاشتراك بمظاهرات
٢١	سمر قطينة	١٥	١٩٧٤م	٦ أشهر ـ الانتماء لتنظيم فدائي
٢٢	روضة اليوسف	١٧	١٩٧٤م	سنتان ـ اتحاد طلبة ومظاهرات
٢٣	نهى المكنية	١٧	١٩٧٤م	سنتان ـ اتحاد طلبة ومظاهرات

١ ـ ميسون العطاونة الوحيدي. المرأة الفلسطينية والاحتلال الاسرائيلي. جمعية الدراسات العربية. القدس: ١٩٨٦م.

٢٤	أنعام دكروب	١٧	١٩٧٥م	٤ أشهر ـ الانتماء لتنظيم فدائي
٢٥	لواحظ الجعبري	١٧	١٩٧٦م	٤ سنوات ـ الانتماء لتنظيم فدائي ونشاط حـكري
٢٦	رائدة الأنصاري	١٧	١٩٧٦م	٦ أشهر ـ الانتماء الى منظمات
٢٧	ناهدة صندوقة	١٧	١٩٧٧م	٣ أشهر ـ الاشتراك في مظاهرات
٢٨	ايمان الخطيب	١٦	١٩٧٨م	٨ سنوات ـ الانتماء لفتح
٢٩	يسري فرحات	١٧	١٩٧٨م	٩ أشهر ـ مقاومة الاحتلال
٣٠	باسمة موسى	١٦	١٩٧٨م	سنة الاتصال بتنظيم فدائي
٣١	رحمة هنور	١٦	١٩٧٩م	الانتماء لتنظيم فدائي
٣٢	صبرية حاد	١٥	١٩٨١م	شقيقة فدائي
٣٣	هيلينا أكلون	١٦	١٩٨٢م	ابعاد ـ حيازة قنبلة محرمة
٣٤	راوند ارشيد	١٢	١٩٨٢م	المشاركة في مظاهرات
٣٥	ريما الطريفي	١٧	١٩٨٢م	غرامة مالية ـ مشاركة في مظاهرات

الملحق رقم (٧)

الجريحات الفلسطينيات في سن السابعة عشرة

٨ آذار وحتى ١ أيار ١٩٨٢م ـ الضفة الغربية وغزة[١]

	الاسم	السن	الاصابة
١	عائشة البرغوثي	١٧	رصاصة في ذراعها
٢	أماني البرغوثي	١٧	رصاصة في ذراعها
٣	هدايا الرقودق	١٣	رصاصة في الفخذ الأيمن
٤	سميحة اللحام	١٣	رصاصة في الرأس
٥	ملكية اسماعيل صبح	١٤	رصاصة في الرأس
٦	منى ابو كشك	١٢	التعرض للضرب
٧	رحاب اخرادات	١٢	التعرض للضرب
٨	فريدة جامع	١٢	رصاصة في الرأس
٩	منى جاسم	١٤	رصاصة في أسفل العين
١٠	جواهر الأفندي	١٦	ضرب وكدمات في الكفين
١١	لينا بعرة	٧	ضرب وكدمات في البطن

١ ـ ميسون العطاونة الوحيدي. المرأة الفلسطينية والاحتلال الاسرائيلي. جمعية الدراسات العربية القدس: ١٩٨٦م.

الملحق رقم (٨)

التسمم الجماعي للطالبات الفلسطينيات[1]

بدأت ظاهرة تسمم الطالبات الجماعي في مارس/آذار ١٩٨٢م، ثم أخذت تتسع لتشمل ألوية: طولكرم، نابلس، الخليل، القدس، وفي خلال ما لا يزيد عن ثلاثة أسابيع سجلت محاضر مستشفيات الضفة الغربية اضافة الى مستشفيات العفولة وهداسا ورامبام الاسرائيلية ما يزيد عن ألف حالة،غالبيتها تسمم،ولها من الأعراض نفسها وحدثت بتأثير من العوامل ذاتها، وقد أصيب من الاسرائيليين أربعة جنود وثلاث مجندات، وقال أحد الفلسطينيين في المستشفى الوطني في نابلس حيث عولجت حوالي ستين طالبة: إن السلاح الكيميائي المستخدم ضد الطالبات هو عبارة عن مادة كيميائية صلبة تتحول الى غاز حال تفاعلها مع الجو بدرجة حرارة معينة وأن هذا الغاز المتسامي هو شبيه بالغاز الذي استخدمه الجيش الأمريكي في ڤيتنام.

وقد ظلت بعض الطالبات اللواتي عولجن في المستشفيات يعانين من نوبات متفاوتة أبرزها آلام حادة في المفاصل والرأس والشعور بالدوخة وأحياناً بغيبوبة

---

١ ـ عن مجلة العودة. العدد (١١) الصادر بتاريخ ١٩٨٣/٤/٩م عن كتاب ميسون العطاونة الوحيدي. المرأة الفلسطينية والاحتلال الاسرائيلي. جمعية الدراسات العربية القدس: ١٩٨٦م. ص: ١٤٨

المراجـــــــع

أولا: المرجع العربية

١ ـ الأوضاع التعليمية في الوطن المحتل للعام الدراسي ١٩٨٦/٨٥م. منظمة التحرير الفلسطينية. دائرة التربية والتعليم العالي. عمان: ١٩٨٦م.

٢ ـ تعليم العرب في فلسطين المحتلة الدكتور عدنان عبدالرحيم. مركز الدراسات الفلسطينية. دمشق. ١٩٨٥م.

٣ ـصورة العربي في أدب الأطفال الصهيوني. فوزية الأسمر جامعة الكويت. جمعية الدراسات العربية القـدس: ١٩٨٦م.

٤ ـ قطاع التعليم في قطاع غزة. منظمة التحرير الفلسطينية دائرة التربية والتعليم العالي. عمان: ١٩٨٥م.

٥ ـ المرأة الفلسطينية والاحتلال الاسرائيلي. ميسون العطاونة الوحيدي. جمعية الدراسات العربية. القدس: ١٩٨٦م.

٦ ـ مشكلات الطلبة في الأراضي المحتلة. علي سعود عطية. جامعة الكويت. الكويت: مارس/ آذار ١٩٨٥م.

٧ ـ المجموعة الاحصائية الفلسطينية. منظمة التحرير الفلسطينية. المكتب المركزي. دمشق: ١٩٨٣م

٨ ـ النشرة الاحصائية الفلسطينية منظمة التحرير الفلسطينية دمشق: ١٩٨٣م.

٩ ـ نشرة الأرض المحتلة (عن صحيفة دافار الصهيونية ١٤/٨/١٩٧٨م) مؤسسة الأرض. السنة السادسة العدد الثاني. دمشق: ٧/١٠/١٩٧٨م.

ثانياً المرجع الانجليزية

1 A Guide to Facilities for Early Childhood Care and Education. UNESCO/UNICEF/Paris 1985.

2 - Benvenusti, Meron; "The West Bank Data Project", American Institute for Public Policy Research, Washington 1985.

3 Brisset, Claire; Les Enfants dans un Monde, de Conflits, le Monde Diplomatique, Janvier, 1986.

4 Shehadeh, Raja; "Occupiers Law", Palestine Studies, Washington, D.C. 1985.

5 - Zureik, Elias; "The Palestinians in Israel, A Study of Internal Colonialism", Routledge and Kegan Paul, Ltd. 1979.

الحرب والأطفال في لبنان

الدكتور عدنان عبدالرحيم(*)

المقدمـــــــة:

لقد كتب الكثير عن الدمار الذي سببته الحروب المشتعلة في لبنان منذ عام ١٩٧٥م والمستمرة حتى الوقت الحاضر بما في ذلك الاجتياح الصهيوني الواسع للأراضي اللبنانية في مطلع يونيو/حزيران ١٩٨٢م.

ولقد ظهرت عدة دراسات تتناول آثار هذه الحرب على الاقتصاد والمجتمع وعلى البنى السياسية وتوزع السكان، والهجرات الداخلية والخارجية وكتب الكثير أيضاً عن الانقسامات الطائفية والمذهبية، وعن الميليشيات والكانتونات ولكن موضوع أثر الحرب على الأطفال اللبنانيين والأطفال الفلسطينيين المقيمين في لبنان لم يشغل حيزاً كبيراً في الأدبيات السياسية والاجتماعية التي تناولت آثار هذه الحروب المتصلة على الحياة في لبنان.

ويواجه الباحث في هذا المجال تعميمات غير علمية لا تستند الى معطيات احصائية نظراً لندرة تلك الاحصائيات، وغياب واندثار المؤسسات الاحصائية التي كان من المفترض أن تقوم بهذه الجهود حتى

(*) الادارة التربوية. منظمة التحرير الفلسطينية. دمشق. سوريا.

أن التعداد الحقيقي للسكان غير معروف ويعتمد على التقديرات والتأويلات غير الدقيقة، وليست هناك أيضاً احصائيات دقيقة تحدد ضحايا الحروب بما في ذلك الاجتياح الصهيوني لأكثر من ثلث الأراضي اللبنانية عام ١٩٨٢م، وتبين مدى الدمار الذي أصاب المؤسسات اللبنانية الاقتصادية والاجتماعية نتيجة لهذا الاجتياح وتشير دراسات صحفية الى تدمير أكثر من نصف المؤسسات الصناعية والى تدهور كبير في الانتاج الزراعي نتيجة للاحتلال، ويستطيع القارىء العودة الى المقالات الصحفية التي تتناول هذه الموضوعات بكثير من التفصيل[1]

وسنهتم في دراستنا هذه بآثار الحرب على الحياة اليومية للأسر اللبنانية والفلسطينية وتأثيرها على الأطفال ومستوى الخدمات الصحية المقدمة لهم، وتغذيتهم وأثر العنف على سلوك الأطفال بتجلياته المختلفة، آخذين بعين الاعتبار ندرة الاحصائيات والدراسات الصادرة في هذا المجال، وعدم قدرتها أيضاً على رصد هذا التأثير وترجمته الى مؤشرات كمية ونوعية بشكل يمكننا من تقرير استنتاجات عامة تحدد الملامح العامة لتأثير الحرب على الأطفال المقيمين في لبنان من لبنانيين وفلسطينيين.

---

١ ـ أنظر مقالة السفير: آثار الحرب الاقتصادية الاسرائيلية في الأولى الى القاسمية تاريخ ١٩٨٥/٣/٥م. وأيضاً مقالة الرأي العام الكويتية: الصنداي مورنينغ. الاحتلال الاسرائيلي دمر اقتصاد الجنوب. قضايا القبس. في ١٩٨٥/١/٢٤م. مقابلة مع رئيس اتحاد نقابات الجنوب.

ويمكن اعتبار استمرار هذه الحروب وتصاعدها في الوقت الراهن سبباً من أسباب ندرة الدراسات الصادرة في هذا المجال، ولكن عدم القدرة على التنبؤ بنهاية وشيكة للصراعات الدامية يدفعنا الى محاولة تبين الاطار العام لمعاناة الأطفال اللبنانيين والفلسطينيين على مختلف المستويات النفسية والاجتماعية لتحديد الاجراءات الاجتماعية والثقافية الضرورية لتخفيف هذه المعاناة وحماية طفولة الصغار الذين يواجهون العنف والموت على أرض الصراع المستمر منذ أكثر من ١١ عاماً

وبما أن معظم الصراعات المسلحة التي تدور في لبنان هي صراعات داخلية يؤجهها تدخل خارجي يتداخل فيها ما هو طائفي بما هو سياسي بما هو ثقافي فقد كان معظم الضحايا من المدنيين، وليس من المقاتلين، وبشكل خاص الأطفال الصغار المتروكين بدون حماية في مواجهة العنف والدمار، ويؤكد أحد المصادر أن أكثر من ٩٠٪ من ضحايا الصراع في لبنان هم من المدنيين ومعظمهم من النساء والأطفال[1]

الأطفال الفلسطينيون كمقاتلين وكضحايا:

بلغت نسبة الأطفال في ١٠ مخيمات فلسطينية في لبنان عام ١٩٨٢م أكثر من ٤٧٪ من عدد سكان تلك المخيمات..فمن أصل

---

1 Brisset, Clair; Les Enfants dans un monde de conflits, le Monde Diplomatique, Janvier, 1986, P. II.

٧٢٨٣٩ هناك حوالي ٣٣٧٨٠ طفلا دون سن الرابعة عشرة، منهم ١٠٢٩٢ طفلا دون سن الرابعة وحوالي ١١٠٢١ بين الخامسة والسادسة، و ١٢٤٦٧ بين العاشرة والرابعة عشرة من العمر[١]، وهي تقارب النسبة العامة للأطفال في مختلف التجمعات الفلسطينية داخل الأرض المحتلة وخارجها.

وحتى قبل اندلاع سلسلة الحروب اللبنانية في مطلع عام ١٩٧٥م عانى سكان المخيمات الفلسطينية بما في ذلك الأطفال من الغارات الاسرائيلية الجوية والهجمات البرية المتنوعة على مخيماتهم وخاصة مخيمات الجنوب التي تعرضت للتدمير الشامل عدة مرات، ولقد أدى ذلك الى مواجهة الأطفال الفلسطينيين في مخيمات لبنان لمختلف أشكال العنف والتهديد بالابادة والتهجير وانعدام الشعور بالأمان والافتقار الى الاستقرار

تميزت الحياة في تلك المخيمات وفي الظروف الطبيعية بالافتقار الى مختلف الشروط الصحية الضرورية لنمو الأطفال، لندرة المرافق الصحية في المنازل والمياه والمجاري والملاعب والحدائق، كما أنه لم يكن باستطاعة الأسرة الفقيرة في تلك المخيمات تأمين تغذية مناسبة للأطفال تكفل لهم نمواً سليماً على المستوى الفيزيولوجي وتحصينهم ضد أمراض الطفولة المختلفة.

---

١ ـ المجموعة الاحصائية الفلسطينية منظمة التحرير الفلسطينية المكتب المركزي للاحصاء. دمشق: ١٩٨٣م.

شكل ظهور المقاومة الفلسطينية في المخيمات الفلسطينية في مطلع السبعينيات نقلة نوعية في أنماط حياة السكان في تلك المخيمات، فبالاضافة للتعبئة التنظيمية السياسية والعسكرية لجماهير المخيمات قدمت مختلف منظمات المقاومة خدمات اجتماعية وصحية وتربوية وثقافية تبلورت في مؤسسات صحية واجتماعية وتربوية بالاضافة للمؤسسات التي أنشأتها وكالة الاغاثة الدولية (الأونروا)، ولقد أدى اندلاع المعارك في أبريل/نيسان عام ١٩٧٥م الى تعرض تلك المخيمات والمؤسسات الأخرى فيها الى التدمير والتعطيل والى اضطراب عميق في الحياة اليومية للسكان، وبشكل خاص الأطفال في المراحل المبكرة من حياتهم.

وفي عام ١٩٧٦م تعرضت المخيمات الفلسطينية في بيروت الشرقية (مخيم تل الزعتر، جسر الباشا، ضبية) الى التدمير الشامل وقتل في مخيم تل الزعتر أكثر من ٣٠٠٠ فلسطيني، وفقد معظم أطفال المخيم آباءهم وبعضهم فقد أسرته كاملة، وانتقل الباقون الأحياء الى مخيم الدامور الذي أقيم في بلدة الدامور التي أجلي عنها سكانها، ولقد قامت منظمة التحرير بانشاء مؤسسة أطفال الصمود (مؤسسة تل الزعتر) الاجتماعية لتقديم الرعاية والخدمات التربوية لـ ٣١٣ طفلا فقدوا أسرهم في مذبحة مخيم تل الزعتر، وتروي طفلة تعيش الآن في المؤسسة تجربتها المرة هناك قائلة: كنت مع جميع أفراد عائلتي وكنا قد قسمنا أنفسنا الى قسمين فقد كانت والدتي تختبىء في احدى البنايات، وكنت أنا ووالدي وشقيقتي نختبىء في بناية أخرى، وحين

وجدونا عمدوا الى اطلاق النار، أغمي علي ولم أعرف ما الذي كان يحدث الى أن صحوت في اليوم التالي، ووجدت والدي وجميع من حولي أمواتاً في الغرفة معي[1] (الملحق رقم ٧).

أدت مواجهة أطفال تل الزعتر للموت يصيب أفراد أسرهم الى اصابتهم بمختلف أشكال الاضطرابات الفيزيولوجية النفسية: وقد كان هناك طفل صغير قتلت والدته بينما كانت تحاول أن تحضر له ماء من أحد الآبار، وقد ظل لمدة أكثر من ستة أشهر يرفض تناول الماء طوعاً من أي شخص خوفاً من أن يكون نذير الموت، وطفل آخر عمره سنتان كان بين ذراعي والدته عندما أطلق عليها الرصاص، لم يصدر عنه أي صوت خلال الشهور الستة الأولى في البيت[2]

ولعل أغرب حالة ولادة في العالم هي تلك التي تمت أثناء غارة اسرائيلية على منطقة متاخمة لمخيم صبرا في لبنان "وخلال غارة اسرائيلية على مكاتب منظمة التحرير في شارع الفاكهاني اندفعت أم فلسطينية كانت حاملا في الشهر التاسع خارج شقتها لتجنب القنابل وعندما توقف القصف وجدت الأم ميتة بين الأنقاض وعلى بعد ثلاثة

---

١ ـ نيبلات روجرز (ترجمة) أطفال الحروب. مجلة تايم ١٩٨٢م. تقرير صادر عن مركز الدراسات الفلسطينية. دمشق: ١٩٨٢م. ص: ٥٢.

٢ ـ المصدر نفسه. ص: ٢٤

أمتار منها كانت طفلتها الصغيرة مستلقية هناك وما تزال ملفوفة بالمشيمة[1]

سببت الهجمات العسكرية على المخيمات الفلسطينية المتواصلة منذ مطلع السبعينيات وحتى الآن هجرات مستمرة لسكان المخيم داخل الأراضي اللبنانية وخارجها، وفقدت معظم العائلات في تلك المخيمات عدداً كبيراً من أفرادها الشباب في تلك الهجمات بالاضافة لتدمير منازلها وفقد موارد رزقها، وعانى الأطفال بشكل خاص من اليتم وفقدان الوالدين ورعايتهما، والتهديد الدائم بالموت والدمار ولم يكن من الممكن في ظل هذا الوضع اللاانساني أن يعيش الأطفال الفلسطينيون طفولتهم، اذ توجب عليهم تعلم الدفاع عن أنفسهم في مرحلة مبكرة من حياتهم فبدل الألعاب والمواد التربوية وساحات اللعب والحدائق التحق عدد كبير من هؤلاء الأطفال بمعسكرات الشبيبة والأشبال التي كانت تعلمهم استعمال الأسلحة الخفيفة والقنابل وتمدهم بتعبئة سياسية وثقافية تربطهم بوطنهم المفقود، الذي يتوجب عليهم تحريره.

لقد حولت الثورة الأطفال الهائمين في شوارع المخيمات والذين فقدوا آباءهم الى مقاتلين برهنوا على شجاعتهم وقدراتهم العسكرية في التصدي للهجمات الاسرائيلية على مخيمات الجنوب خلال الاجتياح الاسرائيلي للبنان في مطلع يونيو/حزيران عام

---

١ المصدر نفسه ص: ٢٢

١٩٨٢م، فزملاء أطفال الحجارة في الضفة الغربية سموا بأطفال (الآر بي. جي) أي حملة القواذف المضادة للآليات في لبنان، ولقد كشفت شهادات اسرائيلية لضباط صهاينة عن تصدي هؤلاء الأطفال للدبابات الاسرائيلية التي كانت تحاول اقتحام مخيمات عين الحلوة والرشيدية في جنوبي لبنان، يقول الجنرال بن تسيون شرايد ر: «دخلت لبنان في اليوم الثالث للحرب، وشاركت بالقتال في أكثر س منطقة في النبطية وجزين والدامور، وقد نجوت س الأسر في منطقة الدامور حيث أصيبت المدرعة التي كنت استقلها، وما أن قفزت منها حتى شاهدت طفلين فلسطينيين يقتربان مني، لقد كانت لحظة رهيبة لن أنساها. الطفلان (اللعينان) كادا يأسراني أنا ومرافقي الضابطين الصغيرين، نعم كان الطفلان هما اللذان دمرا مدرعتي»[1] ويتذكر جنرال صهيوني آخر طفلا فلسطينياً: "لقد أصبت بشظايا في بطني وصدري وذلك بقذيفة آر. بي. جي انني أتذكر جيداً كيف أصبت وكيف سالت دمائي، وكلما تذكرت اصابتي والدماء التي سالت مني أتذكر ذلك الطفل الفلسطيني الذي كان يطل علينا وبيده مدفع آر بي. جي. ويسخر منا، وكم وددت لو يقع ذلك الطفل (اللعين) في قبضتي ولكن ما حدث كان عكس ما تمنيت، فأنا الذي وقعت في قبضته حينما عالجني بقذيفة آر بي. جي جعلتني أبكي دماً»[2]

---

١ - شاهين محمود. حرب المواجهة في لبنان. الاعلام الموحد. دمشق: ١٩٨٣م. ص: ١٦٩

٢ المصدر نفسه ص: ١٥٤

ومن بين ضحايا مجزرة صبرا وشاتيلا في خريف عام ١٩٨٢م كان هناك عدد كبير من الأطفال الذين ضربوا بالفؤوس في أحضان أمهاتهم وازداد عدد الأطفال الذي فقدوا آباءهم الذين استشهدوا أو الذين اجبروا على الرحيل عن لبنان في أيلول عام ١٩٨٢م تاركين خلفهم عائلاتهم.

في ظل هذا الواقع الذي عاشه الطفل الفلسطيني في لبنان لابد من ذكر الخدمات التربوية والاجتماعية التي تقدم له من المؤسسات الوطنية الفلسطينية والدولية لتبيان مدى شمولية خدمات تلك المؤسسات وفاعلياتها في التخفيف من معاناته

الخدمات الصحية التربوية والاجتماعية والثقافية للطفل الفلسطيني في لبنان:

تشمل خدمات وكالة الغوث الدولية (الأونروا) للأطفال الفلسطينيين رعاية صحية محدودة من خلال عدد قليل من العيادات التي تديرها في المخيمات الفلسطينية ولا تضم هذه العيادات تجهيزات طبية تسمح باجراء العمليات حتى البسيطة منها، وقد قامت منظمة التحرير بانشاء الهلال الأحمر الفلسطيني الذي تضم مؤسساته عيادات طبية وعدداً من المستشفيات أهمها مستشفى حيفا، ومستشفى غزة في مخيمات صبرا وشاتيلا[١] (الملحق رقم ٦) وقد تعرض هذان

---

١ ـ الهلال الأحمر الفلسطيني. نشرة عن مؤسسات الهلال في لبنان. دمشق: ١٩٨٥م.

المستشفيان للتدمير عدة مرات، وتعاقبت على تدميرهما عدة قوى معادية لنضال الشعب الفلسطيني، وقد أسست عدة منظمات فلسطينية عيادات خاصة تابعة لها تقدم خدمات أولية طبية للجميع بما فيهم الأطفال، وتقدم وكالة الغوث وجبات غذائية متواضعة لأطفال المخيمات، وهي وجبات فقيرة على المستويين الكمي والكيفي، ولم تفعل السلطات اللبنانية شيئاً في مجال تحسين شروط المعيشة الصحية للسكان ولم تؤمن لهم المرافق الصحية الضرورية لتجنيب السكان والأطفال منهم بشكل خاص مختلف الأمراض المعدية، وفي أوقات احتدام الصراع تنتشر الأمراض الجلدية والأوبئة التي أودت بحياة الكثير من الأطفال الصغار

ولقد شجعت منظمات المقاومة السكان على انشاء الأندية الرياضية والاجتماعية للشباب والأطفال لممارسة هواياتهم وأمدتهم بمعونات مادية، وتعتبر مؤسسات الشبيبة والأشبال المختلفة التابعة لمختلف التنظيمات الفلسطينية من أهم انجازات منظمات المقاومة في مجالات التربية غير النظامية، والتعبئة الوطنية، والتنشئة الاجتماعية والسياسية للأطفال.

لقد مدت معسكرات الشبيبة قوى الثورة بمقاتلين صغار يتمتعون باندفاع وطني ومهارات عسكرية متنوعة وخضعوا لتوجيه وطني يربطهم بوطنهم الذي لم يشاهده معظمهم وأكسبتهم تلك المعسكرات انماطاً من السلوك والعادات والقيم التي تساعدهم على

الاندماج في العمل الوطني الفلسطيني رغم أنها حرمتهم بشكل غير مباشر من مباهج الطفولة ومسراتها.

وعمدت مؤسسات الرعاية الاجتماعية على تقديم المعونات المادية والعينية لأسر الشهداء وأطفالهم، بما في ذلك اعتماد مخصصات شهرية دائمة لأسر الشهداء والعناية بتأمين تعليم أطفال الشهداء في مختلف المراحل التعليمية

أما بالنسبة للخدمات التربوية للأطفال في المراحل المبكرة أي المرحلة ما قبل المدرسية فقد عمل اتحاد المرأة الفلسطينية على افتتاح ما يقارب ٤٠ روضة في مختلف التجمعات الفلسطينية في لبنان بالتعاون مع المنظمات الفلسطينية ولكن هذه الروضات والحضانات تفتقر من حيث الأبنية الى الشروط الصحية، والملاعب والحدائق والألعاب والمواد التربوية والمنهاج الموحد والأنشطة المتنوعة[1]، ولم تستوعب هذه الروضات أكثر من ٥٪ من عدد الأطفال الفلسطينيين في المرحلة العمرية (صفر ـ ٦ سنوات) (أنظر الملحقين ٢، ٣).

وقد تعرضت تلك الروضات والحضانات الى التدمير عدة مرات وخاصة تلك المقامة في مخيمات الجنوب وما زالت روضات وحضانات مخيمات بيروت حتى الآن عرضة للقصف المستمر مما يعيق عملها ويعطل دورها التربوي.

---

١ ـ ماجدولين خلف. تقرير عن أوضاع الروضات الفلسطينية في لبنان. م.ت.ف. دائرة التعليم العالي. بيروت: ١٩٨١ ـ ١٩٨٢م.

وأما على مستوى التعليم الابتدائي والاعدادي فتقوم به وكالة الاغاثة الدولية (الأونروا) التي تكاد تبلغ نسبة التسجيل فيها حوالي ٩٥٪ من الأطفال في سن السادسة وبلغ عدد مدارسها في العام الدراسي ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥م (٨٦)مدرسة ابتدائية واعدادية، وبلغت نسبة التسرب في المرحلة الابتدائية ٩,٣٪ ونسب الاعادة أو الرسوب س الأطفال في المرحلة نفسها نسبة مرتفعة بالمقارنة مع نسب التسرب والاعادة في مدارس الأونروا في سوريا التي لم تتجاوز نسبة التسرب فيها عام ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥م أكثر من ٥٪ من عدد الطلاب المسجلين في المرحلة الابتدائية ولم تتجاوز نسبة الرسوب أكثر من ٦,٢٪ من الطلاب، ويرجع ذلك الى اضطراب الحياة المدرسية في لبنان نتيجة للحروب واغلاق المدارس المستمر نتيجة لتعرض المخيمات للهجمات العسكرية المحلية والاسرائيلية[1]

وفي عام ١٩٨٢م وهو عام الاجتياح الصهيوني للبنان، لم يبدأ العام الدراسي في مطلع سبتمبر/أيلول الا في ٤٤ مدرسة من ٨٦ مدرسة تابعة للوكالة، بسبب تدمير بعضها من آثار المعارك مع الغزاة، كما أغلقت جميع مدارس مخيمات منطقة بيروت عام ١٩٨٣م من مطلع شهر فبراير/شباط حتى نهاية أبريل/نيسان بسبب اشتداد حدة المعارك في المنطقة[2] (الملحق رقم ٤، ٥).

---

2 UNRWA, Department of Education Statistical Year Book, 1984-1985, Vienna, Austria, 1986.

١ ـ من تقرير المفوض العام لوكالة الاغاثة الدولية: ١٩٨٣م.

وبالاضافة لبيت أطفال الصمود الذي كان يضم الأطفال الذين فقدوا آباءهم أو عائلاتهم في مذبحة تل الزعتر فقد أنشأت منظمة التحرير أيضاً مدرسة اسعاد الطفولة في سوق الغرب التي كانت تسجل الطلاب للمرحلتين الابتدائية والاعدادية وكانت تضم في عام ١٩٨٠م حوالي ٣٥٠ طفلا معظمهم من أبناء الشهداء، وضمت قرى (حنان) التي كانت تشرف عليها منظمة التحرير أطفالا يعانون من اليتم والفقر، وتشرد أسرهم ولم تستطع هذه المؤسسات أن تستوعب الا الأطفال المشردين ممن فقدوا عائلاتهم أثناء الحرب بسبب تواضع الامكانات المادية والتربوية لتلك المؤسسات.

الأطفال اللبنانيون ضحايا الحرب:

لا تتوفر احصائيات دقيقة عن عدد الأطفال الذين قتلوا في الاشتباكات والصدامات العسكرية المستمرة غير أن الحروب الأهلية غالباً ما تصيب بالدرجة الأولى المدنيين بمن فيهم الأطفال والنساء، بسبب وقوع معظم المعارك داخل الأحياء المأهولة بالسكان.

هذا بالاضافة للقصف الأعمى المتبادل بين الأطراف المتصارعة للأحياء المدنية وخاصة مدارس الضاحية الجنوبية من بيروت، كما أن عدداً كبيراً من الأطفال قد قتلوا نتيجة لانفجار السيارات الملغومة بالقرب من مدارسهم.

ونتيجة الحرب حرم الأطفال من الحياة الطبيعية التي تسمح لهم باللعب والاتصال بالأقران والسكن في منازل آمنة بدل الحياة في

ملاجىء تفتقر الى كل الشروط الصحية الضرورية لنمو الأطفال ونتيجة لاهمال النظافة والعناية الصحية، فقد انتشرت الأمراض المعدية والأمراض الجلدية بين الأطفال بالاضافة لسوء التغذية وتعطلت معظم المدارس والروضات لفترات طويلة مما حرم الأطفال من الرعاية التربوية الضرورية لنموهم العقلي والانفعالي.

ولعل الدراسة الميدانية الوحيدة التي حاولت تحليل آثار الحرب على الأطفال هي تلك التي قامت بها مجموعة من الباحثين في الجامعة الأمريكية في بيروت بتمويل من الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية والتي رمت الى تحديد آثار الحرب على الخدمات التربوية المتقدمة للأطفال اللبنانيين وخاصة المعاقين منهم، وتبيان المشاكل السلوكية والعاطفية والجسدية التي يعانون منها وتضمنت مجريات البحث:

أ ـ اجراء مسح شامل للمؤسسات المعنية برعاية الأطفال المعوقين في لبنان والتعرف على احتياجاتها

ب ـ تقويم الخدمات المتوفرة في هذه المؤسسات من النواحي الصحية والثقافية والترفيهية

جـ ـ دراسات تحليلية عن تلاميذ المدارس في لبنان[1]

---

١ الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية. تقرير فصلي تصدره الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية. العدد الثالث. أبريل ١٩٨٥م. ص: ٧٠

وقد توصلت الدراسة التي لم تطبع بعد الى أن الحرب قد أعاقت عمل المؤسسات التربوية التي تهتم بالمعاقين من الأطفال ونتج عن ذلك ازدياد نسبة الأمراض الجلدية بينهم وأمراض سوء التغذية وتدني مستوى الخدمات الصحية والتربوية المقدمة لأولئك الأطفال المعاقين وظهور بعض الاضطرابات النفسية عند الأطفال نتيجة للمعارك المتصلة والتهديد الدائم بالموت والشعور بعدم الأمان، كما إن أطفال العائلات المهجرة نتيجة القتال يعانون من مختلف اشكال القلق والمخاوف المرضية والاضطرابات الفيزيولوجية ذات المنشأ النفسي.

وعلى الأطفال اللبنانيين شأنهم شأن أقرانهم من الأطفال الفلسطينيين من اليتم والتشرد وفقدان المنزل والنزوح المستمر وانعدام معظم شروط الحياة الطبيعية للأطفال كالقدرة على اللعب مع الأقران والرعاية الأبوية

وقد التحق عدد كبير من الأطفال دون سن المراهقة بمختلف الميليشيات المتصارعة في لبنان وحملوا السلاح وقاموا بمهمات عسكرية متنوعة في سن مبكرة من حياتهم واكتسبوا أنماطاً من السلوك العدواني القائم على التعود على العنف كنمط من أنماط التعامل مع الآخرين وواجهوا الموت والتهديد بالفناء وقبلوا هذا النمط من الحياة باعتباره نمطاً طبيعياً لم يألفوا غيره لأن عدداً كبيراً منهم قد ولد أثناء الحرب، وسيخلف ذلك مشكلات متصلة بكيفية توجيههم فيما بعد للعيش في ظل ظروف حياة طبيعية لا تعتمد على العنف في التواصل مع الآخرين أو اكتساب المعيشة وحتى الأطفال الذين لم ينخرطوا في

المعارك بشكل مباشر أخذوا يقلدون الكبار في ألعابهم وأصبحت لعبة الحرب هي اللعبة المفضلة لديهم.

ومن الواضح أن نسبة كبيرة من الأطفال سيحتاجون الى اعادة تأهيل نفسي للتكيف مع الظروف الجديدة بعد انتهاء الحرب والتعود على الحياة الطبيعية التي لا يتعرض فيها الطفل للتهديد اليومي بموته أو بموت أقاربه أو أصدقائه من الأطفال.

ان الشروط الأمنية والتهجير الدائم وعدم الاستقرار وشح الموارد المادية يشكل عقبات تمنع الأسرة اللبنانية من تأمين الشروط الصحية والغذائية والنفسية للطفل اللبناني

الملحق رقم (١)

الفلسطينيون المسجلون في وكالة الاغاثة الدولية (الأونروا) في لبنان وفئات العمر[1]

فئات العمر	ذكور	إناث
أقل من ٥	١٤٧٠٤	١٣٥٤٣
٦ ١١	١٧٢٣١	١٦٣١٨
١٢ ١٤	٩٢٨٩	٨٦٢٩
١٥ ١٧	٩٦٢٣	٩٠١٥
١٨ ٢٠	٩٨٠٣	٨٧٧٥
٢١ ٣٠	٢٤٧٦٦	٢٢٩٣٢
٣١ ٤٠	١٦٧٠	١٥٥٦٩
٤١ ٥٠	١١٨١٦	١١٦٢٤
٥١ فما فوق	١٧٦٣٧	١٩٢٣٥
المجموع	١٣٢٦٢٩	١٢٥٦٤٠
		٢٥٨٢٦٩

1 UNRWA, Department of Education Statistical Year Book, 1984-1985 Vienna, Austria, 1986.

الملحق رقم (٢)[1]

عدد الأطفال في الروضات:

الجنوب:

الرشيدية	٢١٠
برج الشمالي	١٣٨
المعشون	١٠٨
أبو الأسود	٤٠
القاسمية	٧٢
عين الحلوة	٦٨
الميدومية	٨٣
المجموع	٦٩٩

بيروت والجبل:

صبرا	١٤١
شاتيلا	٤٨٢
الدنا	٦٧
برج البراجنة	٣١٥
بئر حسن	٤٥
مارالياس	٢٥

---

١ ـ تقرير عن أوضاع الروضات الفلسطينية في لبنان. ماجدولين خلف. م.ت.ف. دائرة التربية والتعليم العالي. بيروت: ١٩٨٢م.

الدامور	١٣٦
سوق الغرب	٢٠
المجموع	١٢٣١

البقاع:

تعلبايا	٨٦
بعلبك	٢٠٥
المجموع	٢٩١

الشمال:

نهر البارد	٣١٥
البداوي	٣٢٧
المجموع	١٤٢

المجموع الكلي	٢٨٦٣

الملحق رقم (٣)

عدد الروضات الفلسطينية في لبنان وتوزيعها ١٩٨٢م[١]

مخيمات الجنوب:

الرشيدية	٦
البص	-
برج الشمالي	٣
المعشوق	٢
أبو الأسود	١
القاسمية	١
عين الحلوة	٣
الميدومية	١
المجموع	١٧

مخيمات بيروت والجبل:

صبرا	٣
شاتيلا	٤
الدنا	١
برج البراجنة	٤

---

١ ـ تقرير عن أوضاع الروضات الفلسطينية في لبنان. مجدولين خلف. م.ت.ف دائرة التربية والتعليم العالي.

ملاحظة: معظم هذه الروضات دمرت أو أغلقت أثناء الاجتياح الصهيوني للبنان في يونيو/ حزيران ١٩٨٢م.

مارالياس	١
الدامور	٢
سوق الغرب	١
المجموع	١٦

البقاع:

تعلبايا	١
بعلبك	٢
المجموع	٣

مخيمات الشمال:

نهر البارد	٣
البداوي	٥
المجموع	٨

المجموع الكلي	٤٤

الملحق رقم (٤)

عدد الطلاب الفلسطينيين في المرحلة الابتدائية ـ لبنان ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥م[1]

المرحلة	ذكور	اناث	نسب التسرب
الصف الأول	١٧٣٢	١٧١٥	٪٤
الصف الثاني	١٧٢١	١٧٧٣	٪٢,٢
الصف الثالث	٢٠٦٨	١٩٩١	٪١٦
الصف الرابع	٢٠٣٩	٢١١١	٪١٦,١
الصف الخامس	٢١٠٠	١٩٦٦	٪١٧,١
الصف السادس	١٧٥٥	١٦٨٦	٪١١
المجمـــوع:	١١٤١٥	١١٢٤٢	
		٢٢٦٥٧	

الملحق رقم (٥)

عدد الطلاب الفلسطينيين في المرحلة الاعدادية

	المرحلة	الذكور	الأناث
١	الأول الاعدادي	١٨٦٢	١٨٣٦
٢	الثاني الاعدادي	١٤٣٥	١٤٧٠
٣	الثالث الاعدادي	١١٩٢	١١٣٦
٤	الرابع الاعدادي	٧٧٣	٨٧٠
	المجمـــوع:	٥٢٥٢	٥٣١٢
		١٠٥٦٤	

1 UNRWA, Department of Education Statistical Year Book, 1984-1985, Vienna, Austria, 1986.

الملحق رقم (٦)

الأسرّة في مستشفيات الهلال الأحمر الفلسطيني آذار ١٩٨٦م

بيروت:

١ ـ مستشفى شاتيلا الميداني	١٥ سريراً
٢ ـ مستشفى عكا (مجمع عكا الطبي)	٣٥ سريراً
٣ ـ مستشفى الناصر للأطفال (مجمع عكا الطبي)	١٥ سريراً
٤ ـ مستشفى حيفا	٤٠ سريراً
٥ ـ مستشفى رام الله للنساء والتوليد (مجمع غزة)	٢٤ سريراً

صيدا:

مستشفى الشهيد سعد صايل الجراحي	٥٠ سريراً

صور:

مستشفى صور	٣٥ سريراً

طرابلس:

مستشفى البداوي	٣٥ سريراً

البقاع:

١ ـ مستشفى كمال عدوان	٦٠ سريراً
٢ ـ مستشفى ماجد أبو شرار الميداني	١٥ سريراً

وهناك ما يقارب ١٠٠ سرير في مستشفيات يدفع نفقاتها الهلال الأحمر الفلسطيني، مجلة بلسم الصادرة عن جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، تموز ١٩٨٦م، قبرص، نيقوسيا.

الملحق رقم (٧)

شهادات أطفال فلسطين أثناء حصار بيروت ١٩٨٢م[١]

شهادة الطفل ميلاد فروخ:

كنت ألعب مع أخي أيمن وابن جيراننا في حديقة منزلنا بالمعمورة في الضاحية الجنوبية من بيروت، عندما سقطت قذيفة بالقرب منا، فمات أخي أيمن (٨ سنوات) وأصبت أنا في ساقي وذراعي وخاصرتي كما أصيب ابن الجيران إصابات عديدة.

ـ كيف عرفت أن أيمن مات؟

ـ أنا شفته طبت الشظية برأسه وطار مخه على الأرض، ساعتها نسيت وجعي وصرخت يا أخي يا أخي بس ما كان يرد علي.

شهادة الطفل: أكرم الخطيب (٩ سنوات):

كنت مع أبي واخوتي في الملجأ عندما بدأ الطيران يحلق فوق المنطقة ويقصف بعض البنايات ولم نتوقع أن يضرب البناية التي نختبيء تحتها، لأنها بعيدة عن المواقع العسكرية وكل س فيها مدنيون ولكن القذائف انهمرت على البناية والملجأ مما أدى الى اصابة كل اخوتي، هناء، وليد، أمل، ندى، سمر، هبة، هنادي، لمى

---

١ ـ مجلة بلسم. الثلاثاء ١٩٨٢/٨/٣م.

شهادة الطفلة سلامة رجب (٦ سنوات): التي احترقت كل أسرتها عندما قصف العدو أحد الملاجئ في بيروت.

جاء الطيران وأخذ يضرب صواريخ علينا، تصوبنا كلنا

- أين البابا والماما يا سلام؟

- في المستشفى!

- أي مستشفى!

- المستشفى البعيد البعيد.

شهادة خضر سعد (٨٠) عاماً:

ضرب الطيران منزلنا بالصواريخ فتهدم قسم منه، ثم ضرب بالقنابل التي يسمونها فسفورية فاحترق كله، والتجأت أنا وزوجتي وأطفالي الأربعة الى حديقة الصنائع، هل تتصور أن ابنتي زينب وعمرها ٦ سنوات صار معظم شعرها أبيض من الخوف والرعب ؟!

- ألم تذهب الى طبيب؟

- لم أستطع ارسالها الى الطبيب بسبب وضعي المادي، فأنا الآن عاطل عن العمل، اذ ضرب مكان عملي ولا أملك المبلغ لمراجعة طبيب.

شهادة الطفل أحمد ابراهيم (٨ سنوات)[1]:

بعد اعلان وقف اطلاق النار خرجت اتمشى مع بعض الرفاق في المنطقة المحيطة بنا، وفيما نحن ماشيين وقع بصري على (قفل)

---

١ - الأطفال في زمن الحروب. مجلة بلسم. الهلال الأحمر الفلسطيني. يوليو/ تموز ١٩٨٢م. مايو/أيار ١٩٨٣م. قبرص. ص: ٦٣ ٦٧

جميل غريب الشكل فحملته بين يدي وصرت العب به وأحاول فتحه، ولكن سقط من يدي فسمعت انفجاراً قوياً وغبت عن الوعي، ولم افق الا في المستشفى حيث علمت أنني أصبت بشظايا قنبلة عنقودية طالت وجهي وجسمي وبترت ابهام قدمي اليسرى، لم أكن قبل هذه الحادثة اعتقد أن الاسرائيليين غداريين الى هذا الحد، ولكنني الآن أعرفهم جيداً

اعتقال الأطفال[1]:

بعد شهر ونصف على بدء العدوان الصهيوني على لبنان وبعد ضغوطات كبيرة من جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني تدخل الصليب الأحمر الدولي لانقاذ حياة الأطفال الأسرى في معسكر بلدة أنصار في الجنوب اللبناني، ورغم الجهود التي بذلها الصليب الأحمر لدى سلطات الاحتلال وافقت اسرائيل على اطلاق سراح (٢٢٠) طفلا لبنانياً وفلسطينياً من معسكر أنصار فقط، وهؤلاء الأطفال تتراوح أعمارهم بين الثانية عشرة والخامسة عشرة.

والأطفال المفرج عنهم لا يشكلون الا جزءاً بسيطاً من مجموع الأطفال الذين يرزحون في غياهب معسكرات الاحتلال الأخرى المنتشرة في الجنوب اللبناني وفلسطين.

---

١ ـ عن مجلة بلسم. الأربعاء ١٩٨٢/١٢/٣١م.

المراجـــــــع

أولا: المراجع العربية

١ ـ أطفال الحروب. نيبلات روجرز.

٢ ـ تقرير المفوض العام لوكالة الاغاثة الدولية. ١٩٨٣م.

٣ ـ الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية تقرير فصلي. العدد الثالث. أبريل/نيسان ١٩٨٥م.

٤ ـ حرب المواجهة في لبنان. شاهين محمود. الاعلام الموحد. دمشق. ١٩٨٣م.

٥ ـ مجلة بلسم. الأطفال في زمن الحروب. قبرص. يوليو/تموز ١٩٨٢م، مايو/أيار ١٩٨٣م.

٦ ـ مجلة بلسم. قبرص. الثلاثاء ١٩٨٢/٨/٣١م.

٧ ـ مجلة بلسم. قبرص. الأربعاء ١٩٨٢/١٢/٣١م.

٨ ـ منظمة التحرير الفلسطينية. ماجدولين خلف. تقرير عن أوضاع الروضات الفلسطينية في لبنان. دائرة التعليم العالي. بيروت: ١٩٨٢/٨١م.

٩ ـ منظمة التحرير الفلسطينية المجموعة الاحصائية الفلسطينية المكتب المركزي للاحصاء. دمشق. ١٩٨٣م.

١٠ ـ الهلال الأحمر الفلسطيني. نشرة عن مؤسسات الهلال في لبنان. دمشق: ١٩٨٥م.

ثانياً: المراجع الانجليزية

1 Brisset, Claire; Les enfants dans un monde de conflits, le Monde Diplomatique, Janvier, 1986.

2 UNRWA, Department of Education Statistical Year Book, 1984 1985 Vienna, Austria 1986.

أثر الحرب العراقية ـ الايرانية على أوضاع الأطفال

نزيهة محيي الدين الأعرجي

المقدمـــــة :

لاشك أن الخوض في دراسة التأثيرات التي أحدثتها الحرب العراقية ـ الايرانية أمر سابق لأوانه ذلك أن هذه الحرب ما زالت قائمة وليس من السهل الوقوف على تأثيراتها المختلفة ولا سيما تأثيرها على الأطفال والناشئة بالدقة التي ينبغي أن يتميز بها هذا البحث لندرة الأبحاث والدراسات التي تتناول هذا الموضوع من أية زاوية من زواياه الأمر الذي جعل دراستنا هذه تواجه صعوبة بالغة في الحصول على المعلومات والبيانات الكمية التي من شأنها القاء الضوء على بعض جوانب هذا الموضوع

ونود التنويه هنا الى أن دراستنا هذه قد جاءت تلبية لطلب الأمانة العامة للشئون الاجتماعية في جامعة الدول العربية لاعداد دراسة حول وضع الأطفال في المناطق التي تعاني من آثار الحروب وهي تعتبر محاولة متواضعة اعتمدت التحليل الكيفي كأسلوب

وكطريقة للوصول الى بعض الاستنتاجات ويبدو للمتتبع أن الحرب التي فرضت على العراق ما هي الا تعبير وافراز لطبيعة الصراع الحضاري القائم بين العراق وايران والذي أسهمت في خلقه وتعميقه عوامل عديدة بعضها قديم ارتبط بالاحداث التاريخية وبعضها جديد ارتبط بطبيعة النظام القائم في ايران الذي سعى ويسعى لفرض هيمنته واحلامه التوسعية على العراق ومنطقة الخليج العربي ككل تحت واجهات كاذبة وشعارات زائفه

ان تشبث ايران بتحقيق هذه المطامع جعلها تصر على مواصلة الحرب ورفض كل دعوات السلام طيلة السنوات الثماني التي مضت على هذه الحرب والتي عمقت من تأثيراتها المختلفة على شرائح المجتمع وعلى الأخص شريحة الأطفال.

ان امتداد الحرب لهذه السنوات الطويلة قد وسع من دائرة تأثيراتها على الأطفال وجعل البحث في هذا الموضوع أمراً في غاية التعقيد والصعوبة لتشابك هذه التأثيرات

الأمر الذي يحتاج الى تضافر جهود فريق بحث مشترك يضم المتخصصين في العلوم الانسانية كعلم الاجتماع وعلم النفس والعلوم التربوية والصحية للوصول الى تحديد علمي لابعاد وجوانب هذه التأثيرات وفي ضوء ذلك فان دراستنا هذه لا يمكن أن تعتبر سوى محاولة استطلاعية لتسليط الضوء على زاوية صغيرة من زوايا هذا الموضوع آملين أن تكون حافزاً ومنطلقاً لدراسات أخرى أكثر عمقاً

وشمولا تقوم على اخضاع عينات من الأطفال للاستقصاء والبحث بالاعتماد على أدوات ومقاييس علمية مناسبة للوصول الى تحديد واضح لانعكاسات الحرب عليهم من الجوانب النفسية والتربوية والاجتماعية والصحية

حمايـــــة الطفولـــــة

أولا: حقوق الأطفال في ضوء المواثيق العربية والدولية:

يعتبر الاهتمام بحقوق الطفل من نشاطات المجتمع الدولي في حقل حقوق الانسان.

ولقد بدأت مرحلة تقنين حقوق الطفل منذ الثلاثينيات حيث اعتمد في عام ١٩٢٤م ما دعي باعلان جنيف لحقوق الطفل.

وبعد تأسيس هيئة الأمم المتحدة أبدت اللجنة المنبثقة عن الجمعية العامة وهي اللجنة المختصة بالقضايا الاجتماعية والانسانية اهتماماً بالغاً بحقوق الطفل آخذة بعين الاعتبار اعلان جنيف السالف الذكر

وظهرت آثار هذا الاهتمام بحقوق الطفل مترافقة مع الاهتمام العام بحقوق الأسرة والأمومة في ميدان حقوق الانسان الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

وأول نص اعتمد في نطاق الأمم المتحدة هو الفقرة الثانية من المادة (٢٥) من الاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر في ١٠ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٤٨م والتي أكدت على رعاية متميزة.

وأصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً في عام ١٩٥٤م أوصت بموجبه الدول الأعضاء أن تحتفل بيوم عالمي للطفل اعتباراً من عام ١٩٥٦م ثم اتجهت الأمم المتحدة الى تقنين اعلان خاص بحقوق الطفل فأصدرت الجمعية بتاريخ ١٩٥٩/١١/٢٠م الاعلان العالمي لحقوق الطفل وينطوي هذا الاعلان على منطلقات انسانية متقدمة في مجال الاهتمام بحقوق الطفل، وقد تضمن الاعلان عشرة مبادىء أكدت عليه ضرورة تمتع جميع الأطفال بالحقوق المقررة في هذا الاعلان بدون أي تمييز أو تفرقة بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين.

كما أكدت على تمتع الطفل بالحماية الخاصة المناسبة وبالفرص والتسهيلات القانونية لاتاحة نموه الجسمي والعقلي والخلقي والروحي والاجتماعي.

وأفردت مبدأ خاصاً بحق الانتماء ومبدأ آخر بالضمان الاجتماعي وحق النمو الصحي السليم، من جانب آخر فان هذا الاعلان منح الطفل ذا العاهة حق العلاج والترفيه وفق ما تتطلبه حالته الصحية، كما أكد على اكتمال بناء شخصيته وحس تنشئته في ظل مسئولية واعية من الوالدين وعلى حق التعليم المجاني والالزامي

وخاصة في مراحله الأولى دون اغفال للجانب الترفيهي الموجه، مركزاً على حمايته سن الاستغلال والقسوة والاهمال والاضرار بصحته واعطائه الأولوية في الاغاثة، وقد اتخذ الاهتمام الدولي بحقوق الطفل منحي جديداً ومتميزاً في السبعينيات اذ أصبح ينظر الى هذه الحقوق باعتبارها جزءاً من متطلبات التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وبمراجعة سريعة لحيثيات قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة باعتبار عام ١٩٧٩م سنة دولية للطفل يبرز التأكيد على المنحى المذكور حيث أن هذا القرار حث الحكومات على توسيع مناطق جهودها على المستوى الوطني ومستوى المجتمع المحلي لتحسين أوضاع أطفالها بصفة دائمة مع ايلاء اهتمام خاص للفئات الأضعف ولا سيما الفئات المحرومة واهاب القرار بالوكالات والهيئات التابعة لمنظمة الأمم المتحدة أن تساهم في اعداد وتنفيذ أهداف السنة الدولية

ووضع القرار الاطار التنظيمي والاداري لتنسيق أنشطة السنة الدولية للطفل وأناط هذه المهمة بمنظمة الأمم المتحدة للأطفال ودعا المنظمات غير الحكومية والجمهور الى المشاركة بتلك الأنشطة ويمثل هذا القرار مرحلة جديد س الاهتمام بحقوق الطفل حيث أوقف المجتمع الدولي على عتبة صياغة اتفاقية دولية خاصة بحقوق الطفل، بعد هذه النمحة السريعة عن الاهتمام الدولي بحقوق الطفل وافاقه المستقبلية يجدر بنا أن نوضح هنا مهماتنا ومساهماتنا القومية والانسانية في ميدان حقوق الطفل العربي آخذين في الاعتبار الآفاق المستقبلية والحضارية للاهتمام بحقوقه مما دفع مجلس وزراء الشئون الاجتماعية

العرب أن يولي موضوع الطفولة اهتماماته، وأن يضع ميثاقاً لحقوق الطفل العربي يتضمن مجموعة سن المبادىء التي أكدت على ضمان الحقوق الاساسية للأطفال والتي شملت الجوانب الصحية والاجتماعية والتعليمية فضلا عن رعاية الفئات الخاصة بما فسح المجال لكل دولة عربية باتخاذ الخطوات المناسبة في حدود ما تسمح به امكاناتها المادية والفنية لتطبيق ما تضمنه هذا الميثاق.

ثانياً: رعاية الطفولة في العراق:

واصل العراق منذ ثورة تموز ١٩٦٨م تنفيذ خططه التنموية في الميادين الاجتماعية والاقتصادية والتربوية بشكل متكامل وقد احتل قطاع الطفولة موقعاً هاماً وأساسياً في تلك الخطط وقد تجسد ذلك بعدد من التشريعات التي بموجبها تم انشاء العديد من المؤسسات الخاصة برعاية الطفولة وتوجيهها الوجهة السليمة، ان تربية النشء وبناء المجتمع الجديد واطلاق طاقات الانسان الخلاقة هي الأساس في اجراء تغييرات جذرية وشاملة في المجتمع العربي باتجاه تحقيق الأهداف المنشودة.

ان قضية الطفل في العراق تحتل مكان الصدارة من منجزات الدولة حيث نالت مرحلة الطفولة اهتماماً بالغاً من خلال توفير المستلزمات الضرورية للأطفال وإقامة هيكل تشريعي يحمي الطفولة ويضمن حقوقها باعتبارها اللبنة الأساسية لبناء المجتمع وتطوره.

وعلى طريق رعاية الطفولة اهتمت الدولة اهتماماً بالغاً بالدور الذي تلعبه المرأة تجاه الطفولة ودورها الايجابي في المساهمة لتحقيق التحولات الاجتماعية والاقتصادية نحو التقدم.

ومن الانجازات التي تمت على طريق رعاية الطفولة التوسع بانشاء دور الحضانة التي تقوم برعاية أطفال الأم العاملة وفق أسس تربوية صحيحة وزيادة عدد هذه الدور من (١٠) دور عام ١٩٦٨م الى (٢٠٠) دار عام ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥م.

كما نلمس التوسع الكبير في انشاء ر ياض الأطفال حيث ازداد عدد الرياض من ١٣٥ روضة عام ١٩٦٨م الى ٥٤٩ روضة عام ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥م.

وحظي التعليم الابتدائي هو الآخر باهتمام خاص ومتزايد باعتباره من القضايا الأساسية التي لها علاقة وثيقة بالتنمية وأبعادها وقطاعاتها المختلفة وشهدت السنوات الأخيرة نمواً وتطوراً ملحوظين في اعداد التلاميذ والمدارس والمعلمين لا سيما بعد تطبيق قانون التعليم الالزامي الذي وسع الفرص التعليمية لجميع الأطفال في العمر المدرسي (٦ ـ ١١) وتطبيق قانون مجانية التعليم والتغذية المدرسية

ونتيجة لهذا القانون ارتفع عدد التلاميذ ورافقته زيادة في اعداد المعلمين والمعلمات كما انعكست الزيادة على عدد المدارس الابتدائية من ٥١٣٧ مدرسة عام ١٩٦٨م الى ١٠٢٢٣ مدرسة عام ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥م.

واهتمت المؤسسات التربوية المختصة في العراق برعاية الطفل اجتماعياً ونفسياً وصحياً فاعتنت بالجوانب الوقائية وبتوجيه الأطفال عن طريق توفير الامكانات الرياضية والاجتماعية والفنية والصحية واكسابهم المهارات والاتجاهات الصالحة التي تزود حياتهم بالمقومات اللازمة وتمكنهم من جعل حياتهم غنية بالخبرات مع تدريبهم على التفكير الصحيح وحس التصرف والعناية بالجوانب العلاجية باستخدامها البرامج كوسيلة للتخفيف س حدة المشكلات التي يعاني منها بعض الأطفال وتذليل عقباتها ونتيجة لهذا الاهتمام فقد تطورت أساليبها وبرامجها وأبنيتها وهيئاتها التدريسية وأصبحت هذه المؤسسات تعتمد على المراكز الصحية لرعاية الأمومة والطفولة بشكل كبير وقد تم شمول كافة المحافظات والأقضية والنواحي بخدماتها وأشارت احصائية لمنظمة الصحة العالمية صدرت عام ١٩٨٣م أن نسبة الوفيات بين أطفال العراق قد انخفضت انخفاضاً كبيراً من ١٢,٠٦٪ خلال الستينيات الى أقل من ٦,٥٪ عام ١٩٨٤ - ١٩٨٥م.

ولقيت برامج العراق المتعلقة بصحة الطفل ورعايته من الجوانب الصحية والاجتماعية والتعليمية تقديراً كبيراً من قبل منظمة الأمم المتحدة للأطفال (اليونسيف) والواقع أن هذا التطور الكبير في رعاية الطفولة في العراق يعود فضله الى اهتمام الدولة باعداد جيل متعلم يتمتع بالقوة والسلامة والصحة.

وهناك برامج واسعة يتم تنفيذها من قبل منظمات مهنية وجماهيرية تسهم بشكل فعال في صقل مواهب وقابليات الأطفال عن طريق تنظيمات الفتوة والطلائع والطلبة فالدولة ملتزمة بكل المبادىء الأساسية لحقوق الطفل وينعم أطفال العراق دونما أي استثناء بفرص النمو والرعاية الصحية والاجتماعية والتعليم واللهو والرفاهية، فالطفل العراقي رغم كل ما تعرض له نتيجة الحرب يعيش وضعاً شبه طبيعي وبشجاعة وثقة عالية بالنفس بسبب الرعاية والعناية التي يلقاها والتخطيط المبرمج والاستعداد المركز الذي تهيؤه الدولة لاستيعاب حالات اليتم والاعاقة في مؤسسات الرعاية المتطورة، ولقد ازداد الدعم والاهتمام بشئون الطفولة حيث أصبح جزءاً مهماً وكبيراً من اهتمامات الدولة وخططها المستقبلية

ان وضع الأطفال في العراق رغم استمرار الحرب وظروفها القاسية، كما بينا يختلف عن وضع الأطفال في المناطق الأخرى التي تعرضت للكوارث والحروب

ان العراق انطلاقاً من التزاماته المبدئية ووفاء منه للقوانين والأعراف الدولية يحتجز الآن المئات من أطفال ايران الذين وقعوا في الأسر وقد قام بالاتصال بعدد من المنظمات الدولية والاقليمية وأطلعها على أوضاعهم مما أدى الى زيارة ممثلي تلك المنظمات كمنظمة (أرض الانسان السويسرية) ومنظمة (الدفاع عن الأطفال

السويسرية) ومنظمة (اناهيتا الايرانية) لهؤلاء الأطفال الأسرى.

كما أطلع العراق هؤلاء الممثلين على ما وفره لهؤلاء الأطفال من ظروف وأوضاع انسانية لائقة بهم.

وقد أعلن العراق أن هؤلاء الأطفال لن يكونوا أسري حرب قط بل هم ضيوف العراق وأن التعامل معهم ينبغي أن يقوم على هذا الأساس، فلقد استقبل السيد الرئيس القائد صدام حسين أفواجاً في مكتبه الرسمي وقدم لهم الهدايا، وبذلك عادت البسمة الى وجوههم لاحساسهم باليد الرحيمة وبالحنان الصادق.

وعملا بتوجيهات السيد رئيس الجمهورية وانطلاقاً من التزام العراق بكل الأعراف والقوانين الدولية تم ما يأتي:

- عدم اعتبار هؤلاء الأطفال أسرى حرب بل أطفالا تقدم لهم جميع الضمانات اللازمة، كل حسب عمره.
- تسهيل زيارات اللجنة الدولية للصليب الأحمر لهم مرة كل شهر وبشكل مستمر وتسليمهم الرسائل الواردة اليهم من أهليهم وتفقد حالتهم الصحية والمعيشية.
- وضع الأطفال في أماكن خصصت لهم مفصولة عن الأماكن التي يقيم فيها البالغون.

- الزيارة المنتظمة للأطباء المتخصصين لكل مجموعة من الأطفال وبمعدل مرتين في كل شهر

- توفير صيدلية كاملة مزودة بكل الأدوية والعقاقير الضرورية وهي خاضعة لتفتيش بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر شهرياً الى جانب توفير التمريض المطلوب.

- تخصيص قاعة خاصة للأطفال المرضى يشرف عليها طبيب مختص.

- تزويد الأطفال المعوقين بكراسي طبية متحركة وبعكازات طبية لمن أصيب بكسور تعوقه من السير والحركة الحرة.

- توفير سيارات اسعاف فوري للحالات المرضية العاجلة التي تستدعي نقل المريض الى المستشفى

- تهيئة الحمامات والمرافق المزودة بالمياه الباردة والساخنة

أما الخدمات الترفيهية فقد تحقق ما يأتي:

- اذاعة داخلية لتلاوة القرآن الكريم والأحاديث الدينية باللغة الفارسية
- بث برامج للأغاني والموسيقى التي تنسجم وأذواقهم.
- توفير مكتبة لكل مجموعة من الأطفال تضم كتباً خاصة بالأطفال.
- تهيئة ساحة لكرة القدم وأخرى لكرة الطائرة مع توفير لعب رياضية أخرى لكل مجموعة من الأطفال.

- عرض الأفلام الترفيهية المتضمنة اهتمامات الأطفال كعالم الحيوان والألعاب الرياضية وأفلام الكارتون بواسطة الفيديو بأوقات منتظمة

- اهداء جميع الأطفال نسخاً من المصحف الشريف.

- تقوم ادارة كل مجموعة من الأطفال باجراء زيارات للعبات المقدسة بين وقت وآخر وفي أيام المواسم والأعياد.

لقد شاهد الصحفيون العرب والأجانب الذين زاروهم في مقراتهم ما ذكرناه آنفاً وتحدثوا اليهم حديث البراءة عن شيء لا يد لهم فيه ولا يكادون يعلمون عنه شيئاً، عن طاحونة الموت التي سحقت اخواناً لهم أمام أعينهم وقد تملكهم رعب لن ينسوه، تحدث اليهم الزوار من أكثر من بلد ورأوا دموع الطفولة التي لا تعرف الكذب والرياء من أجل أهليهم تلك هي الطفولة التي حُرمت من أن تشب وتترعرع كأقرانها من أطفال العالم بل قذف بهم الى الحرب التي أشعلت فكانوا من وقودها.

ان العراق المتمسك بكل ما تفرضه مباديء الدين الاسلامي الحنيف المتمسك بكل القيم الانسانية والأخلاقية لم تفته مناسبة عيد الفطر المبارك فبادر الى دعوة عوائل الأطفال الايرانيين الأسرى لزيارة أطفالهم واللقاء بهم في العراق أو في أي بلد آخر يتفق عليه وباشراف اللجنة الدولية للصليب الأحمر، اذ كانت هذه تعبيراً صادقاً عن مواقف العراق المبدئية التي أعلنها والتزم بها أمام جميع الهيئات

والمنظمات الدولية وأمام الرأي العام العالمي ولكن مع الأسف شاء حكام ايران أن يحرموا الأطفال من رؤية ذويهم صبيحة العيد.

ولا تفوتنا هنا الاشارة الى البرنامج الثقافي المهني الذي أعده القائمون على رعاية الأطفال الايرانيين الأسرى والمتضمن برامج تدريبية أيضاً الى جانب اللغتين العربية والانجليزية بالاضافة الى تدريسهم اللغة الفارسية

لقد أعدت السلطات العراقية مدرسة لهؤلاء الأطفال تربعوا فيها على مقاعد الدراسة من أجل تهيئتهم لمواجهة الحياة بامكانات وكفاءات جيدة كما كان ينبغي لهم أن يكونوا.

ان العراق يجد نفسه في وضع تملي عليه مسئولياته والتزاماته ووفاؤه للأعراف والقانون الدولي بأن يستصرخ ضمير العالم بأسره من أجل ايقاف مجازر الأطفال الدامية التي يقوم بها النظام الايراني من خلال حربه العدوانية المفروضة على العراق.

أثر الحرب وانعكاساتها على عموم الأطفال

ان الحرب مشكلة انسانية عميقة الجذور في الحضارة البشرية وظاهرة قديمة قدم الحضارة نفسها وان آثارها متعددة ومتنوعة (سكانية، اقتصادية، اجتماعية، صحية، وغيرها) تمتد لتشمل كل أبناء المجتمع وتصيب الأطفال بشكل أو بآخر

لقد قاربت الحرب العراقية ـ الايرانية أن تدخل عامها التاسع ولا تزال نيرانها مشتعلة وأوارها متقداً ويتساءل البعض عن آثارها على سير الحياة في العراق فالحرب كما يعلم الجميع مهما كانت نوعاً وشدة لا ينتج عنها الا التخريب والخسارة في الأنفس والأموال والعمران ولو استعرضنا الحالة العامة في العراق بعد مضي هذه المدة من الحرب لوجدنا آثارها سلبية وايجابية، فهي ولا شك افقدته أبناء عزيزين استشهدوا دفاعاً عن الحق والوطن والكرامة وشرف الأمة، كما أفقدته الكثير من الأموال التي أنفقت على الأسلحة والمعدات العسكرية علاوة على ما أصاب العمران من تخريب نتيجة القصف العدواني هذا هو الوجه السلبي للحرب، أما الوجه الايجابي فقد تجلى في وحدة الشعب والتفافه حول قيادته مما أدى الى صموده خلال سنوات الحرب وايماناً بأنه على حق وعدوه على باطل، فويلات الحرب زادت شعب العراق قوة على قوته وعزماً على عزمه وأدت الى وحدته وتماسكه وتفانيه في الدفاع عن حدوده وشرفه

ان الفرد العراقي لم يشعر طيلة سنوات الحرب بنقص في المواد الغذائية والحياتية من حيث النوع والوفرة نتيجة الدعم الحكومي لضروريات الحياة، إلى جانب السلع الوطنية والمواد المنتجة في العراق والتي ازدادت وفرة وتنوعاً خلال فترة الحرب لتلبي الحاجة وتزيد.

أما حركة البناء والتشييد فقد سارت بوتائر عالية رغم ظروف الحرب مما جسد بحق شعار قيادة الحزب والثورة (يد تحارب ويد تعمل) اذ شيدت المجمعات السكنية لأبناء الشعب، وانشئت الجسور

العديدة وخطوط المرور السريع وأقيمت السدود ومشاريع الارواء الضخمة الى جانب المرافق السياحية الرائعة

وفي قطاع التربية والتعليم اعتمدت القيادة نظماً وبرامج متقدمة تعتمد العلمية والثورية في آن واحد مما أدى الى تقوية الفرد الناشيء جسماً وعقلا وروحاً فهو اليوم أشد صلابة وأقوى تعاوناً وتحملا لمسئولياته الشاملة وأكثر انتاجاً، وقد ساهمت المرأة في فروع الانتاج والاستثمار كافة، ان هذا الوضع الناهض للعراق وموقفه السليم من الحرب التي فرضها نظام ايران ودعوته الصادقة المخلصة للحق والسلام وسعيه في ذلك السبيل عن طريق الاشتراك في المؤتمرات الداعية لايقاف الحرب وتأييده للمساعي الحميدة والوساطات السليمة، كل هذا قد جعل من العراق مثلا صالحاً للنظام السياسي السليم الداعي للخير والتقدم الحضاري.

في هذا الجو الاقتصادي والاجتماعي والصحي والفكري السليم يعيش الطفل العراقي وفي الوقت الذي ساهمت فيه المرأة في عملية التنمية ودخلت ميادين العمل المختلفة لم يفقد الأطفال رعاية أمهاتهم اللواتي انخرطن في العمل فقد نابت عنهن في ذلك دور الحضانة ورياض الأطفال التي يقوم على ادارتها ورعايتها اخواتهن اللاتي يتمتعن بالخبرة والاختصاص في رعاية الأطفال وتربيتهم ووفرت هذه الدور كل ما يحتاجه الأطفال من رعاية صحية واجتماعية وتربوية سليمة

ان الطفل في هذا الدور يمكن تشبيهه بجهاز استقبال فائق الحساسية فهو يلتقط كل ما يدور حوله وما يسمعه ويطلب له تفسيراً ويتأثر به، لذا تلعب البيئة المحيطة به دوراً هاماً في تكوينه من النواحي النفسية والاجتماعية، والحرب وكل ما يصاحبها من انعكاسات علي البيئة المحيطة به تعتبر موضوعاً مثيراً لانتباه الطفل ويكون لاحداثها وللمحيط الذي يتعامل معه الأثر الكبير في مدى انعكاسات الحرب عليه

أولا: الانفجارات والقصف وأثره على الأطفال:

عمد العدو الايراني في غمار فشله المتكرر في عدوانه على الأراضي العراقية الى قصف المناطق السكنية في المدن والقرى بالمدفعية الثقيلة والصواريخ وقد كان لذلك آثاره السلبية على الأطفال لا من ناحية الاصابات المباشرة فحسب بل بما ينعكس على نفسية الأطفال من ردود فعل تبعاً لردود أفعال الكبار المحيطين بهم وعلى الأخص الأم أو المربية أو المشرفة في دار الحضانة أو المعلمة في الروضة أو المدرسة الابتدائية

فكلما كانت الأم والمربية والمعلمة هادئة وقت الحادث وقادرة على اجابة تساؤلات الطفل بشكل مقنع أصبح أكثر صلابة وهدوءاً في مواجهة مثل تلك المواقف وتجنبه الانفعالات النفسية الشديدة التي قد تؤدي الى أضرار لا تحمد عقباها.

ثانياً: وجود الآباء في جبهات القتال وأثره على الأطفال:

ان الأب في وجهة نظر الطفل هو المثل الأعلى الذي يقتدى وهو مصدر القوة الذي يحتذى، لذا فهو يحاول تقليده والتشبه به، فوجود الأب في جبهة القتال يجعل الطفل يشعر بالفخر والاعتزاز لكون والده مقاتلا شجاعاً يصد العدو دفاعاً عن الوطن لتحقيق الانتصار للعراق، إذ يشاهد الطفل في التلفزيون هذه الانتصارات بأم عينه فيتخيل نفسه في موقع والده لذا فهو يطالب دائماً بارتداء الملابس العسكرية ويختار العابه في الغالب من الأسلحة، يحلم وكأنه في جبهة القتال ويتخذ لجبهته أسماء حقيقية سمعها من أبيه أو أخيه أو أقاربه، ونظراً لشدة تحسس الطفل وسرعة تقبله فقد تعلم بعض الأمور الواجب اتخاذها عند حدوث الغارة الجوية أو أثناء القصف المدفعي المعادي كالانبطاح أو الحركة نحو الملجأ أو الابتعاد عن الزجاج الخ، وعند عودة والده من جبهة القتال في الاجازة نجده يلح عليه بطلب سماع أحاديث المعركة والبطولة ليزداد استيعاباً للمعركة وفهماً للأمور

ثالثاً: الأجواء العامة لظروف الحرب وتأثيرها على الأطفال:

رغم عناية الدولة واهتمامها الكبير ببرامج الأطفال في الاذاعة والتلفزيون الى جانب توسعها في مجال المطبوعات الطفلية من مجلات وقصص مصورة للتخفيف من أثر الجو العام للحرب على الأطفال خشية استكمال ظاهرة العنف والقسوة لديهم فالأطفال وكما

ذكرنا آنفاً سريعون في التقاط ما يدور حولهم، فالوضع العام يشدهم الى أخبار الحرب باعتبارها الحدث الأساسي الذي يحظى باهتمام الكبار، لذا نجد أجهزة الاعلام تولي برامج الأطفال عناية خاصة وتجعلها زاخرة بالمناهج الموجهة وبالأناشيد والأغاني الوطنية وصور المعركة مما يلبي رغبتهم ويستجيب لنزعاتهم اذ هم يميلون لحفظ الأناشيد الوطنية وترديدها لمشاهدة المعركة سن التلفزيون.

يتبين لنا مما تقدم الأهمية التأثيرية لوسائل الاعلام في صقل وتنمية قدرات الأطفال من خلال حفظهم للأناشيد الوطنية والأغاني الهادفة الخاصة لهم الى جانب ما يقوم به مسرح الأطفال من دور هادف عبر المسرحيات الوطنية والتمثيليات التي تمجد البطولة والشجاعة المرتبطة بتراث الأجداد وتاريخ الأمة العربية المجيدة.

لذا أصبح أطفال العراق الذين هم مستقبله ورجال غده المشرق مرآة المجتمع الصادقة الحقة.

رابعاً: أثر الحرب على الأطفال في المناطق التي تتعرض للقصف.

ان تجاوزات النظام الايراني وخرقه للأعراف الدولية بقصف المناطق السكانية وخاصة في المناطق الحدودية كان له أثره على مظاهر الحياة فيها، واذا كان القصف قد افقد أسراً من مساكنهم فاضطروا الى تغييرها فان بعض المناطق الحدودية تتعرض دوماً للقصف مما دفع الى تهجير سكانها لمدن أخرى مما كان له تأثير مباشر على مشاعر الطفل الذي فقد ما كان قد اعتاد عليه في بيته ومحلته ومدينته

ومع محدودية حجم حالات التهجير الا أنها تعتبر ذات تأثير كبير على نفسية الطفل ووضعه الفكري.

لقد أثر القصف العشوائي الغاشم بشكل عام على دوام الأطفال في هذه المؤسسات وخاصة على المناطق الحدودية، ففي الوقت الذي نجد فيه تزايد عدد الأطفال في دور الحضانة ورياض الأطفال اثر انطلاق المرأة في مجالات العمل المتنوعة وازدياد اسهامها في شتى مرافق الحياة وتنوع المسئوليات وانشغال الآباء في أمور الحرب، نجد الكثير من الأطفال يتخلفون عن الدوام في هذه المؤسسات أثناء القصف الذي تتعرض له مناطق سكنهم ومدارسهم وكذلك في أيام عودة آبائهم من الجبهة فترة الاجازة بقصد الاجتماع بهم وتمضية أغلب أوقاتهم في مصاحبتهم.

لقد انعكس أثر الحرب بشكل غير مباشر على ارتياد الأطفال للمتنزهات وأماكن اللهووواللعب، حيث أن انشغال الآباء في جبهات القتال أو بالخفارات من جهة وانشغال الأم بأعباء جديدة أضيفت الى مسئولياتها السابقة من جهة ثانية أدى الى قلة ذهاب الأطفال الى هذه الأماكن لصعوبة أن يصطحب الطفل غير أبيه أو أمه الى المتنزهات وأماكن اللهو واللعب علاوة على الخشية من حدوث غارة أو قصف يهز الطفل ويرعبه.

أثر الحرب على بعض فئات الأطفال

تميز العراقيون خلال الحرب المفروضة عليهم بالاصرار البطولي على القتال والبناء في آن واحد، اذ هم الأبطال البواسل في سوح القتال دفاعاً عن الأرض والشرف ويسترخصون الغالي والنفيس في

سبيل عزة الوطن وكرامته مكونين المثل العليا التي تلمع في سماء التضحية والفداء، كما أنهم الأبناء الأشداء في سبيل تنفيذ خطط التنمية ومشاريع العمران لبناء صرح العراق الزاهر الجديد.

ان ايمان العراقيين الراسخ بالتضحية في سبيل الوطن وعزته يقودهم الى أعلى وأسمى درجات الفداء والاستبسال التي تتوج بالشهادة، وللشهداء مكانة خاصة في نفوس المواطنين الا أن مكانتهم المتميزة لدى القيادة العراقية قد وضعتهم في أرفع الدرجات اذ العراقيين الأكرم منها جميعاً، لذا سنت من أجل عوائلهم وأولادهم جملة من التشريعات والقرارات التي تضمن لهم العيش الكريم الرغيد والرعاية والعناية الفائقتين.

لقد تركت الحرب العدوانية آثارها وبصماتها على الأطفال وقد ألمحنا فيما سلف من الحديث الى بعض مظاهر آثارها السلبية ولعل من المستغرب أن نشير هنا الى آثار ايجابية لحربنا المقدسة ضد العدوان الايراني، هذه الايجابية التي تبرز في تصرفات الأطفال وسلوكهم وهواياتهم.

اذ أصبح الطفل العراقي يتشبه بالرجل المقاتل الشجاع فيرتدي الملابس العسكرية ويحمل بندقيته الصغيرة محاولا أن يعكس صورة أبيه المقاتل اذ هو مثله الأعلى للبطولة والشجاعة بل هو لا يفتأ يردد بكل افتخار واعتزاز حكايات المعركة التي سمعها أو شاهدها في التلفزيون، بل كثيراً ما يطلب أن يكون له شرف المشاركة في الدفاع عن وطنه

وقد تجلت أروع مظاهر الافتخار والاعتزاز بأبائهم الشهداء وهم يتقدمون من القائد الرئيس صدام حسين ليضع على صدورهم أنواط الشجاعة التي منحها لآبائهم الأبطال

أولا: أثر الحرب على أبناء الشهداء والمفقودين والأسرى:

إن ما قدمته الدولة وما تقدمه الى أبناء وذوي الشهداء والمفقودين والأسرى يسهم بشكل فعال في التخفيف عن الأسرة.

ان البيئة المحيطة بالطفل تلعب دوراً كبيراً في حياته فالأسرة التي يسودها جو س الحزن ومظاهر الحداد تؤثر نفسياً على الطفل وتجعله مكتئباً حزيناً وميالا للعزلة أما الأسرة التي تتعامل مع مصيبتها بواقعية ووعي وتهتم بنفسية أطفالها وتوضح لهم أنه لا مناص من استشهاد الرجال دفاعاً عن شرف وسلامة وأمن الوطن الذي هو شرفه وسلامته وأمنه وأن والده من الأبطال فانها بذلك تحمي الطفل س الآثار الضارة وهذا ما نلمسه في الغالب من أسر الشهداء، واذا ما تجاوزنا أسرة الشهيد الى أسرة الفقيد فإننا نجد الحيرة والقلق والأمل المرتقب تسود الأسرة وتكثر التساؤلات حول مصيره بحيث يشعر الطفل بالقلق العميق من جراء عدم معرفته بمصير والده ويصبح القلق بالتدريج جزءاً من شخصيته مما يؤدي الى الحساسية المفرطة والاضطرابات النفسية الأخرى، أما بالنسبة لأطفال الأسرى فان ابن

الأسير يعيش في حالة القلق النفسي والانتظار وخاصة عندما ترد الأخبار التي تنم عن سوء معاملة الايرانيين للأسرى العراقيين واعدامهم أو التنكيل بهم.

ثانياً: أثر الحرب على أطفال معوقي الحرب:

يتعرض أبناء معوقي الحرب الى انفعالات نفسية ومواقف اجتماعية تختلف عن تلك التي يواجهها أبناء الشهداء والمفقودين والأسرى، فالطفل في الغالب يعاني من قلة اهتمام والديه به، اذ ينصرف اهتمام أمه الى أبيه بالدرجة الأساس هذا الاهتمام الذي أضاف الكثير من الأعباء عليها اضافة لأعبائها السابقة، مما يؤثر على اهتمامها بأطفالها، كما أن الوالد المعوق غالباً ما يكون في حالة لا تسمح له بأن يؤدي دوره المطلوب في رعاية أطفاله واحاطتهم بالحنان، اذا أصبح في وضع يحتاج فيه الى الحنان والرعاية لظروفه الصحية المؤلمة وقد يشيع جوا من الأسى والاكتئاب والانفعالات العصبية على الأسرة وبخاصة على الأطفال الذين لا يتفهمون ولا يدركون ما يعاني منه والدهم المعوق.

الخاتمـــــة .

لا يختلف اثنان في كون الحروب أبرز مظاهر الشر والخراب والدمار لذا ينادي قادة البشرية الى أهمية السلام وحل المشاكل بين الدول بالتفاهم دون اللجوء الى العنف غير أنه عندما تقع البلية والاعتداء العسكري الغاشم لابد من الرد عليه والوقوف بوجهه وهذا ما حصل بالنسبة للعراق، اذ أن النظام الايراني وهو يعيش الحقد الموروث ضد العراق وينبش جذوره التاريخية بدأ بالعدوان على المدن بشكل سافر معروف لذا لم يكن أمام شعب العراق غير التصدي لهذه الحرب، وقد اثبتت حكمة القائد وجرأة جنده وتلاحم شعبه أن الرد على العدوان أمر يؤكد عمق الأصالة الوطنية والقومية لدى الشعب العراقي وأن الحرب رغم كل عدوانيتها منحت العراقيين تقدير الشعوب واحترام المناضلين وثقة كل المحبين للبناء والسلام.

وما تعلمه العراقيون من الحرب يبرزه قائد العراق بقوله:
(هذه الحرب علمت العراقيين دقة أكثر وأعطتهم صورة عن الأصدقاء والأعداء وعلمتهم بمعنى أدق ما تستلزمه الحياة الجديدة من تهيئو وعمل وعلمتهم صبراً غير اعتيادي وقَوَّت شخصيتهم وعلمتهم الاعتماد على النفس وهي كلها حالات ستترك بصماتها الايجابية على الشخصية العراقية تاريخياً).

ان للحروب آثاراً عميقة على المجتمعات التي تتعرض لها وبخاصة الحروب الطويلة اذ تؤدي في كثير من الأحيان الى تغييرات

في البنى الاقتصادية والاجتماعية لتلك المجتمعات ولاشك أن أهم ما يتغير ويتأثر ضمن تلك التغيرات هو الانسان وبخاصة من كان في عمر الطفولة، وإذا كنا قد استعرضنا بعض الآثار الناجمة عن الحرب الطويلة المفروضة على العراق من قبل النظام الايراني الا أننا يجب أن نضع في الاعتبار أن تلك التغيرات تترك آثارها على الأسر والأطفال بنسب متفاوتة ويرجع هذا الاختلاف الى تفاوت المستويات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للأسر نفسها وهناك من الآثار المترتبة عن الحروب ما يتوجب علينا أن نشير اليها لاهميتها من حيث اقتراح الوسائل والأساليب والمعالجات لمواجهة الجوانب السلبية التي تتركها.

ومنها أن الحرب تستوجب انخراط نسبة كبيرة من الرجال في القوات المسلحة للدفاع عن تربة الوطن في جبهات القتال ويؤدي هذا بطبيعة الحال الى غيابهم لفترات طويلة عن بيوتهم وأطفالهم مما يترك آثاراً سلبية واضحة لغياب عنصر السلطة الأعلى في الأسرة، فانتقال عنصر السلطة من شخص لآخر يؤثر على الطفل ويسبب له الكثير من البلبلة بسبب اختلافات الشخصية بين الذين يتولون رعايته من جهة واختلاط الأمور عليه من جهة أخرى فيتعذر عليه التفرقة بين الصواب والخطأ.

كما أن غياب الأزواج لفترات طويلة عن البيت يترك أثراً كبيراً على بعض النساء لشعورهن بعدم الراحة والأمان وصعوبة المسئولية، الملقاة على عواتقهن مما يؤدي الى حدوث مشكلات تترك أثرها على

الأطفال، وعلى الرغم من اسناد ودعم الدولة لأبناء الشهداء معنوياً ومادياً الا أن هناك عوامل اجتماعية تتفاعل في التأثير على أسرهم وأطفالهم بشكل خاص وتختلف هذه باختلاف الشريحة الاجتماعية للأسرة وأهل الشهيد والمستوى الثقافي، ففي بعض الشرائح الاجتماعية تحدث الخلافات بين الزوجة وأهل زوجها الشهيد مما يؤدي الى تباعدهم الذي ينعكس بشكل مباشر على سلامة ورعاية الأطفال، وقد لا يكون باستطاعة أهل الزوجة تحمل الأعباء معها مما يؤدي الى نشوء المشاكل التي تؤثر على الأطفال لفقدانهم الرعاية المطلوبة كما أن تعرض الكثير من المناطق الحدودية العراقية لقصف مراكزها السكنية كمدينة البصرة وخانقين ومندلي وزرباطية والكثير من القرى والقصبات الحدودية يؤدي بشكل مباشر الى:

- استشهاد الكثير من الأطفال واصابتهم اصابات مختلفة يؤدي بعضها الى أنواع من العوق.
- تعرض الأطفال في المناطق المعرضة للقصف للخوف والقلق النفسي والحرمان س اللعب واللهو الخارجي بسبب القصف المفاجيء.
- تهجير بعض الأطفال عن مناطقهم المعرضة للقصف المستمر وفقدانهم مرابعهم ومناطقهم التي الفوها ورفاق اللعب والأصدقاء يؤثر في كثير من الأحيان على الأطفال وعلى مستواهم الدراسي نتيجة صعوبة تكيفهم مع الوضع الجديد، والرفاق الجدد.

كما أن فقدان الأطفال لأخوتهم أو أمهاتهم نتيجة القصف يؤثر تأثيرات سلبية على حياتهم بشكل كبير من الجوانب النفسية والصحية والاجتماعية

ان قضية الطفولة اليوم تعتبر قضية أساسية تتحمل الدولة مسئوليتها اذ ترصد المؤسسات المعنية الاعتمادات الكافية التي تلبي خططها المرسومة في هذا المجال وبالشكل الشامل الذي يحقق تنفيذ تلك الخطط بالتعاون والتنسيق بين جميع الأطراف المسئولة عن رعاية الطفولة في شتى مراحلها وعلى اختلاف أعمار الأطفال وأصنافهم بحيث شملت تلك الرعاية حتى الأطفال المعوقين، فصدرت العديد من التشريعات المتعلقة بشئون الطفل والأم والأسرة وتطويرها حسب تعدد الظروف وما قانون الرعاية الاجتماعية رقم ١٢٦ لسنة ١٩٨٠م الا أحد تلك القوانين الثورية الرائعة التي ركزت على رعاية الأطفال المعوقين والأطفال الذين يعانون من المشاكل وحالات التفكك الأسري أو التشرد.

ان حكومة الثورة في العراق اعتمدت فلسفة تربوية علمية واضحة مبنية على دراسة عميقة للمجتمع العراقي بحيث أمنت لكافة أبنائه تكافؤ الفرص وعدالة تنفيذ البرامج لتشمل جميع المناطق وكل الفئات.

وذلك بفضل وحنكة القيادة السياسية واهتمامها بالتخطيط المدروس المبني على أسس علمية رصينة من أجل بناء العراق الجديد القادر على رد العدوان والتغلب على العقبات وصولا الى الغد المشرق السعيد.

أثر التصحر والجفاف
على الطفل السوداني

خلف الله اسماعيل(*)

المقدمـــــة .

تلقي هذه الدراسة بعض الأضواء على افرازات التصحر والجفاف التي أصابت السودان والتي انجلى أثرها بصورة واضحة عام ١٩٨٥م ومن خلال هذه الآثار حاولت تلمس الأوضاع التي آل اليها الأطفال في السودان ويقيني أن وضع الطفل السوداني بوجه عام قد تأثر كثيراً بالأحوال المعيشية : الاقتصادية والاجتماعية التي حدثت من جراء ظاهرتي التصحر والجفاف، خاصة أن السودان يعتبر من الدول ذات اليفاعة السكانية الكبيرة لقد أحدثت ظاهرتا التصحر والجفاف فضلا عن آثارهما الطبيعية المتمثلة في الأحوال المناخية غير المستقرة آثاراً اجتماعية مست الأسرة السودانية بشكل عام والأطفال بشكل خاص .

وضعت في اعتباري أن هنالك غياباً لا يستهان به في الاحصاءات والمعلومات الدقيقة، وبلد كالسودان تمتد مساحته الى

(*) السكرتير التنفيذي للجنة الوطنية لرعاية الطفولة. السودان.

مليون ميل مربع تتخللها ظروف طبيعية وجغرافية متباينة ويتبعثر سكانه في هذه المساحة الشاسعة، حيث توجد الصحاري والغابات والسهول والجبال، وحيث تنعدم المواصلات فان الحديث عن صورة دقيقة أو مجرد الحديث عن احصاءات دقيقة مائة بالمائة يعتبر ضربا من المحال وما توفر من احصاءات رغم قلته كان مؤشراً لما ترتبت عليه ظاهرتا التصحر والجفاف، حاولت جهدي أن أحصل على كل ما يمكن من احصاءات ومعلومات خاصة بهذا الموضوع وكل ما توفر كان عبارة عن عينات أخذت من المناطق التي ضربها التصحر والجفاف وبعض المعلومات القليلة خاصة بمجال الأطفال.

كما كان هناك وفي بداية ظهور المشكلة عام ١٩٨٥م تستر من قبل السلطات على الأوضاع والمعلومات والبيانات مما جعل وجودها والحصول عليها أمراً صعباً ومستحيلا في بعض الأحيان.

لقد استعنت في تتبعي لآثار الظاهرة بكل ما توفر من احصاءات رسمية ودراسات قامت بها بعض المنظمات العالمية بالخرطوم، كاليونسيف، ومنظمة الأغذية والزراعة العالمية وغيرهما اضافة الى الاتصالات الشخصية والاطلاع على بعض الملفات والدراسات والتقارير فضلا على زيارات ميدانية لبعض المناطق ومعسكرات المتأثرين بالجفاف والتصحر في وقت سابق عند بداية بروز المشكلة وما قمت به من جهد يقع تحت دائرة أعمالي الرسمية

اتجهت في هذه الدراسة الى اجراء مقارنات للاحصاءات والتقديرات المتوفرة والدراسات الميدانية، وقد اسقطت كل ما رأيت أنه لا يخدم غرضاً كما أسقطت كل الاحصاءات والتقديرات غير الدقيقة، وكما أن دراسة كهذه تتناول وضع أطفال السودان في المناطق المتأثرة بالجفاف تقتضي في البداية توضيح الملامح الجغرافية والسكانية والاقتصادية والملامح العامة للطفل السوداني بالقدر الذي يعين علي تفهم بعض تلك المشاكل ذات الصلة بموضوع الدراسة، هذا ما حوته الدراسة فعلا

وهذه الدراسة ذات اسهام فاعل في القاء الضوء على ظروف السودان بوجه عام والأطفال بوجه خاص تحت الظروف التي خلفها التصحر والجفاف.

وضع الطفل السوداني

اولاً: يقصد بعبارة الطفل عادة فئة عمرية في المجتمع، فمن المناسب الآن تحديد هذه الفئة، يمكن لنا تحديدها في هذه الدراسة على النحو التالي: وهي تشمل الطفل بين عمر يوم واحد الى بداية تكوينه في بطن أمه الى سن (١٤) سنة.

ثانياً: الأطفال في السودان: يشكل الأطفال في السودان نصف مجموع السكان تقريبا اذ أن عددهم وفق تقديرات عام ١٩٨٥م كان (٩,٩٤٩,٣٠٠) طفل موزعين على الفئات العمرية حسب ما يوضح الجدول أدناه:[١]

الفئة العمرية	العدد	النسبة المئوية
أقل من عام الى ٤ سنوات.	٤,١٣٠,١٠٠	٪١٨,٣٥
٥ ٩ سنوات.	٣,٢٠٨,٧٠٠	٪١٤,٨٢
١٠ ١٤ سنة	٢,٦١٠,٥٠٠	٪١٥,٠٥

وهذا يوضح أن نسبة عدد الأطفال بالنسبة للعدد الكلي للسكان حسب تقديرات ١٩٨٥م يبلغ (٤٥,٢٢٪) وهذا يوضح أن نسبة الذين تقل أعمارهم عن سنة تمثل نسبة ضخمة من السكان حيث أنها في حاجة لتقديم كل الخدمات الضرورية لها، كما أنها تعتبر عالة على الفئات الأخرى.

واذا استعرضنا الزيادات التي طرأت لعدد الأطفال للفئات

١ ـ مصلحة الاحصاء عام ١٩٨٥م.

العمرية من صفر ـ ١٤ سنة في السودان وفق التقديرات منذ عام ١٩٦٥م نجدها كالاتي:[1]

الفئات صفر ـ ١٤ العام	ذكر	النسبة المئوية ٪	انثى	النسبة المئوية ٪	الجملة	النسبة المئوية ٪
١٩٦٥	٣.٠٣٦,٠٠٠	٤٥٪	٢.٩٤١,٠٠٠	٤٤,٥٪	٤,٩٧٧,٠٠٠	٤٨,٥٪
١٩٧٠	٣,٥٣٢.٠٠٠	٤٥,٢	٣,٤٢١,٠٠٠	٤٤,٧	٦,٩٥٣,٠٠٠	٤٥
١٩٧٥	٤,١٥٧,٠٠٠	٤٥,٦	٤,٠٢٥,٠٠٠	٤٥,١	٨,١٨٢,٠٠٠	٤٥,٣
١٩٨٠	٤,٩٣٠.٠٠٠	٤٦,١	٤,٧٧٥.٠٠٠	٤٥,٥	٩,٧٥٥,٠٠٠	٤٥,٨
١٩٨٥	٥,٨٧٢,٠٠٠	٤٦,٥	٥.٦٨٦,٠٠٠	٤٥,٩	١١,٥٥٨,٠٠٠	٤٦,٢

ويلاحظ هناك اختلاف في تقديرات ١٩٨٥م بالنسبة للجدولين الأول والثاني وفي تقديرنا أن التقديرات التي وردت في الجدول الثاني كانت عالية ومبنية على تعداد ١٩٧٣م ولكن التقديرات الواردة في الجدول الأول هي أقرب الى الحقيقة حيث أنها مبنية على تعداد ١٩٨٣م حيث أنها الأحدث.

عموماً يتضح أن الأطفال الذين تقل أعمارهم عن ١٥ سنة في السودان خلال كل السنوات يشكلون عبئاً كبيراً على التنمية لأن نسبة المنتجين ضئيلة بالنسبة للمستهلكين العالية

معدلات المواليد والوفيات

تتراوح معدلات المواليد الخام ما بين (٤٨ ـ ٥٠) من المواليد الأحياء لكل ألف من السكان ومعدل الوفيات الخام يتراوح ما بين

١ ـ ورقة مقدمة للمؤتمر القومي الأول للسكان عام ١٩٧٤م بالخرطوم من سراج الدين حسن.

(٢٠ ـ ٢٥) وفاة لكل ألف من السكان، وتعتبر عملية الانجاب من أهم مكونات النمو السكاني في السودان حسب تعداد عام ٥٥ ـ ١٩٥٦م (٥١,٧ في الألف)، ونجد أن هذا المعدل زاد في كل من الاستوائية وبحر الغزال عن الستين في الألف ولكنه لم يقل بأي حال من الأحوال عن الأربعين بالألف حتى في مديرية الخرطوم رغم سماتها الحضرية ورغم كثرة الوافدين عليها.

ويبلغ عدد الأطفال المولودين أحياء لكل أم في نهاية فترة الحمل وهي تقريباً سن الخامسة والأربعين أكثر من خمسة أطفال في كثير من المناطق وتعتبر هذه المعدلات من الانجاب والمواليد من أعلى المعدلات في العالم حتى اذا قورنت بمعدلات الدول النامية الأخرى كجمهورية مصر العربية (٣٧,٧٪) وتونس (٣١٪) والأردن (٤٠٪).

أما الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي أدت وتؤدي لارتفاع معدلات الانجاب فما زالت متأصلة في الشعب السوداني حيث يعتبر الزواج في سن مبكرة وخصوصاً بالنسبة للاناث من الأسباب التي تقود الى كثرة الولادة، كما أن العادات والتقاليد تدعو وتلح في هذه الدعوة الى الزواج المبكر وانجاب الأطفال، فالأم تريد رؤية جديد أبنائها قبل مماتها، كما يعتبر الزواج المبكر وانجاب الأطفال ضماناً اقتصادياً، كما أن تربية الأطفال حتى وقت قريب لا تكلف كثيراً حيث أن المولود لا يكون ضيفاً على أبويه فقط بل يربى ويرعى في اطار الأسرة الكبيرة التي ترى قوتها وعزتها في كثرة أفرادها، كما أن وفيات الأطفال المرتفعة تدفعهم لانجاب المزيد من الأطفال

للتعويض، هذا فضلا عن مساهمة معظم الأطفال في المناطق الريفية في النشاط الاقتصادي بعد بلوغهم سن السادسة حيث يساعد في الرعي والزراعة

وأوضحت الدراسات التي أجراها الدكتور رشدي حنين عام ١٩٦٢ ـ ١٩٦٨م أن هناك تفاعلا كبيراً بين مستويات الانجاب وبين المناطق الزراعية المستقرة السكان وبين البدو الرحل حيث أشارت الى أن معدل المواليد في منطقة الجزيرة وهي منطقة زراعية مستقرة يكاد يكون ضعف المعدل وسط قبائل المسيرية الرعوية بكردفان وتؤكد الدراسة بوضوح أن المستقرين يتميزون بقوة أنسال تفوق قوة انسال الرحل سواء كان ذلك في منطقة الجزيرة أو في غرب السودان فعزت تلك الدراسة الى الاستقرار الذي بدأ منذ العشرينيات بمشروع الجزيرة أدى الى استقرار عدد كبير من الرحل نتج عنه زيادة في معدلات الزواج وخفض من سن الزواج وحسن من الغذاء والخدمات الصحية كل ذلك أدى الى رفع الحد البيولوجي للانجاب وقلل من الاجهاض والوفيات

أما انخفاض الانجاب عند الرحل وعدم ميله للارتفاع فارجع للأسباب التالية:

١ ـ كثرة الترحال المستمر الذي يؤدي كثيراً الى الاجهاض.

٢ ـ قلة التغذية أو تفشي سوء التغذية وتفشي الأمراض من الأمور التي تقلل الولادة بين الرحل عادة.

٣ ـ قلة المعاشرة الجنسية بسبب الترحال والتزوج المؤقت للرجال يقلل من الولادة.

وعموماً فالاتجاه العام هو استقرار الكثير سن القبائل الرعوية في السودان حيث توجد دوافع كثيرة تفرض حياة الاستقرار في الوقت الحاضر منها شح الأمطار في السنوات الأخيرة وتعرية التربة والزحف الصحراوي وصعوبة الحياة ومشقاتها وقلة ما يحصلون عليه مقارناً بما يكسبون في المشاريع الزراعية، كما أن الحكومة تحاول توفير حياة أكثر استقراراً وذلك باقامة المشاريع الزراعية وحفر الآبار

أما ارتفاع معدلات الوفيات في السودان فيمكن ارجاعها الى سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية بصفة عامة، وسوء التغذية المتفشي بين السكان خاصة في المناطق الريفية وعدم توفر مياه الشرب وتلوث الموجود منها وعدم الاهتمام بالصحة العامة

عموماً وضع الأطفال في السودان غير مستقر اذ يموت طفل واحد بين كل ثمانية أطفال قبل أن يكمل السنة الأولى من عمره أو يموت واحد بين كل ١٥ طفلا قبل أن يبلغ الخامسة عشرة س عمره.

وتبلغ معدلات وفيات الرضع ما بين (١٣٥ ـ ١٤٠) سن كل ألف وتعتبر معدلات وفيات الرضع معياراً هاماً، فكلما ارتفعت هذه النسبة كانت دليلا على الوضع الصحي السيء في البلاد، وتتأثر بعدد من العوامل: منها عدم توفر الخدمات الصحية والوصول اليها، والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ومستوى وعي الوالدين هذا بالاضافة الى أن قياس النسبة عرضة لبعض الأخطاء التي ترافق عادة نقصان البيانات الاحصائية وعدم الركون اليها، حيث أن السودانيين مثلا في بعض المناطق مثلهم مثل سائر شعوب العالم النامي يقللون

من أهمية احصاء الوفيات بسبب الجنوح الى كتمان الوفيات، غير أن الاتجاهات العامة تستقرأ من المعلومات المتوفرة، ولابد س أخذها في الاعتبار، عموماً هذه المعدلات تعطي مؤشراً قوياً للدلالة على الحاجة الشديدة لتوفير المزيد من الفاعلية س رعاية ومتابعة الأطفال الرضع وأمهاتهم.

وتعد الحصبة والسعال الديكي والدفتريا والتتنس والتايفوئيد والسل من الأمراض التي يمكن الوقاية منها بالتطعيم مسئولة عن ثلث الوفيات تقريباً بالسودان، وأن حوالي ٢٥٪ مس حالات الوفاة هذه سببها فقدان السوائل بسبب الاسهالات، والاسهال سن الأمراض الشائعة جداً وسط أطفال السودان دون سن السنوات الخمس، كما أن الذين تكتب لهم الحياة بعد العلاج من الاسهال ونوباته المتكررة تضر بوضعهم الغذائي وتجعلهم أكثر عرضة للاصابة بأمراض حادة أخرى، كما أن هناك ظروفاً أخرى ذات علاقة بالاسهالات كالأمراض التي تصيب الأعضاء غير الأمعاء الا أنها تؤثر فيها مثل الحصبة والملاريا، فضلا عن سوء التغذية الذي يقود الى الهزال والكساح في كثير س الأحيان والحساسية المفرطة من بعض المأكولات، وهذا منتشر لدرجة كبيرة بين أطفال السودان، وهذه أيضاً من الأمراض التي يمكن الوقاية منها باستعمال الجلكوز ومحاليل الأملاح لتعويض فقد السوائل المعوية فتدرأ الاجتفاف في معظم الحالات وذلك علي أساس أن الجلكوز يزيد من قدرة الأمعاء على امتصاص الماء والصوديوم عند مرضى الاسهال وتسمى هذه الوصفة بأملاح معالجة الاجتفاف عن طريق الفم.

أما مكافحة انتشار أمراض الاسهال الشائعة في السودان بصورة كبيرة في معظم أنحاء السودان فتتمثل أولا: في النظافة الشخصية والمنزلية، ثانياً: في اعداد الأطعمة والأغذية وحفظها بالطريقة السليمة والصحية، ثالثاً: توفير الماء النظيف بكمية كافية، رابعاً: التخلص من الفضلات والنفايات بطريقة صحيحة وسليمة، وهذه كلها أمور يسهل تدريب وتوعية الأمهات عليها في السودان.

سوء التغذية:

يصاب نصف الأطفال في السودان تقريباً وهم دون سن الخامسة بسوء التغذية الناجم عن نقص في البروتين، وما بين (٢٠٪ و ٤٠٪) من جملة الأطفال في السودان مصابون بسوء التغذية، وأن (١٢٪) من هذه النسبة حالتهم تعتبر سيئة للغاية، اذ أنهم يفقدون الغذاء تماماً ويتطلب وضعهم عناية فائقة ومكثفة وأكثر من ١٥٪ بين السوء والسوء الشديد، والبقية تعتبر في حالة سوء التغذية العادي، وهذا راجع غالباً لعدم كفاية أو توازن ما يحصل عليه الطفل السوداني وخاصة في المناطق الريفية من الطعام ويعتبر هذا من أرجح العوامل المشتركة المفسرة للخسائر الهائلة للأرواح التي يفقدها السودان من أبنائه في مراحل أعمارهم المختلفة.

ويعد الرضع والأطفال الصغار في الفئة العمرية من (عام الى أقل من خمسة أعوام) والحوامل والأمهات المرضعات أكثر المجموعات

تعرضاً في السودان للاصابة بسوء التغذية، وغالباً ما ينتج عنها الأمراض الناتجة عن سوء التغذية كالهزال والكساح ونقص المناعة والأمراض الجلدية ومضاعفات البكتريا والطفيليات، كما أنها في بعض الحالات الشديدة تؤثر على النمو الذهني عند الأطفال وهناك علاقة تعتبر قوية بين سوء التغذية وجهل الأمهات بنظام اعداد الطعام وظروف الفطام.

لقد بذلت مجهودات كبيرة خلال السنوات الأخيرة لتوعية الأمهات وتطوير قدراتهن في تربية الأطفال التربية السليمة اشترك فيها عدد من الوحدات الحكومية المتمثلة في وزارات الصحة، والتربية، والرعاية الاجتماعية، والثقافة والاعلام مع بعض المنظمات العالمية كاليونسيف، ومنظمة الأغذية والزراعة العالمية، وبعض الجمعيات التطوعية العالمية، الا أن عائدها ما زال قليلا يحتاج الى مجهودات كبيرة، واذا استعرضنا خدمات التغذية نجدها على النحو الآتي:

بلغ مجموع الوحدات بالمستشفيات (١٠٣) وحدة وبالمراكز الصحية (٨٧) أما القوة العاملة بهذه الوحدات على مستوى السودان فيوضحها الجدول التالي:[1]

---

١ ـ الاحصاء الصحي بوزارة الصحة عام ١٩٨٣ ١٩٨٤م.

المديرية	وحدات التغذية بالمستشفيات	بالمراكز الصحية	المجموع	اخصائي التغذية	ضابط التغذية	مرشد التغذية
الخرطوم	٧	٣٥	٤٢	١	٦٧	٩٤
النيل الأبيض	١		١	-	٢	-
الجزيرة	-	٥	٥	-	١	-
النيل الأزرق	٢	-	٢	-	٢	٦
النيل	١	٢	٧	-	١	٦
الشمالية	٢	٦	٨	-	-	١
كسلا	١	١٠	١١	-	٢	٧
البحر الأحمر	-	١٠	١٠	-	-	١٠
شمال كردفان	-	-	-	-	-	-
جنوب كردفان	-	٢	٢	-	-	٢
شمال دارفور	١	٧	٨	-	١	٧
جنوب دارفور	١	٦	٧	-	١	٦
اقليم الاستوائية				-	-	-
اقليم بحر الغزال				-	-	-
اقليم أعالي النيل				-	-	-
المجموع	١٦	٨٧	١٠٣	١	٧٧	١٣٨

مياه الشرب:

مياه الشرب النقية في السودان لا تتوفر لأكثر من (٢٥٪) س أطفاله بالمناطق الريفية، حيث أنه بدون المياه النقية الوفيرة لا يمكن تحقيق أي تحسن في الصحة والتغذية والتعليم، وتنمية الانسان ونحن

نعلم أن المشكلة الكبرى التي يواجهها سكان السودان خاصة في المناطق الريفية ندرة الماء ولقد وضعت خطة لزيادة موارد المياه لسكان الريف وحيواناتهم بالسودان من (٢٠ - ٥٠٪) الى (٧٠ - ٨٥٪) عام ١٩٩١م وقدرت تكلفة تأمين المياه للمناطق الريفية بنحو (٢٤٤) مليون جنيه سوداني على مدى العقد الدولي - أي المطلوب (٢٧) مليون جنيه في السنة، وهذا مالا تستطيع الدولة توفيره.

وتقضي النساء في السودان الساعات الطوال يومياً في احضار الماء الى مساكنهن س الآبار القليلة المتباعدة وغالباً ما تكون خطيرة التلوث وهكذا فانهم يبذلون الجهد الكبير يومياً ويصرفون الوقت الطويل في بحثهم عن الماء الضروري لاستمرار حياتهم.

كما أن الأمراض المتنقلة مثل الاسهالات والشلل والتايفوئيد كلها أمراض مرتبطة بافتقار مناطق كثيرة في السودان الى مياه الشرب النقية، والوسائل والممارسات الصحية للتخلص من النفايات.

الوضع الصحي للطفل:

تقديرات أطفال السودان لعام ١٩٨٥م للفئات العمرية أقل من عام وحتى أقل س (١٥) سنة بلغت (٩,٩٤٩,٣٠٠)
وتقديرات عام ١٩٨٠م لنفس الفئة العمرية بلغت (٨,٤٠٥,٧٠٠)

وبلغ عدد الأطباء الأخصائيين في مجال طب الأطفال على مستوى السودان (٤٧) أخصائياً وان كان عدد الأطفال مقدراً لعام ١٩٨٠م وعدد الأطباء لعام ١٩٨٣ - ١٩٨٤م لا يعطى فرقاً كبيراً الا أنها تشير الى أن كل طبيب وأخصائي من المفروض أن يقدم خدماته لأكثر من (٢٠٠) ألف طفل تقريباً من ناحية عامة

واذا استعرضنا توزيع الأخصائيين على مديريات السودان المختلفة حسب احصاء عام ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤م نجد أنه توزيع غير عادل وهناك بعض المديريات ذات الأعداد السكانية الكبيرة لا تحظى بوجود أخصائي بها، كما أن هناك عدداً من أخصائيي الأطفال تنتشر عياداتهم الخاصة في أنحاء المدن الكبرى[1]

الاقليم والمديرية	عدد الأخصائيين	النسبة المئوية
الخرطوم	٢٧	٦٠٪
مديرية الجزيرة	٦	١٣,٣٪
مديرية النيل الأبيض	١	٢,٢٪
مديرية النيل الأزرق	٢	٤,٤٪
مديرية النيل	١	٢,٢٪
المديرية الشمالية	١	٢,٢٪
مديرية كسلا	١	٢,٢٪
مديرية البحر الأحمر	٢	٤,٤٪
مديرية شمال كردفان	١	٢.٢٪
مديرية جنوب كردفان	-	
مديرية شمال دارفور	-	-
مديرية جنوب دارفور	١	٢,٢٪
اقليم الاستوائية		-
اقليم بحر الغزال	٢	٤,٤٪
اقليم أعالي النيل		-
المجموع	٤٥	١٠٠٪

١ الاحصاء الصحي لعام ١٩٨٣ ١٩٨٤م. وزارة الصحة

كما يوجد مستشفى خاص لأمراض الأطفال بالخرطوم وان كان الاقليم الأوسط يعد العدة لافتتاح مستشفى خاص بأمراض الأطفال بعاصمة اقليم وادي مدني.

الأسرة:

أما الأسرة المخصصة للأطفال بالمستشفيات الاقليمية والمديريات فقد بلغت حوالي ١٩٦٤ سريراً حسب الاحصاء الصحي الصادر من وزارة الصحة عام ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤م وتوزيعها كالآتي[١]:

الاقليم أو المديرية	عدد الأسرة	النسبة المئوية
الخرطوم	٣٩٠	٪١٩,٨
مديرية الجزيرة	٣٣٦	٪١٣,١
مديرية النيل الأبيض	٧٥	٪٣,٨
مديرية النيل الأزرق	٥٢	٪٢,٦
مديرية النيل	١٠٦	٪٥,٣
المديرية الشمالية	٩٦	٪٤,٨
مديرية كسلا	٥٩	٪٣
مديرية البحر الأحمر	١١٣	٪٥,٧٥
مديرية شمال كردفان	١١٢	٪٥,٧
مديرية جنوب كردفان	٦٧	٪٣,٤
مديرية شمال دارفور	٢٨	٪١,٤

١ الاحصاء الصحي لعام ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤م. وزارة الصحة

مديرية جنوب دارفور	٦٩	٣,٥٪
اقليم الاستوائية	١٣٩	٧,٠٧٪
اقليم بحر الغزال	٨٤	٤,٢٪
اقليم أعالي النيل	٩٦	٤,٨٪
المجموع	١٩٦٤	١٠٠٪

س هذا الجدول يتضح أن معتمدية العاصمة القومية ومديرية الجزيرة يحوزان على أكبر نسبة من عدد الأسرّة الخاصة بالأطفال في المستشفيات حيث بلغت النسبة (١٩,٨٪) للخرطوم و (١٧,١٪) للجزيرة.

كما أن حياة الطفل وتطوره المقبل يتحددان بدرجة كبيرة خلال فترة تكوين الجنين وظروف الوضع والأسابيع الأولى بعد الوضع.

ان توفير الرعاية في فترة الحمل لجميع الحوامل بتقديم التسهيلات للأمهات المعرضات للمخاطر بحيث يترددن على مستشفيات الولادة أو أقسامها بالمستشفيات قبل المخاض، ويكون الوضع تحت اشراف طبيب أما عدد أخصائيي أمراض النساء والولادة فبلغ (٨٤) وعدد الأسرّة المخصصة لأمراض النساء والولادة بلغ حسب احصاء عام ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤م (٢٥٠٧) أسرّة وتوزيعها ـ والأخصائيين في الجدول المقابل[1]، كما بلغت تقديرات الولادة السنوية بمعتمدية الخرطوم فقط (١٠٠) ألف حالة تقريباً يتم منها (٩٠٪) داخل المنازل و (١٠٪) بالمستشفيات والدافع للمستشفيات وجود

مشاكل صحية تعرضت لها الأم أو الطفل أو احتمال وجود مشاكل عند الولادة الشيء الذي يستدعي تدخل الطبيب أو الاشراف المباشر، كما أن هناك حالات لضمان ولادة سهلة بدون مشاكل أو ولادة يفضل أن تتم تحت رعاية طبيب في مستشفى، أما العددية الكثيرة من النساء التي سبقت الاشارة اليها فتلد داخل منازلها وبواسطة القابلات والدايات اللائي يتعاملن مع صحة الأم في الغالب أكثر من صحة الطفل.

جدول يوضح توزيع أخصائيي النساء والولادة والأسرّة المخصصة لهن[1]

المديرية	عدد أخصائيي نساء الولادة	النسبة المئوية ٪	عدد الأسرة	النسبة المئوية ٪
الخرطوم	٤٢	٪٥٠	٥٢٠	٪٥٠,٧
مديرية الجزيرة	١٠	٪١١,١	٣٥٣	٪١٤,٠٨
مديرية النيل الأبيض	١	٪١,١٦	٨٢	٪٣,٢
مديرية النيل الأزرق	٢	٪٢.٣٨	٧٥	٪٢.٩
مديرية النيل	٤	٪٤,٧٦	١٢٧	٪٥,٠٦
المديرية الشمالية	٣	٪٣,٥٧	١١٤	٪٤,٥

١ الاحصاء الصحي لعام ١٩٨٣ ١٩٨٤م. وزارة الصحة.

مديرية كسلا	٥	٥,٩٪	١٩١	٧.١٪
مديرية البحر الأحمر	٤	٤,٧٦٪	٨٠	٣,١٩٪
مديرية شمال كردفان	٣	٣,٥٧٪	١٤٣	٥,٧٪
مديرية جنوب كردفان	١	١,١٦٪	٨٩	٣,٥٪
مديرية شمال دارفور	٢	٢,٣٨٪	٧٦	٣,٠٣٪
مديرية جنوب دارفور	١	١,١٦٪	٩١	٣.٩٢٪
اقليم الاستوائية	١	١,١٦٪	١٢١	٤,٨٪
اقليم بحر الغزال	٢	٢,٣٨٪	١١٩	٤,٧٪
اقليم أعالي النيل	٣	٤,٥٧٪	١٢٣	٤.٩٪
المجموع	٨٤	١٠٠٪	٢٥٠٧	١٠٠٪

التعليم:

لا يوجد قانون يلزم المواطنين بتطعيم أطفالهم ضد الأمراض الرئيسية الفتاكة وفي مواسم انتشار أمراض الصيف تبذل جهود لتطعيم عدد من الأطفال ضد الحصبة والتيفوئيد، وعموماً كان التطعيم في السودان يسير بخطوات بطيئة للغاية بالرغم من انتشار الأمراض الستة بالسودان وهذا توضحه دراسة استطلاعية أجريت عام ١٩٨٠م عن تطعيم الأطفال في ٧ مناطق بها خدمات مشروع التحصين الموسع، وجد أنه تم تطعيم (١٨) ألف طفل تبلغ أعمارهم أقل من عام وهذه العددية تمثل (١٣٪) من مجموع أطفال تلك المناطق، وحوالي أقل من (٣٪) من كل أطفال السودان لنفس الفئة

العمرية، هذا اذا علمنا بأن خدمات مشروع التحصين الموسع غير معمم في كل مناطق السودان ريفه وحضره، وعموماً ذلك يوضح أن الاقبال على مراكز التعليم في المناطق الحضرية ضعيف للغاية، كما أشارت اليه النسبة السابقة، ولكن الدراسة أشارت الى الأسباب التي أدت لعدم الاقبال فكانت النتائج كالاتي:

- (٤٢٪) لا يعلمون بوجود خدمات للتطعيم بمناطقهم.
- (٢٧٪) يعلمون بوجودها الا أنهم مشغولون للدرجة التي لا تمكنهم من حمل أطفالهم للتحصين.
- (١١٪) علموا بوجود خدمات التحصين الا أنهم لم يطعموا أطفالهم بحجة أن أطفالهم في حالة مرض لا يستطيعون معه تطعيمهم.
- (٩٪) أشاروا الى أنهم يخافون على أطفالهم من الآثار الجانبية للتطعيم وأكدها لهم بعض الاشاعات التي سمعوا عنها
- (١١٪) أعطوا أكثر من سبب وهو أنهم في حالة سفر متواصل وأن المرض من ربنا سواء حصنوا أبناءهم أم لا فالأمر واحد كما يعتقدون.

والآن بدأت حملة منذ عام ١٩٨٥م بالعاصمة القومية لتطعيم (٨٠٪) من أطفال العاصمة القومية، وفعلا أكدت الاحصاءات الأولية لهذه الحملة بأن النسبة ارتفعت لدرجةكبيرة وسوف تعمم نتائج هذه التجربة على بقية أقاليم السودان مستقبلا

التنشئة الاجتماعية:

ان هناك ظروفاً لها تأثير تربوي على عمليات التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة ولعل أهمها ما يلي:

١ ـ التمييز بين الذكور والاناث:

يلاحظ الانسان أن الرعاية المتساوية للأبناء من الجنسين لا تتوفر بنسبة معقولة في المناطق الحضرية في السودان، وتكاد تكون منعدمة في المناطق الريفية

٢ ـ أساليب التنشئة:

ان الآباء من المستويات التعليمية والاقتصادية والاجتماعية أكثر تحرراً واستخداماً للأساليب الديمقراطية في تعاملهم مع أبنائهم خاصة في السنوات الأخيرة، وان كانت أساليب التنشئة الاجتماعية تغلب عليها الاتجاهات المتسلطة والمتشددة والمحافظة مما يقلل الى حد كبير الفرص أمام الأبناء للنمو المستقل والتصرف المسئول.

٣ ـ المجتمع والعائلة والتنشئة الاجتماعية للطفل السوداني:

المجتمع السوداني قبل التغيير الاجتماعي الذي يمر به الآن ويمكن بعده يتكون من التجمعات القبلية والعشائرية المنتشرة في طول وعرض السودان، وهذه التجمعات انحدرت من أصول عربية

نزحت واستقرت على هيئة تجمعات قرابية تنظمها تحالفات قبلية وعشائرية ولقد تميزت هذه الوحدات والتجمعات بأنماط سلوكها وقيمها البدوية وعلاقاتها الدموية ومزاولتها للمهمة التقليدية للوحدات القبلية التي انحدرت منها وهي تربية الحيوان بصفة عامة، وقد وجدت مهن أخرى تمارسها وهي الزراعة المطرية المتنقلة في البداية ثم الى المستقرة، وأن الأصول القبلية واحدة أو متقاربة - خاصة بعد الانصهار الذي تم بين هذه القبائل والقبائل الزنجية الأخرى التي كانت تسكن هذه الأرض - والأنماط السلوكية والقيم الاجتماعية والنظم والعلاقات ذات أصول تاريخية متماثلة ومتقاربة، وان وجد فيها بعض الاختلاف فان هذا الاختلاف لا يشكل نسبة كبيرة من النمط الاجتماعي والحضري لها وهو في عمومياته متقارب، فهو ذو أصول بدوية وان وجدت هذه التجمعات القبلية في المدن والقرى ومارست أعمالا ومهناً جديدة وان عوامل التنشئة الاجتماعية والبيئة الحضرية في المجتمع السوداني لعبت دوراً مهماً ورئيسياً في تشكيل السمات والملامح البارزة لشخصية الطفل سواء كان هذا الطفل ذكراً أو انثى عبر تاريخ السودان الطويل.

فالطفل منذ ولادته يتعرض الى تفاعل اجتماعي مستمر ومتميز وعام مع والديه وأفراد أسرته وأقاربه ومحيطه المحلي والمدرسي والاجتماعي وهذا التفاعل يشكل الملامح البارزة لشخصيته.

ان بناء شخصية الطفل السوداني تسهم في تكوينه عوامل متعددة منها العوامل البيولوجية والوراثية والعوامل البيئية الطبيعية

الجغرافية والاجتماعية والحضارية، ان محور التنشئة الاجتماعية في المجتمعات القرابية القبلية في السودان كانت العائلة الكبيرة أو العائلة المركبة التي تقيم غالباً في منزل واحد أو منازل متجاورة، وأفرادها يؤلفون وحدة قرابية دموية اقتصادية اجتماعية والعائلة الكبيرة غالباً ما تتألف من ثلاثة أجيال يرتبط بعضهم برابطة الدم، وهي انتسابهم لجد مشترك يحملون اسمه ويلجأون اليه في المنازعات العائلية العشائرية مثل أولاد فلان لفرع قبيلة مثلا، كما أن العائلة الكبيرة كانت ولاتزال وحدة اقتصادية متعاونة في الانتاج والتوزيع والاستهلاك وتقسيم العمل بين أفرادها ومؤسس العائلة أو الجد المشترك والذين يأتون من بعده هم المنظمون والمسئولون عن ادارة هذه الوحدة ونشاطاتها، كما أن العائلة الكبيرة تؤلف وحدة قرابية زواجية ينظمها الزواج الداخلي، والعائلة وحدة اجتماعية في السراء والضراء، من احتفالات الزواج والوفاة وأوقات العوز والحاجة، كما أنها وحدة تنشئة وتربية وتعليم اجتماعي، فالطفل وان كان ينشأ تنشئة مباشرة من قبل والديه وأفراد عائلته الصغيرة الا أن أفراد العائلة الكبيرة يشاركون جميعهم في التنشئة والرعاية الاجتماعية لهذا الطفل، لذلك نجد الجد والأعمام والأخوال وجميع الراشدين في اطار هذا النموذج يشاركون في التنشئة الاجتماعية للطفل.

ان تنشئة الأطفال ضمن هذا النموذج العائلي ليس على نمط واحد فالأطفال الذكور ينشأون تنشئة خاصة ومتميزة عن التنشئة التي يتعرض لها الاناث، فالأطفال الذكور ينشأون ليحتل كل منهم

وظائف الآباء وأدوارهم والاناث ينشأن لكي تحتل كل منهن وظيفة الأم ودورها.

لقد أدى التغيير الاجتماعي الى احداث تغيير في بناء ووظيفة هذه العائلة الكبيرة وقد أخذ الكثير من المتزوجين يخرجون بزوجاتهم من اطار هذا النموذج العائلي وان هذا النموذج العائلي ووظائفه وأدواره في التنشئة الاجتماعية للأطفال أخذ في التغير التدريجي مع عمليات التبدل والتحول الاجتماعيين اللذين أخذا يسريان في السودان مع بداية التحولات الكبيرة التي بدأت.

ان ارتفاع عدد العوائل الصغيرة في التجمعات البدوية والريفية والحضرية في السودان أدى لحدوث بعض التغييرات في التنشئة الاجتماعية للأطفال.

فالعائلة الصغيرة أصبحت لا تستطيع أن تقوم بوظائف التنشئة الاجتماعية للأطفال تلك التي كانت تقوم بها العائلة الكبيرة، هذا اذا علمنا بأن الوالد أصبح يعمل ساعات عمل تتجاوز السبع لسد متطلبات الحياة الأسرية وحياته المستقلة الجديدة وأن بعض الأمهات دخلن مجالات العمل لسد متطلبات الحياة الأسرية أيضاً من ناحية ولتحقيق استقلالهن الاقتصادي والاجتماعي النسبيين داخل العائلة، وكان من المفروض أن يقابل ذلك فتح دور الحضانة لتسهم الى جانب العائلة في التنشئة والتربية والرعاية، إلّا أن هذا منعدم تقريباً حالياً، فالأطفال أخذوا يتعرضون الى تفاعلات اجتماعية جديدة يتلقونها داخل دور الحضانة والمدارس الابتدائية، بحيث تشارك في

تشكيل شخصياتهم والسمات البارزة بها جنباً الى جنب مع الوالدين بل ربما تكون هذه المشاركة أعلى في الحالات التي تزداد فيها فترات غياب الوالدين خارج المنزل.

تعرض الأطفال في الأسرة الصغيرة لدائرة واسعة من التفاعلات التربوية والتعليمية والمدرسية والاجتماعية والجماهيرية العامة كالاذاعة والتلفزيون، أدى الى اتساع معارف الأطفال واكسابهم خبرات ومهارات وممارسات متنوعة أسهمت وتسهم في احداث تغيرات وتعديلات على بناء نمط شخصية الأطفال في السودان.

٤ العمالة بين الأطفال:

تنتشر في السودان ظاهرة تشغيل الأطفال في سن صغيرة وبخاصة في الزراعة والرعي.

٥ ـ عمل الأمهات:

أصبح تزايد اقبال المرأة على الدخول في سوق العمالة يخلق حالة من الاضطراب الشديد في عمليات التنشئة الاجتماعية للأطفال في مراحل الطفولة المبكرة خاصة اذا كان غياب الأم العاملة عن مولودها يزيد عن خمس ساعات يومياً، كما أن من ايجابيات دخول الأم لسوق العمالة أنه ينتج للأبناء في مراحل العمر الأكبر قليلا من الطفولة المبكرة فرص الاعتماد على النفس والتعبير الحر عن شخصياتهم بعكس أبناء الأمهات غير المشتغلات.

التربيـــــــة:

١ ـ دور الحضانة ورياض الأطفال:

ان الشعب السوداني كغيره من شعوب الدول النامية يواجه نقصاً مريعاً في عدد رياض الأطفال ودور الحضانة لأغراض تنمية قدرات الطفل ما بين سنة وخمس سنوات أو ست سنوات من العمر، كما أن هذا الجانب من التربية يكاد يكون مهملا في التخطيط التربوي القومي، هذا التعليم ترك لمؤسسات القطاع الخاص وغيرها من المؤسسات الطوعية في الغالب الى جانب ما انشأته الدولة ممثلة في بعض الوزارات والمصالح حيث أعطت القوانين الخاصة بالحكم الشعبي المحلي وقرارات تكوين الوزارات المركزية الحق الأكثر من جهة تولى عملية رعاية الطفولة مما خلق عدم التنسيق والكثير من التضارب في الاختصاصات وعموماً تعتبر مثل هذه المؤسسات جديدة على المجتمع السوداني وذلك لأنه لم تكن هنالك حاجة اليها للسببين الآتيين:

١ ـ سيادة الأسرة الممتدة التي تضم الأبوين وأبناءهما وبناتهما المتزوجات وأبناءهن، وقد كان هذا النمط يحكم علاقات التكافل الاجتماعي فيه، يوفر الرعاية المطلوبة في حالة غياب الأبوين لتحمل الجدة أو الجد هذه المسئولية.
٢ ـ ضعف مساهمة المرأة في الأنشطة الاقتصادية خارج المنزل وتفرغها بالتالي لواجباتها الزوجية والمنزلية ورعاية أبنائها.

غير أنه أصبحت الحاجة الى هذه المؤسسات في ازدياد متواصل بعد زوال الأسرة الممتدة لارتفاع نسبة مساهمة المرأة في العمل خارج المنزل.

وبلغ عدد رياض الأطفال في السودان حسب احصاءات عام ١٩٨٣ - ١٩٨٤م (١٢٤٠) روضة وبلغ عدد الأطفال بها (٦٥,٠٧٢) وبلغ عدد المشرفات (١٢٤٠)، واذا قارنا عدد الأطفال بتلك الرياض وعدد دور الرياض لعدد أطفال السودان في الفئة العمرية (٤ - ٦) نجد أنها تمثل نسبة ضئيلة للغاية، كما يلاحظ أن معظم هذه الدور تتواجد بمعتمدية الخرطوم نظراً للحاجة المتعاظمة اليها، وان الحاجة الى دور الحضانة ورياض الأطفال تظل كبيرة وستزداد اتساعاً مع مضي الوقت وذلك بسبب تعاظم نسبة اسهام المرأة في الأنشطة الاقتصادية وشيوع نمط الأسرة الصغيرة.

وتم مؤخراً انشاء مركز قومي لتدريب مشرفات رياض الأطفال في عام ١٩٨١م وخرج حتى الآن (١٧٠) مشرفة هنا بالاضافة الى الحلقات التدريبية التي تعقد من وقت لآخر بالأقاليم المختلفة لترقية أداء المشرفات.

٢ - الخلاوي:

يقبل عليها الأطفال من جميع الأعمار حيث الدراسة بها تهدف الى حفظ القرآن وتمكن الدارسين بها للالتحاق بالمدارس التكميلية للحصول على الشهادة الابتدائية وبلغ عددها على مستوى السودان

(٢,٨٦٥) وعدد التلاميذ الملتحقين بها بلغ (١٠٢,٨٠٠) وبلغ عدد المشايخ المشرفين عليها (٢,٥٨٨) شيخاً.

٣ ـ المرحلة الابتدائية:

ان نصف الذكور وثلث الاناث من أطفال السودان الذين يكتب لهم البقاء حتى سن السابعة قد يلتحقون بالمدارس الابتدائية اذا وجدت ـ كما يعتبر التعليم الابتدائي في السودان غير الزامي ويقبل عليه الأطفال من سن (٧) سنوات وتستمر الدراسة به (٦) سنوات.

أما المدارس الابتدائية في السودان فبلغت في جملتها (٦,٥٤٤) مدرسة ابتدائية للبنين والبنات، بلغت جملة عدد التلاميذ بها (١,٥٩٩,١٨١) تلميذاً وتلميذة، وعدد المعلمين بها يبلغ (٤٧,٧٥٤) معلماً هذا حسب الاحصاء التربوي لعام ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤م.

والجدول الآتي يوضح عدد المدارس وعدد التلاميذ والمعلمين والفرق موزعة على أقاليم السودان المختلفة حسب احصاء ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤م.

الاقاليم	عدد المدارس	عدد الفرق	عدد التلاميذ	عدد المعلمين
الشمالي	٧٧٣	٤٥٣١	١٨١٠٨٠	٦٥٠٧
الشرقي	٦٧٢	٣٥٤٩	١٥٢٣٨٢	٤٩١٩
الخرطوم	٥٩٢	٣٨٤٤	٢٣٠٢٥١	٥٩٤٩

الأوسط	١٩٠٧	١٠٥٦٨	٤٨٦٢٢٨	١٤٥٩٦
كردفان	٩٨٩	٥١٢١	٢٢٦٤٥٠	٥١٤٨
دارفور	٨٨٢	٤١٥٢	١٦٨٧٠٥	٥٠٥٥
أعالي النيل	٢٠١	٩٣٧	٣٨٠٠٠	١٢٣٥
بحر الغزال	١٤٣	٧٤٣	٢١٦١٨	١٤٤٦
الاستوائية	٣٨٥	٢١٩٩	٩٤٤٦٦	٢٨٩٩
الجملة	٦٥٤٤	٣٥٦٤٤	١٥٩٩١٨١	٤٧٧٥٤

بلغ عدد مدارس البنين (٢٣٤٦) من مجموع المدارس، وعدد مدارس البنات بلغ (١٥٧٨) مدرسة، أما المدارس المختلطة فبلغ عددها (٢٦٢٠) مدرسة، أما عدد التلاميذ فبلغ (٩٤٣٨١٤) وعدد التلميذات (٦٥٥٣٦٧) أما عدد المستوعبين من الفئات العمرية المختلفة بالمدارس الابتدائية حسب احصاء عام ١٩٨٣ - ١٩٨٤م فكان كالاتي:

الفئات العمرية	القابلين للالتحاق	الذين تم قبولهم	النسبة ٪
٧ سنوات	٧١٢,٤٢١	٣٥٤,٧١٨	٪٤٩,٨
٧ ١٢	٣,٥٠٧.٦٦٨	١,٥٩٩,١٨١	٪٤٥,٦
١٣ ١٥	١,٢٨٨,٩٦٥	٣٣٤,٩٠٩	٪٢٦

وباستقراء الجدول أعلاه يتضح حجم المستوعبين من التلاميذ في كل مرحلة تعليمية كما تبرز المشكلات التي تتحدى التعليم لما فيه من اهدار للموارد البشرية والمالية وتبديد الجهد التربوي وترك الأثر السلبي في مسار العملية التربوية

واذا حاولنا عقد مقارنة ما بين عدد طلاب وطالبات المدارس الابتدائية في السودان للعامين الدراسيين ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠م و ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤م نجدها كما هي مبينة بالجدول التالي:

العام الدراسي	عدد المدارس	عدد التلاميذ
١٩٧٩ ١٩٨٠م	٥,٧٢٩	١,٤٣٥,١٢٧
١٩٨٣ ـ ١٩٨٤م	٦,٥٤٤	١,٥٩٩,١٨١

سبقت لنا الاشارة الى أن ما بين (٢٠٪ و ٤٠٪) من الأطفال في السودان مصابون بسوء التغذية هذا بالاضافة الى المسافات التي يقطعها كثير من التلاميذ في الريف ما بين المدرسة والمنزل، وهي لا تقل عن عشرة كيلو مترات كل يوم ذهاباً وإياباً، لبعض التلاميذ اذا تمعنا ذلك يتضح لنا جليا أن التلاميذ في المناطق الريفية في أمس الحاجة الى وجبة منتظمة تقدم لهم خاصة اذا كانوا لا يقيمون في داخليات، وان كانت هناك بعض المساعدات الغذائية التي تمد بها وزارة التربية والتعليم المنظمات العالمية، وهي بدورها توزعها على المدارس المختلفة في المناطق الريفية، ليست لها أي علاقة بنوع الغذاء

المحلي للطلاب وغير معروفة لديهم، لهذا نجدهم لا يستفيدون منها الفائدة المرجوة، هذا أمر يتطلب دراسة الاحتياجات والعادات الغذائية للطلاب ومعرفة المتوفر، والعمل على تطويره.

أما الرعاية الصحية للتلاميذ فتعتبر ذات أثر مباشر في الجوانب التعليمية وان تحصيل التلاميذ بالمدارس مرتبط ارتباطاً تاماً بصحتهم العامة ولكن لا توجد دراسة لمشكلات التعليم ولخطة علاجية وكثيراً ما سبب سوء الصحة العامة مشاكل للتلاميذ في معظم أنحاء السودان.

ويمكن أن يكون العشى الليلي احدى المشاكل الصحية الكبيرة التي تواجه الطلاب في بعض المناطق في السودان وذلك راجع الى نقص في فيتامين (د).

كما أن مشكلة كثرة غياب التلاميذ بالمدارس الابتدائية خاصة في المناطق الريفية بسبب المرض وعدم وجود المؤسسات الصحية الكافية أصبح ظاهرة تستلفت الأنظار، ففي دراسة أجرتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام ١٩٨١م عن مشكلات التعليم في الريف العربي، وجد أن أمراض سوء التغذية في الريف السوداني كما وردت في استجابة مديري المدارس ان (٧٥٪) أكدوا وجود أنيميا بين التلاميذ، وان (١٨٪) أكدوا وجود العشى الليلي، هذه كأمثلة أردنا ابرازها فقط وأكدت نفس الدراسة أن الاهتمام بالفحص الطبي والتطعيم ضد الأمراض وسط التلاميذ ضعيف للغاية

الجفـــاف والتصحـــر
وأثرهما الاقتصادي والاجتماعي على السودان

السودان يقع على مشارف الصحراء الكبرى، يفصله عن الصحراء العربية البحر الأحمر وتمثل الصحراء حوالي (٢٧٪) من مساحته تقريباً.

وعرف علماء المناخ الصحراء بالأرض التي لا يزيد معدل هطول الأمطار بها عن متوسط درجة حرارتها في العام (الهطول بالسنتيمترات والحرارة بالدرجات المئوية) كما أنها الأرض الجدباء التي لا تنتج محصولا نباتياً أو حيوانياً بشكل مضمون أو منتظم أما المناطق الجافة فقد عرفت بأنها المناطق التي تزيد درجة التبخر فيها عن معدل الهطول السنوي، وبهذه التعريفات نجد أن السودان يضم مناطق صحراوية وشبه جافة، ومناطق جافة إذاً ما هو التصحر؟ اذا اردنا تعريفه يمكن لنا القول بأنه انتشار الظواهر والسمات الصحراوية مع تردي مقومات انتاجية الثروات الطبيعية المتجددة في التوازن البيئي الذي يحدثه الانسان أو العوامل الحيوية الأخرى، وهذا يعني أن التصحر ليس هو الزحف الصحراوي من المناطق الشمالية الى المناطق الجنوبية الجافة وشبه الجافة، كما يدعى البعض، ولكنه وسيلة من وسائل سوء الاستغلال للبيئة ومواردها والتربة

بواسطة الانسان، كما أن التصحر لا يمكن أن يكون أو يعرف على أنه الجفاف الذي بدأ يتنامى خلال الخمس عشرة سنة الماضية في المناطق الساحلية بافريقيا بصورة واسعة، ولكن يمكن القول أن التصحر قد أدى الى ظاهرة الجفاف خلال تلك السنوات، أما العوامل المناخية والطبيعية فهي التي تعتبر مسئولة عن ظاهرة الجفاف والانسان هو المسئول عن ظاهرة التصحر، أما الظاهرة التي عاني منها السودان خلال السنوات الأخيرة والتي أدت الى الوضع المتردي الذي يعيشه معظم السكان في السودان فهو تضافر ظاهرتي التصحر والجفاف وان كان تأثير ظاهرة التصحر الأكبر والأشد قسوة على الانسان والحيوان.

ومظاهر التصحر أبرز ما تكون في انجراف التربة بحدوث عمليات التعرية والدفن بالكثبان الرملية المتحركة للأراضي الزراعية والمنشآت العامة والتمليح للأرض المستغلة للزراعة وللمياه الجوفية وتدهور الغطاء الشجري والعشبي خلال التعرية الكلية بازالة طبقة الغطاء العليا والدنيا مع جفاف التربة وتفتتها وغور مائها، ويترتب على ذلك كله تغير واضح في البيئات الطبيعية والمناخ هذا وقد قدرت قوة زحف التصحر ما بين (٥ ـ ٨) كيلومترات في السنة، والانتشار

بهذه السرعة للتصحر تسبب في تقليل نصيب الفرد السوداني في الأرض الزراعية والمراعي ونقص الانتاج الحيواني اللازم لحاجاته الغذائية، الشيء الذي أدى الى كارثة المجاعة التي قدمت الى السودان مما أجبر السكان على النزوح والهجرة نحو مناطق الجنوب حيث الظروف الطبيعية أفضل نسبياً مما سبب ضغطاً كبيراً على تلك المناطق حيث أصبحت هي الأخرى مهددة بالتصحر أيضاً بسوء استغلال الانسان والضغط على الموارد المائية والأراضي الزراعية والمراعي فضلا عن المشاكل والمنازعات القبلية التي بدأت تظهر بصورة خطيرة في تلك المناطق.

أسباب التصحر بالسودان:

هناك عدة أسباب أدى تضافرها الى فقد التربة وتفكك ذراتها حيث سهل جرفها وقل انتاجها وتسببت في الكارثة الضخمة التي مازال يعاني منها الانسان السوداني حتى الآن وهي:

١ ـ الافراط في الزراعة غير المخطط لها:

طرأت زيادة كبيرة في عدد سكان السودان خلال الستين عاماً الماضية مما أدى الى التوسع في مساحات الرقعة الزراعية وفي أغلب الأحيان كان يتم ذلك دون تخطيط، فكانت تقطع الأشجار ومساحات كبيرة من الغابات ويزال الغطاء النباتي دون وعي، وأقرب مثل لذلك ما يجري في غربي السودان حيث ان تجهيز الأرض لزراعة الدخن

الذي يعتبر الغذاء الرئيسي في بداية كل موسم زراعي يستعدي قطع الأشجار الموجودة بالمنطقة التي تراد زراعتها، يتم ذلك بصفة دائمة كل عام لمسافات أخرى وهذا ما يسمى بالزراعة المتنقلة، هذا ما تسبب في خلخلة التربة وزحزحتها وتعرية التربة السطحية الخصبة مما أدى الى قلة الانتاجية وتدهورها بالأقاليم ودفع المزارعين للتوسع في الزراعة الأفقية بصفة مستمرة مع التنقل الى مساحات جديدة كل عام.

٢ ـ الوعي الجائر:

زادت أعداد الحيوانات لدرجة تضاعف معها عدد الماشية الى (١٦) مرة والجمال الى عشر مرات، والضأن الى (٩) مرات، والأغنام لحوالي (٨) مرات، وتمثل هذه الأرقام التقديرات الرسمية الا أن الأعداد الفعلية تفوق ذلك بكثير خاصة اذا وضعنا في الاعتبار عملية التهرب من دفع الضرائب المتمثلة في اعطاء معلومات وأرقام غير صحيحة فضلا عن أسباب اجتماعية أخرى، وقد استصحب هذه الزيادة في اعداد الحيوان تضاؤل في مساحات الرعي وقلت جودتها حيث أصبح عدد الحيوانات أكبر بكثير من مساحة وطاقة المراعي المحدودة الأمر الذي خلق عبئاً كبيراً على الأرض واندثاراً للأغطية النباتية اثناء تنقل هذه الأعداد الكبيرة من الحيوانات مما تسبب في تفتت التربة وازالة الغطاء النباتي بالتهام الحيوانات له

٣ ـ القطع الجائر للأشجار والغابات:

يمارس الانسان في السودان عملية قطع الأشجار والغابات بصورة جائرة وأقل ما توصف به عدم الوعي لأهمية بقائها، ذلك لاستعمالها كحطب وقود حيث لا توجد وسيلة أخرى للوقود بخلاف حطب الأشجار والغابات، لذلك وصل قطع الغابات والأشجار حداً خياليا ومخيفا خاصة اذا علمنا أن قطع الأشجار أمر لا يقتصر على الرعاة والقرويين بالسودان بل ان الحضريين يشاركونهم ذلك باستعماله في المخابز التقليدية بصورة قد تكون أكبر، ولقد قدر استهلاك الأسرة في مناطق غربي السودان في الأسبوع بحوالي (١,٥) متر مكعب من حطب الوقود، ولا يقتصر استعمال الحطب على الوقود فقط بل يتعداه الى استعماله في تشييد وبناء المنازل ومن المؤسف حقاً أن الأشجار أو الغابات التي يتم قطعها لا يقابلها اهتمام شعبي أو رسمي بزراعة أشجار أخرى مكانها

ولقد قدر ما يقطعه الرعاة سنوياً من الأشجار بما يعادل (٥٤٨)مليون شجرة لأغراض الوقود والبناء، بهذه الصورة يتضح أن التصحر يصبح أمرا لا مفر من وقوعه في ضوء هذه الممارسات الجائرة والخاطئة، يحدث ذلك رغم التحذيرات التي تطلقها سلطات الغابات في هذا الاطار، والشيء الأخطر أن الأمر لا يقف عند ظاهرة التصحر فقط، بل يتعداه للتأثير في المجال الاقتصادي، وذلك بقطع أشجار الهشاب المصدر الأساسي للصمغ العربي وأحد الركائز الأساسية للثروة الاقتصادية في البلاد وذي العائد الكبير للعملات

الصعبة التي تحتاج لها البلاد خاصة في ضوء الظروف الاقتصادية الصعبة

٤ ـ الاستغلال الجائر للمياه الجوفية:

تم خلال السنوات العشرين الماضية في السودان حفر آبار وتشييد حفائر عديدة مما استدعى تمركز أعداد كبيرة من سكان بعض المناطق حولها مما شكل نوعاً من الاستقرار لبعض القبائل وأصبحت أيضاً قبلة لأعدادٍ كبيرة تتزايد كل عام من المواطنين الرعاة مصطحبين معهم قطعانهم الكثيرة وهم بذلك يستغلون هذه الآبار والحفائر والأراضي التي حولها كمراع، وبما أن طاقة هذه الآبار والحفائر الانتاجية محدودة فان هذه الأعداد تسبب ضغطاً سنوياً على كميات المياه بالاضافة الى الأراضي والغطاء النباتي حولها مما يؤدي الى تفتت التربة وبالتالي سهولة تعريتها تماماً فتفقد خصوبتها وغطاءها النباتي.

المناطق التي تأثرت بالتصحر والجفاف أكثر من غيرها في السودان:

أصاب التصحر والجفاف مناطق عديدة الا أن آثارهما كانت أكثر حدة على المناطق التالية:

١ ـ المنطقة شبه الصحراوية بشمال دارفور وكردفان.

٢ ـ المنطقة الساف الرملية جنوب دارفور وكردفان

٣ منطقة الساف المتوسطة

٤ ـ منطقة الساف الخفيفة.
٥ ـ منطقة البطانة وضفاف النيل الأزرق ونهر عطبرة.
٦ ـ ضفتي النيل من عطبرة وحتى وادي حلفا وهذه تأثرت بقلة المياه التي تجري في النهر ومن أهم أسبابها ندرة الأمطار

في الهضبة الحبشية حيث قل جريان الماء في نهر السوباط ونهر عطبرة والنيل الأزرق، وهذا بدوره أدى الى جفاف ضفاف الأنهار التي تعتمد الزراعة فيها على الري الصناعي، ومن أهم المناطق التي تأثرت الزراعة فيها لقلة ورود الماء في الأنهار هي: مشروع الجزيرة والمناقل، ومشروع خشم القربة، وأراضي حلفا الجديدة حيث انخفض الانتاج الزراعي بصفة عامة وقلت انتاجية الفدان بشكل ملحوظ.

عدد المتأثرين بالتصحر والجفاف بالسودان:

بلغ عدد الأفراد الذين تأثروا بالتصحر والجفاف في السودان عام ١٩٨٥م (٨,٨٠٠,٠٠٠) والذين ما زالوا متأثرين حتى الوقت الحاضر(بداية عام١٩٨٦م) حوالي (٤,٠٢٧,٢٤٩) وهذا الرقم يعتبر مخيفاً وضخماً وحيث يمثل أكثر من ثلث سكان البلاد بما فيهم الأقليم الجنوبي[1]:

---

١ مفوضية الاغاثة واعادة التعمير

الاقاليم	١٩٨٥م	النسبة المئوية٪	١٩٨٦م	النسبة المئوية٪
دارفور	٢,٨٧٠,٠٠٠	٣٣,٦	٧٢٤,٢١٩	١٧.٩٨
كردفان	٢,٨٣٠.٠٠٠	٣٢,١	١,٢٨٨,٢٤١	٣١,٩٨
الأوسط	١,٦٥٠,٠٠٠	١٨,٧٥	٣٥٨,١٩١	٨,٨٩
الشرقي	١,٢٦٠,٠٠٠	١٤,٣١	١,٢٥٠.٠٠٠	٣١,٠٣
الشمالي	١٨٠,٠٠٠	٢,٠٠	٢٤١,٥٩٨	٥.٩٩
الخرطوم	-	-	١٦٥.٠٠٠	٤,٠٩
الجملة	٨,٨٠٠,٠٠٠	٩٩,٧٦	٤,٠٢٧,٢٤٩	٪٩٩,٩٦

يشير الجدول السابق الى أن (٧,٦٤٪) من المتأثرين بالجفاف من جملة سكان السودان يتواجدون باقليمي كردفان ودارفور حسب احصائية ١٩٨٥م بينما جاءت النسب الأخرى بدرجات متفاوتة غير أنه يلاحظ من معطيات الجدول غياب أية احصاءات لمعتمدية الخرطوم لعام ١٩٨٥م ويعزى ذلك الى عدم تمكن المسئولين من حصرهم رغم علمنا التام بأن المناطق الشرقية من المعتمدية بشكل خاص ومنطقة غرب النيل تعدان من أكثر المناطق تأثراً ويستلزم ذلك بالطبع اعتبار الاعداد المسجلة لعام ١٩٨٦م على أنها العدد المتبقي من المتأثرين لعام ١٩٨٥م.

أما عدد النازحين من مناطقهم الى مناطق أخرى فأفضل نسبياً فقد بلغ أكثر من مليون ونصف المليون في عام ١٩٨٥م فضلا عن أن اللاجئين الذين وفدوا الى هذه البلاد بأعداد كبيرة تدفعهم ظروف

الحرب في بلادهم أو ظروف سياسية أو ظروف التصحر أو الجفاف صوب البلاد المحيطة بالسودان مما تسبب في زيادة سوء الأحوال للمواطنين السودانيين وقد بلغ تعداد هؤلاء حوالي (١,١٦٢,٠٠٠) أما توزيعهم على الدول التي وفدوا منها فيمثلها الجدول التالي:

البلد	العدد	المنطقة التي يقيمون بها
أثيوبيا	٧٨٤,٠٠٠	شرقي السودان
تشاد	١٢٣,٠٠٠	غربي السودان
أوغندا	٢٥٠,٠٠٠	جنوبي السودان
زائير	٥,٠٠٠	جنوبي السودان
الجملة	١,١٦٢,٠٠٠	

عموماً تؤكد الاحصاءات أن السودان بمساعدة الدول الصديقة والمنظمات العالمية والتطوعية قد تخطى كارثة المجاعة بنسبة (٥٠٪) وتبلغ احتياجات الاغاثة لعام ١٩٨٦م من الحبوب (٦٠٠) ألف طن متر ومن الزيوت (٢٩) ألف طن متر و (٢٨) الف طن من اللبن.

الآثار التي ترتبت على ظاهرتي التصحر والجفاف:

١ ـ تنجلي فداحة الموقف في أن أكثر من مليون نسمة في السودان يعانون من الجوع وسوء التغذية ومعرضون للموت جوعاً اذا لم تصلهم معونات من الخارج حتى أواخر عام ١٩٨٥م.

٢ ـ أدت الظروف التي خلفها التصحر والجفاف الى نقص انتاج الحبوب فقل تصدير السودان منها، بل انعدم وقد كان لهذا أثره الكبير والخطير على السكان حيث أن البلاد أصبحت تعاني من فجوة غذائية قدرت بمليون و ٤٢٥ ألف طن لعام ١٩٨٥م هذا بالرغم من المساعدات التي قدمتها المنظمات العالمية والدول الصديقة والمنظمات التطوعية الخارجية

٣ ـ هذه الأزمة في بعض الأقاليم من شدة قسوتها دفعت بالسكان الى النزوح والهجرة الى مناطق أقل حدة نسبياً في شكل دفعات ومجموعات طلباً وبحثاً عن الطعام والماء الذي فقدوه بمناطقهم.

٤ ـ حصرت المجاعة الناتجة عن نقص الحبوب الغذائية وانعدامها تماماً في بعض المناطق آلاف المواطنين خاصة الأطفال وكبار السن.

٥ ـ المساحة التي يعيش عليها الانسان والحيوان في بعض المناطق تضاءلت أمام عوامل التصحر مما أدى بالرعاة الى التحرك مع قطعانهم شمالا الى المناطق الأكثر جفافاً مما أثر على الغطاء النباتي الموجود رغم قلته والذي كان حافظاً ومانعاً لانتشار الصحراء الى المناطق الجنوبية

١ ـ المياه التي تحملها الوديان والخيران كانت تعتبر مصدراً هاماً لشرب الانسان والحيوان، وزراعة مساحات من الأراضي قد جفت وعرضت الانسان والحيوان للهلاك وكان ذلك بسبب انخفاض معدلات هطول الأمطار في بعض الفترات وذبذبتها ونقصانها في بعض الفترات الأخرى.

٧ ـ نفق الكثير من الحيوان وذلك بسبب التدهور المريع للمرعى وانعدام الماء وعدم تأقلم الحيوان على البيئات الجديدة التي أجبرت الظروف السكان للنزوح اليها، كما ظهرت أمراض وسط الماشية لم تكن مألوفة وغير معروفة حتى للرعاة لاختلاف البيئة.

٨ ـ تحت ظروف عدم وجود المرعى والعشب والماء وامكانية توفير العلف للحيوان برز اتجاه وسط الرعاة للتخلص وبطريقة جماعية من الحيوانات بأرخص الأثمان خوفاً من نفوقها وفي الوقت نفسه تأميناً للاحتياجات المعيشية.

٩ ـ مساحة الغابات الطبيعية تقلصت في السودان من (٥٨٤,٣٦٢) كيلومترا مربعاً عام ١٩٦٨م الى (٥٥٩,٠١٥) كيلو متراً مربعاً عام ١٩٨١م أي أن النقص بلغ (٢٥,٣٤٧) كيلومتراً مربعاً أي ما يعادل (٦,٠٣٢,٥٨٦) فدانا في فترة (١٣) سنة فقط، وأن مساحة الأرض الزراعية تقلصت لمساحة تساوي مساحة الغابات في نفس الفترة أي أن الغطاء النباتي نقص بمقدار (٥٠,٦٩٥) كيلومتراً مربعاً أي ما يعادل (١٢,٦٥٠,٤١٠) أفدنة

١٠ ـ ان الظروف الصعبة جعلت المزارعين يركزون على زراعة الدخن والذرة في الموسم الحالي وتركوا زراعة المحاصيل النقدية كالسمسم والفول السوداني والحبوب الزيتية عموماً

١١ ـ بدأ ظهور السكن العشوائي حول مدن الاقاليم التي تأثرت بالتصحر والجفاف بصورة ملحوظة مما تسبب في بعض المشاكل مستقبلا

وضـــع الأطفـــال

بالمناطق المتأثرة بالتصحر والجفاف

انطلاقاً من المقولة البديهية التي تنادي بأن الأطفال لا يعيشون بمنأى عن المجتمع الذي ينتمون اليه فان المشاكل التي يواجهونها عادة ما تتخذ جوانب متعددة ذات تأثير ملموس على صور الحياة المختلفة التي يتعرض لها مجتمعهم، لهذا فانه من البدهي أن نبين أن الذي واجهه أطفال السودان من آثار ظاهرتي التصحر والجفاف ارتبط بالمشاكل الأساسية التي تعرض لها المجتمع السوداني ككل من مجاعة حادة وكوارث مريعة خلفت الوضع المأسوي الكبير الذي عاشه السودان في تلك السنة خاصة على أطفال المناطق التي تضررت أكثر من غيرها بعوامل التصحر والجفاف، حيث كان للأوضاع التي فرضتها ظروف التصحر والجفاف بوجه عام على المواطنين في السودان تأثيرها السلبي والقاسي من حيث ظروف المعيشة وفقدان أبسط مقومات الحياة ونزوح وهجرة أعداد كبيرة من مناطق الاقامة هرباً من شبح الموت الذي يسببه النقص المريع في الغذاء وشح الماء وانتشار الكثير من الأمراض منها سوء التغذية مع الظروف الصحية المتردية التي أودت بحياة الآلاف من المواطنين، ونفوق الملايين من رؤوس الماشية، هذا هو الوضع المأسوي الذي عاشه السودان خلال عام ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥م وما قبله، ان هذا الوضع الذي تعرض له السودان لم يكن صدفة ولم يكن مفاجئاً فقد كانت توقعات حدوثه معلومة لدى

الجهات المسئولة في بدايةالسبعينيات،ولكن العلم أو التوقع بحدوثه لم يكن بمثل هذا الحجم الذي شهده السودان على امتداده ، ولذا فقد كانت نتائج هذه الكارثة أكبر من كل تصور وقسوتها فوق كل احتمال، وزاد من حدة هذه الظروف وضع السودان الاقتصادي المتردي وامكاناته وموارده المحدودة التي عجزت عن توفير الاغاثة للمتضررين في وقت مبكر، فجاءت المجاعة وانتشار الأمراض بصورة مزعجة وصلت الى مستوى الكارثة كما لم تحظ ظواهر المجاعة والعطش وسوء التغذية التي تفشت بصورتها الواسعة والخطرة بالاهتمام الاعلامي في وقت مبكر يمكّن من استجابة واهتمام العالم بهذه الظروف التي واجهها السودان، وقد تم الالتفات الى ذلك مؤخراً وبعد فقدان الآلاف من الأرواح والملايين من رؤوس الماشية حتى توسعت دائرة الكارثة بالصورة المأسوية التي شهدها العالم، ودفعت ملايين من المتضررين للنزوح الى معسكرات أقاموها حول المدن المختلفة هرباً من شبح الموت الذي ظل يلاحقهم بمناطقهم طوال تلك الفترة.

وضع الأطفال:

بلغت تقديرات المتضررين من ظاهرتي الجفاف والتصحر في السودان حوالي (٨,٨٠٠,٠٠٠) نسمة خلال عام ١٩٨٥م واذا علمنا أن نسبة عدد الأطفال في السودان تبلغ (٤٥٪) من المجموع الكلي للسكان وأن حجم الأطفال الذين تأثروا بعوامل التصحر والجفاف للفئة العمرية أقل من عام حتى أقل من ١٥ سنة قد بلغت

(٣,٩٦٠,٠٠٠) نسمة أي ما يعادل ثلث المتضررين في السودان فضلا عن أن هذه الأعداد وفي الظروف العادية كانت تعاني نقصاً سريعاً في الخدمات الأساسية والاحتياجات الضرورية ولذا فان آثار الجفاف والتصحر قد أضافت الى سوء الأوضاع السابقة قدراً كبيراً من السوء والتدني في الخدمات ان لم يكن فقدانها أصلا الشيء الذي جعل الأمور تصل في مناطق الجفاف والتصحر الى مراحل الخطر الذي ينذر بالموت وازالة كل أسباب الحياة ويمكننا استعراض هذه الأخطار في الآتي:

١ ـ الموت وسط الأطفال:

أشارت التقديرات الى أن الأطفال الذين يموتون تحت ظروف عادية في السودان تبلغ (٢٠٠,٠٠٠) طفل سنوياً، ولكن الظروف القاسية التي تعرض لها الطفل السوداني عام ١٩٨٥م وما قبله اضافة للنقص الكبير في الخدمات وتوفير الاحتياجات الضرورية للطفل في ظل الظروف العادية رفعت كل هذه الأسباب عدد الأموات بين الأطفال الى ضعف هذا العدد حيث بلغت تقديراتها (٤٠,٠٠٠) وهذا عدد كبير ومخيف يوضح حجم المأساة والكارثة التي ألمت بالطفل السوداني وأقعدته عن اكتساب حقه في الحياة.

٢ ـ المجاعة:

تعرض الأطفال في السودان الى ظروف مجاعة قاسية نتيجة لظروف التصحر والجفاف التي خلقت فجوة غذائية كبيرة تم تقديرها بمليون و ٤٢٥ ألفاً من الأطنان مما خلق بدوره ندرة في الغذاء والحبوب والاحتياجات الضرورية للطفل على مستوى السودان، وكان لذلك الأثر الكبير على الأطفال حيث أنهم أصبحوا يعيشون على غذاء لا يفي حتى بالاحتياجات الدنيا من السعرات الحرارية اليومية للفرد واللازمة للنشاط والصحة العاديين وحتى هؤلاء كانوا المحظوظين اذ أن الأعداد الكبيرة كانت لا تجد حتى ذلك مما كان سبباً في موت مئات الأطفال ومن يبقى على قيد الحياة كان عرضة للاصابة بالأمراض فضلا عن اصابة الأمهات بالانيميا الحادة ومضاعفات الدورة الدموية الشيء الذي زاد من ارتفاع معدلات وفيات الأطفال أثناء الولادة.

٣ ـ سوء التغذية:

أوضحنا بأن سوء التغذية في الظروف العادية متفشٍ وسط أطفال السودان بدرجة تتفاوت من منطقة الى أخرى، غير أن الكارثة التي ألمت بالبلاد قد رفعت من معدل انتشاره بدرجة كبيرة وهذا أمر طبيعي حيث كان هناك نقص في الغذاء وافتقار الى الحاجات الأساسية والضرورية لتوفير الحد الأدنى لمتطلبات حياة الأطفال مما تسبب في قلة السعرات الحرارية التي يحتاجها الطفل يومياً في ظل هذه

الظروف اشارت التقديرات في بداية التصحر والجفاف أن ما بين (٦٠٪ ـ ٧٠٪) س الأطفال بكل من اقاليم كردفان ودارفور والشرقي يعانون من سوء التغذية وهذا يعتبر وضعاً متردياً للغاية وسط الأطفال، كما أنه يعتبر مؤشراً خطيراً للاصابة بأمراض كثيرة متعددة.

أما في بقية المناطق فقد كان الوضع أفضل نسبياً كما أشارت بعض التقديرات حيث أن النسبة تراوحت بين (١٠٪ ـ ٢٠٪) وهذا يعني أن هناك أكثر من مليون طفل قد يموتون من جراء مضاعفات سوء التغذية اذا استمرت الظروف على هذا الحال الا أنه يبدو أن الظروف تحسنت بعض الشيء في النصف الثاني من عام ١٩٨٥م حيث أشارت بعض الدراسات التي أجريت على الأطفال ببعض المناطق في كل من كردفان ودارفور والشرقي والاقليم الأوسط الى أن هناك تحسناً في الحالة الغذائية للأطفال كما يوضح السرد التالي والذي أستيقت معلوماته من دراسة أجرتها منظمة اكسفام واليونسيف لاقليمي كردفان ودارفور

١ ـ اقليم دارفور:

تم اختيار (١٨) منطقة من مناطق الاقليم عشوائياً واخذت عينة من أطفال هذه المناطق بلغ عددها (١٦٢٠) طفلا يمثلون الفئة العمرية من (١ ـ ٥) سنوات وذلك لاجراء مسح غذائي فيما يتعلق بالطول والوزن وخلافه لمعرفة درجة التغذية وسوئها في الفترة من مارس وحتى مايو ١٩٨٥م، وقد أوضح هذا المسح أن هناك حالات

من سوء التغذية الحادة تصل الى (٤٪) من جملة العينة و (١٢,٧٪) ما بين سوء التغذية وسوء التغذية الحاد، هذه الصورة وان كانت أفضل من سابقتها قبل مارس ١٩٨٥م الا أنها توضح حالة من التدني الغذائي اذا ما قورنت ببعض المسوحات التي أجريت في أماكن أخرى من افريقيا.

وقد أشارت نتائج هذا المسح أن المناطق الشمالية من دارفور كانت أسوأ من غيرها حيث ظهرت حالات سوء التغذية الحاد التي قدرت نسبتها ما بين (٢٥٪ و ٤٪).

٢ ـ اقليم كردفان:

تم اختيار (١٥) منطقة من مناطق الاقليم عشوائياً وأخذت عينة من أطفالها بلغ عددها (١٣٥٠) طفلا يمثلون الفئة العمرية من (١ ـ ٥) سنوات واستعملت نفس الطريقة التي استعملت في دارفور

فقد وضح أن هناك حالات سوء التغذية الحادة تصل الى (٨٪ و ٢٥٪) ما بين سوء التغذية وسوء التغذية الحاد وهذه الصورة أيضاً كانت أفضل من سابقتها قبل يونيو ١٩٨٥م.

٣ ـ الإقليم الأوسط:

أما في الاقليم الأوسط فقامت جمعية (كونسيرين) باجراء مسح

لمجموع (٢٠٨) قرى تمثل ثلاث مناطق بمديرية النيل الأبيض موزعة على النحو التالي:

المنطقة	عدد القرى	عدد الأطفال
اربك	٤٣	٨١٩
كوستى	٩٩	١٨٥٣
تندلتي	٦٦	١٠٥٩
المجموع	٢٠٨	١٧٢١

وذلك للوقوف على الحالةالغذائية للأطفال دون الخامسة من العمر وان كانت الوسيلة التي اتبعت في هذا المسح تختلف بعض الشيء عن سابقتها الا أنها أدت نفس النتيجة، وكانت نتائجها كالآتي:

منطقة أربك:

تقديرات مجموع الأطفال دون الخامسة من العمر (٨,٣٥٥) طفلا بهذه المنطقة من الأطفال الذين تمت دراستهم (٨١٩) وجد أن حوالي:

(٤٩,١٤٪) حالتهم الغذائية حسنة

(٣٨,٦٪) مصابون بسوء تغذية خفيف.

(١٠,١٢٪) مصابون بسوء تغذية متوسط.

(٠,٣٨٪) مصابون بسوء تغذية حاد.

ولا توجد حالة واحدة للاصابة بالأوديما في أفراد العينة

منطقة كوستي:

بلغت تقديرات الأطفال دون سن الخامسة (١٦,٥٣٥) طفلا بهذه المنطقة، أما الأطفال الذين درسوا فكانوا (١,٨٥٣) ونتائج الدراسة كانت كالآتي:

(٤٦,٣٪) حالتهم الغذائية حسنة

(٤٠,٢٪) مصابون بسوء تغذية خفيف

(١١,٥٪) مصابون بسوء تغذية متوسط.

(٢,٠٠٪) مصابون بسوء تغذية حاد.

كما يوجد (٤) حالات في كل من شمال وجنوب كوستي مصابة بنقص فيتامين (أ) وحالتا اصابة بالأوديما في كل من شمال وجنوب كوستي أيضا

منطقة تندلتي:

بلغت تقديرات الأطفال دون سن الخامسة (٥,٢٠٠) بهذه المنطقة أما الأطفال الذين تم فحصهم فكانوا (١٠٥٩) طفلا وكانت النتائج كالآتي:

(٦٠,٨٪) حالتهم الغذائية حسنة

(٣٢,٢٪) مصابون بسوء تغذية خفيف

(٦,٠٠٪) مصابون بسوء تغذية متوسط

(١,٠٠٪) مصابون بسوء تغذية حاد.

كما يوجد (٥) حالات مصابة بالأوديما، اثنتان منها بمجلس ريفي تندلتي و ٣ بأبو ركبة

وقد لوحظ أيضاً أنه كلما كان المجتمع أو المنطقة منعزلة كلما ازدادت نسبة الاصابة بسوء التغذية، ولوحظ في بعض المناطق النائية أن الكثير من الأمهات لم يلدن لسنوات خلت حتى اللاتي ولدن منهن توفي أطفالهن قبل بلوغ العام، عموماً فان غياب الاحصاءات الحيوية في مثل هذه المناطق تمثل حجر عثرة في طريق اجراء التقويم الفعلي للأوضاع الصحية والوفيات بين الأطفال والأمهات.

هذا وفي بعض المناطق وجد أن حوالي (٢٥٪) من الأطفال محيط الجزء العلوي من الزراع أقل من (١٢سم) وهذا يعتبر أيضاً مؤشراً واضحاً لحالات سوء التغذية الحادة هذه أمثلة أردنا بها توضيح الموقف وسط الأطفال.

واذا علمنا بأن خدمات التغذية في السودان تعاني من قصور كبير في حجم الخدمة المقدمة فمثلا في عدد الوحدات وسوء توزيعها والعاملين وسوء توزيعهم بالاضافة الى حجم الكارثة فهذا يمثل تهديداً لمستقبل أطفال السودان وينذر بخطر قد تصعب السيطرة عليه مالم تتضافر الجهود، ونتيجة لسوء التغذية الذي تفشى وسط الأطفال بصورة كبيرة بالاضافة الى انعدام المواد الغذائية الضرورية لبقاء الانسان وعدم وجود الوقت الكافي لدى الأمهات لرعاية أطفالهن ـ تحت كل هذه الظروف ـ وحيث يبقى الخيار هو الحصول على ما يحفظ الأطفال على قيد الحياة فقط في ظل هذا الوضع المتردي فان الحديث ينبغي أن يتجه الى ضرورة تضافر الجهود المحلية والعالمية لانتشال هؤلاء الصغار مما هم فيه

الوضع الصحي:

في ضوء الظروف التي تعرض لها الأطفال في السودان تبرز أهمية عامل الخدمات الصحية كعامل مؤثر في حركة العلاج والوقاية من الأمراض نتيجة لانتشار الأمراض والأوبئة مما دفع البعض للبحث عن مناطق الرعاية والخدمات الصحية التي غالباً ما تتوفر في شكل وحدات صغيرة بالمناطق الريفية التي تأثرت أكثر من غيرها بعوامل الجفاف والتصحر

أشارت الاحصاءات والبيانات الى أن عدد الأطباء والمستشفيات في السودان لا يتناسب وحاجة البلاد، كما أن الزيادة في عدد الأطباء أو المستشفيات لا تتناسب ومعدل الزيادة السكانية في الظروف العادية بالاضافة الى سوء توزيع الأطباء والمستشفيات والخدمات الصحية عموماً ذلك لأن تواجد الأطباء والخدمات يتركز في مراكز المدن في حين انها لا تتوفر في الأرياف التي تعرضت أخيراً لظروف غير عادية بالطبع فان ما تعانيه المناطق المتضررة بالجفاف من نقص في الخدمات الصحية وتفشي الأمراض الخطيرة كان أمراً متوقعاً حيث تنعدم الوقاية والعلاج وحيث تبعد الوحدات الصحية عن هذه المناطق مسافات بعيدة يصعب اليها الترحال لانعدام سبل المواصلات ووعورة الطرق عموماً وهذه الأمراض تتمثل في:

الاسهالات:

وهي راجعة لعدم انتظام مواعيد الأكل بالنسبة للأطفال وهذا شيء بدهي في ظل الظروف التي يعيشها السودان المتمثلة في ندرة

الطعام والماء النظيف وتلوث الغذاء القليل الذي يوجد بالميكروبات، ومما زاد من خطورة ذلك على الأطفال زيادة حرارة الجو في الصيف الماضي حيث أدى ذلك الى فقدان السوائل عند كثير من الأطفال فزاد من خطورة الجفاف على الأطفال، كما أن انعدام الوصفات المعوضة أثناء حدة آثار التصحر والجفاف وعدم وجود الارشادات الطبية اللازمة لاسعاف الأطفال ومنحهم السوائل بكميات كبيرة تعويضاً لما فقدوه تسبب في تهديدهم بالجفاف مما أدى الى وفاة الكثير من الأطفال.

الأمراض الأخرى:

في العادة يتعرض الطفل خاصة في السنوات الأولى من عمره لأمراض كثيرة منها الحصبة والسعال الديكي والدفتريا وغيرها من أمراض الطفولة، وفي الظروف التي واجهت أطفال السودان كان انتشار مثل هذه الأمراض أمراً بدهياً حيث أن معظم الأطفال ان لم يكن جميعهم غير محصنين ضد الأمراض الستة الفتاكة مما جعل فرصة الاصابة بتلك الأمراض أمراً واقعاً لا محال وبصورة خطيرة، وكانت سبباً في الكثير من الوفيات، كما أن سوء التغذية الحاد تسبب في حالات لين العظام أو الكساح خاصة للأطفال الذين هم في عامهم الأول حيث فقدت أسرهم أبسط مقومات الحياة ولم تستطع تقديم سوى طعام ينقصه الكثير من العناصر الغذائية الأساسية لبناء الانسان فنقص فيتامين (د) والكالسيوم في الغذاء يسبب الكساح

والهزال لكثير من الأطفال في بعض المناطق، اذ أن أعراضه التي تبدأ في السنة الأولى للطفل لا تلفت النظر بالنسبة للوالدين ولكن الأعراض الظاهرة تظهر في العام الثاني في شكل تقوس الساقين، وهذا ما تواجهه بعض الأسر أثناء العام الثاني مما يستدعي العلاج المكلف في ظل ظروف صعبة تمر الأسر والدولة بها

الحصبة:

هي من الأمراض سريعة العدوى بالاختلاط بالحالات المصابة بالمرض وهذا المرض وجد مناخاً ملائماً في ظل الظروف التي عاشها الانسان السوداني خلال فترة التصحر والجفاف مما جعلها تنتشر بصورة وباء تقريباً وسط الأطفال ولم تجد العناية الكافية مما عرض المصابين من الأطفال الى مضاعفات كبيرة وتسبب في موت بعض الأطفال أيضاً

النزلات المعوية:

وهي من أكثر الأمراض اصابة للأطفال في عامهم الأول والثاني وهي المسببة في الحالات العادية لـ (٥٠٪) على الأقل من حالات الوفيات للأطفال في عامهم الأول و (٧٠٪) من حالات الوفيات للأطفال في عامهم الثاني حيث أنها تسبب اسهالات تصحبها أعراض أخرى كالقيء وخلافه، وقد تسببت في كثير من حالات الوفيات.

السعال الديكي:

أصاب الكثير بمضاعفات مثل الالتهابات الرئوية وان كان نصيبه من كل الوفيات قليلا.

التايفوئيد والدفتريا:

هي من الأمراض المعدية التى أصابت الكثير من الأطفال خاصة أنها من الأمراض الميكروبية حيث كانت مضاعفاتها خطيرة عند الأطفال، وأهمها حدوث هبوط في القلب بالنسبة للدفتريا مما تسبب أيضاً في بعض الوفيات بالاضافة الى الملاريا التي أصبحت منتشرة على مستوى السودان حيث وجدت في هذه الأسر صيداً سهلا.

وضع الأطفال في المعسكرات

ان العوامل والظروف التي تعرض لها السودان خلال عام ١٩٨٥م وما قبله أدت الى نزوح وهجرة أعداد كبيرة من المواطنين قدرت بأكثر من مليون ونصف مليون مواطن انتشروا حول المدن الكبيرة ببعض الأقاليم طلباً للأمن وايجاد الغذاء والماء، وقد بلغ عدد هذه المعسكرات أكثر من (٢٠) معسكراً واذا حاولنا معرفة وضع الأطفال داخل هذه المعسكرات يمكن استعراض بعضها لاعطاء فكرة عن الوضع نجدها كما يلي:

أولا: معسكر الشيخ أبو زيد

يقع غرب أم درمان، وبلغ عدد النازحين به حوالي (٢٩,٧٤٦) وذلك في بداية عام ١٩٨٥م أما عدد الأطفال بهذا المعسكر فبلغ (١٤,٥٣٩) توزيعهم على الفئات العمرية على النحو التالي:

الفئات العمرية	عدد الأطفال	النسبة المئوية
أقل من سنة	٤٩٣	٪١,٦٦
١ - ٧	٨٤٠٦	٪٢٨,٢٦
٨ - ١٤	٥٦٤٠	٪١٨,٩٦
المجموع	١٤,٥٣٩	٪٤٨,٨٨

يشير الجدول الى أن نسبة الأطفال داخل المعسكر بلغت (٤٨,٨٨٪) وتمثل هذه النسبة نصف عدد المقيمين بهذا المعسكر تقريباً وسكان هذا المعسكر معظمهم من إقليم كردفان ويمثلون القبائل الآتية:

١ - الكبابيش. ٢ - الهواوير
٣ - دار حامد. ٤ - الزغاوة.

وفي أكتوبر ١٩٨٥م أجري مسح غذائي للأطفال بهذا المعسكر علماً بأنه في هذه الفترة تقلص عدد المقيمين بالمعسكر بعد أن تمت

اعادة البعض منهم إلى مناطقهم أو مناطق أخرى أعدت لاستقبالهم وأجري هذا المسح عن طريق العينة حيث وجد أن (١٩٪) يعانون من سوء التغذية و (٤٪) من سوء التغذية الحاد ووجد (٩) حالات مصابة بالاوديما وكانت نسبة الذكور من العينة (٥٠,٩٪) والاناث (٤٩,١٪) ومن مجموع (٤٢) طفلا وقعوا تحت سوء التغذية الحاد كان (٥٧,١٪) اناثاً، (٤٢,٩٪) ذكوراً

أ ـ مدة الاقامة: سئلت (١٣٥) أسرة عن مدة بقائها في المعسكر فوجد أن (٤٩) لها أكثر من سنة و (٨١) لها مدة تتراوح ما بين ٦ شهور وسنة و (٢٥) لها أقل من ستة شهور

ب ـ وجد أن (٤٦٪) من الأسر فقدت طفلا أو أكثر أثناء وجودها بالمعسكر، وبلغ عدد المفقودين (٧٠) طفلا (٦٩) منهم ذكور

الحالة بالمعسكر تعتبر خطيرة من ناحية التغذية ولا تبلغ مستوى الكارثة بالمقارنة الى الحالة التي تركها أثر الجفاف في تلك السنة وكذلك توازي حالة سوء التغذية في كردفان خلال مايو ويونيو ١٩٨٥م حيث توصلت دراسة أجريت خلال تلك الفترة المذكورة مع افتراض أن بالمعسكر حوالي (٩,٠٠٠) نازح وأن (٥٠٠) طفل بالمعسكر يحتاجون لتغذية اضافية فضلا عن عدد غير معروف من الحوامل والمرضعات هن أيضا في حاجة لتغذية اضافية

ثانياً: معسكر المويلح:

يقع غرب أم درمان، وبلغ عدد النازحين به حوالي (٩٥٢١) في أوائل ١٩٨٥م أما عدد الأطفال بهذا المعسكر بلغ (٤٧٢٥) طفلا

موزعين على الفئات العمرية على النحو التالي:

الفئة العمرية	العددية	النسبة المئوية
أقل من سنة	١٢٨	٪١,٣٣
١ ٩	٣٠١٥	٪٣١,٦٨
٩ - ١٤	١٥٨٣	٪١٦,٣
المجموع	٤٧٢٥	٪٤٩,٦٣

بلغت نسبة الأطفال داخل المعسكر (٤٩,٦٣٪) وتمثل هذه النسبة نصف عدد المقيمين بالمعسكر تقريباً، وسكان هذا المعسكر أيضاً معظمهم من اقليم كردفان ويمثلون نفس القبائل الموجودة بمعسكر الشيخ أبو زيد، وفي نوفمبر ١٩٨٥م أجري مسح غذائي لأطفال هذا المعسكر عن طريق العينة العشوائية وبلغت (٢٠٢) طفلا تتراوح أعمارهم ما بين (١ - ٥) سنوات، حيث تم وزن الأطفال وقياسهم ومراجعتهم لاحتمال ايجاد آثار الأوديما.

نتائج المسح الغذائي كانت كالآتي:

من بين الـ (٢٠٢) طفلا وجد (١٥٪) منهم يعانون من سوء التغذية بما في ذلك (٥٪) يعانون من سوء التغذية الحاد، كما وجدت حالتا أوديما وهما تمثلان حوالي (١٪) من الأطفال الذين تم مسحهم.

كل الأطفال الذين يعانون من سوء التغذية تم مسحهم ما عدا طفلين كانا يحضران لمركز التغذية الرئيسي الاضافي الموجود بالمعسكر وأوضح المسح أن سوء التغذية منتشر أكثر بين البنات حسب النسب الآتية:

المقياس	ذكر	أنثى
٧٩ - ٧٠	٢٨٪	٧٢٪
٧٠ ٦٠	٣٣٪	٦٨٪
أقل من ٦٠	٢٥٪	٧٥٪
كل الأنواع	٢٩٪	٧١٪

بين الـ(١٥٠) أسرة التي تم مسح أطفالها (٤٤٪) منها فقدت طفلا أو أكثر منذ وصولها المعسكر حتى تاريخ المسح، وكانت نسبة الاناث من الذين فقدوا (٦٧٪).

أما المستوى العام لسوء التغذية للأطفال بالمعسكر في المويلح فبلغ (١٤٪) واذا قارنا هذا المستوى بمستوى المناطق المتأثرة بدرجة حادة في شمال كردفان الذي أشارت اليه الدراسة التي أجرتها منظمة (أوكسفام) في أكتوبر ١٩٨٥م والذي بلغ (١٣,٦٪) وهو يقارب الى حد كبير مستوى سوء التغذية لاطفال المويلح اما سوء التغذية الحاد بمعسكر المويلح فوجد أنه يمثل (٢,٩٪) وهو أكبر مما وجد بشمال كردفان، أما مستوى سوء التغذية المرتفع نسبياً في معسكر المويلح رغماً عن وجود برنامج التغذية الاضافي فيوضح أن جزءاً من السكان على الأقل لا يجد طعاماً كافياً، ان أمر توزيع غذاء اضافي للأسر التي يهددها سوء التغذية موضوع يجب أن يوضع في الاعتبار

المعسكرات :

الرقم	اسم المعسكر	موقعه	بداية تكوينه	المستفيدون من خدمات التغذية	الأطفال المستفيدون	الخدمات
١	ادركياي	بالقرب من كسلا	شعبان ١٤٠٥هـ	٥٠٠	٣٠٠	مستوصف طبي ميداني، طبيب، م طبيب، ممرضون.
٢	فلسة	كسلا	جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ	٨,٠٠٠	٥٠٠	مستوصف طبي ميداني، طبيب، م طبيب، ممرضون.
٣	اللقة	كسلا	شعبان ١٤٠٥هـ	-	٦٠٠	مستوصف طبي ميداني، طبيب، م طبيب، ممرضون.
٤	سنار	سنار التقاطع	يناير ١٩٨٥م	٥,٠٠٠	٣,٠٠٠	مستوصف طبي ميداني، طبيب، م طبيب، ممرضون.
٥	كوستي	مدينة كوستي	ديسمبر١٩٨٤م	٧,٠٠٠	٤٥٠	مستوصف طبي ميداني، طبيب، م طبيب، ممرضون.
٦	موي	واد مدني	ذوالحجة ١٤٠٥هـ	٥,٠٠٠	٣,٠٠٠	مستوصف طبي ميداني، طبيب، م طبيب، ممرضون.
٧	دومانية	نيالا	يناير١٩٨٥م	٢٥,٠٠٠	٣,٠٠٠	مستوصف طبي ميداني، طبيب، م طبيب، ممرضون.
٨	عصري	الجنينة	يناير ١٩٨٥م	٥٣,٠٠٠	٥,٠٠٠	مستوصف طبي ميداني، طبيب، م طبيب، ممرضون.
٩	تندلتي	الجنينة	نوفمبر ١٩٨٤م	١٠,٣٦+	٢,٣٩٩	مستوصف طبي ميداني، طبيب، م طبيب، ممرضون.
١٠	كلي	شمال الجنينة	فبراير ١٩٨٥م	٧,٠٠٠	١,٥٠٠	
١١	طليعة	الجنينة	فبراير ١٩٨٥م	٩,٠٠٠	١,٠٠٠	لم يذكر شيء عنه.
١٢	سريا	الجنينة	مارس١٩٨٥م	٢,٠٠٠	غير موضح	مركز تغذية عامة
١٣	اديكونج	الجنينة	١٩٨٥م	٣,٨٤١	-	مركز تغذية عامة.
١٤	المالحة	شمال الفاشر	فبراير١٩٨٥م	١٠,٠٠٠	٤,٠٠٠	خدمات طبية بدرجة مساعد طبيب.
١٥	ماريقة	شمال الفاشر	فبراير ١٩٨٥م	٦,٠٠٠	١,٥٠٠	خدمات طبية بدرجة مساعد طبيب.
١٦	الصباح	شمال الفاشر	فبراير ١٩٨٥م	١٠,٠٠١	٣,٠٠٠	خدمات طبية بدرجة مساعد طبيب.
١٧	مدو	شمال الفاشر	أكتوبر ١٩٨٥م	٣,٠٠٠	٤٠٠	خدمات طبية بدرجة مساعد طبيب.
١٨	غابة فلاتة	الأبيض	أغسطس ١٩٨٤م	٤٧,٥٠٠	٦,٠٠٠	خدمات طبية بدرجة مساعد طبيب.

الحقيقة أنه يوجد أكثر من عشرين معكسراً للنازحين على مستوى السودان ولكن المعسكرات التي تم حصرها خلال الفترة الماضية هي التي شملها الجدول السابق.

أما عدد الأطفال المبينين بالجدول فهم الذين في حاجة الى وجبات غذائية اضافية لسوء التغذية الذي أصابهم، أما بقية الأطفال الموجودين بالمعسكرات فيشاركون بقية النازحين الغذاء العادي الذي يقدم لهم، أما الأطفال المتواجدون بمعسكر فلاته بالأبيض فيمثلون الفئة العمرية الأقل من عامين فقط، اما بقية الأطفال فضمن عددية المقيمين بالمعسكر

وهذه المعسكرات تمولها الجهات الآتية:

١ ـ جماعة التكافل الاسلامي ـ السعودية.

٢ ـ اللجنة العليا لاغاثة متضرري افريقيا ـ الامارات العربية المتحدة.

٣ ـ لجنة الاغاثة القطرية.

٤ ـ الوكالة الاسلامية الافريقية للاغاثة

٥ ـ لجنة الاغاثة الكويتية

فرضت جهود الاغاثة نفسها على الساحة والمعالجة التي تم بها ذلك اعتمد في جانب كبير منها على المساعدات المادية والعينية التي تدفقت من المنظمات العالمية والدول الصديقة التطوعية العالمية والاقليمية وهي تتمثل في:

١ ـ البان بدره.
٢ ـ زيوت.
٣ ـ أدوية.
٤ ـ بطاطين.
٥ ـ خيام.
٦ ـ ملابس جاهزة.
٧ ـ دقيق.
٨ ـ ذرة.
٩ ـ دهن نباتي.
١٠ ـ مواد غذائية متنوعة
١١ ـ سكر
١٢ ـ أرز
١٣ ـ حليب سائل.
١٤ ـ أوان.
١٥ ـ أقمشة
١٦ ـ أسماك.
١٧ ـ فول.
١٨ ـ ساردين.
١٩ ـ ذرة مقشورة.
٢٠ ـ لحم بقري.
٢١ ـ جبنة
٢٢ ـ شعيرية
٢٣ ـ خضروات مشكلة.
٢٤ ـ أناناس.

الا أن بعض المشاكل التي واجهت ترحيل هذه المواد للمواطنين المتضررين لمناطقهم قد وسعت دائرة الكارثة مما تسبب في المجاعة والموت والاصابة بسوء التغذية ومن هذه المشاكل:

١ ـ عدم كفاءة السكك الحديدية وارتباطها ببرامج أخرى وعدم وجود الشاحنات الكافية لدى الدولة
٢ ـ سوء التخطيط والبطء في اتخاذ القرارات الكفيلة بترحيل المواد مما أدى لتأخير المواد لفترة طويلة
٣ ـ سوء توزيع مواد الاغاثة بالمناطق المتضررة لعدم الاعتماد على أسس علمية واحصاءات سليمة في التوزيع تسبب في نقص

بعض المواد لبعض المناطق وتكدسها بمناطق أخرى.

٤ ـ بعض المناطق أغلقت طرقها البرية لهطول الأمطار الغزيرة التي شهدتها البلاد مؤخراً مما تسبب في عدم وصول مواد الاغاثة لها في أوقات الحاجة.

٥ ـ تم صرف بعض المواد الغذائية للمواطنين لاستعمالها الا أنها كانت غريبة عليهم وعلى بيئاتهم وغير مستساغة لهم مما استدعاهم لبيعها للاستفادة من عائدها في شراء ما يلائمهم.

الوضع الاجتماعي

لاشك أن تعرض الأسر المستقرة لنكبة أو كارثة كهذه التي حلت بالسودان يهدم دعامة أساسية من دعامات الأسرة واستقرارها الشيء الذي يؤدي الى احداث هزات عنيفة، ففي ظل ظروف الجفاف والتصحر حيث تفقد الأسرة راعيها اما بالموت أو الخروج طلبا للرزق وحيث قد تضطر الظروف الأسرة بكيانها الى ترك الديار والتنقل طلباً للرزق، في ظل هذه الظروف الصعبة تتعرض الأسرة لخلل تام يعصف بها ويؤدي بها بعيداً عن القيام بدورها الاجتماعي الهام في تنشئة الأطفال ورعايتهم، فقد تجد الأم نفسها فجأة وقد أصبحت راعية للأسرة مما يجعلها تواجه مسئولية فوق طاقتها في زمن أصبحت فيه لقمة العيش هَمًّا يساورها صباح مساء ولما كانت الطبيعة قد قست فان الأم وفي مثل تلك الظروف لا تجد أمامها مفراً من الترحال والنزوح المستمر بأطفالها الذين بقوا على قيد الحياة.

ان مأساة الجفاف والتصحر التي أنتابت السودان في الأعوام القليلة الماضية وبصورة أعنف في العام السابق قد حصدت الأطفال بالآلاف حيث انحل عقد الأسرة فغياب الوالد أو وفاته أو حتى نزوح الأسرة براعيها عن ديارها لمسافات بعيدة وعبر طرق وعرة نضب معين حياتها وماتت فيها الخضرة وعبر تلك الدروب غالباً ما يتساقط الأطفال قبل الوصول الى الديار الجديدة وان معسكرات المليح والشيخ أبو زيد بأطراف مدينة أم درمان تحكي عمق المأساة حيث وارت الأسر الثرى فلذات أكبادها بعد أن أصبحوا هياكل عظمية مات عنها اللحم وجف فيها الشحم.

ان المعطيات التي أفرزتها ظاهرتا الجفاف والتصحر يصعب الحديث عنها في هذا الطور رغماً عن أن آثارها الملموسة الآن خطيرة وبالغة التعقيد وتنشأ الصعوبة من أن الآثار الاجتماعية لأي ظاهرة غالباً ما تحتاج الى بعض الوقت لتتبع آثارها غير أن المستقرىء للأحداث والمتتبع للآثار يجد أن المشكلات الاجتماعية التي أفرزتها الظاهرة تستفحل في الأعوام القادمة بدرجة تدعونا الآن الى دق ناقوس الخطر، وباستقراء الأحوال نقول أن الآلاف من الأسر قد فقدت العائل اما بالموت أو النزوح وهنالك الكثير من الأسر التي تشتت شملها وحتى أولئك الذين لم تفرقهم المحنة فانهم يجتمعون على الفقر والعوز وحينما يصبح رب الأسرة عالة على غيره فان الأثر الاجتماعي لا يخفى على أحد، وفي حالات أخرى تجد الأم نفسها وحيدة لتواجه مسئوليات لا قبل لها بها، حيث تقوم بدور الأم والأب

معاً، وذلك فضلا عن ظاهرة الأطفال المشردين الذين اما ضاقت بهم الأسرة أو ضاقوا هم بها فتركوها سعياً وراء العيش فاذا أخذنا معتمدية الخرطوم كمثل لتلك الظاهرة نجد أن تعداد المشردين في أواخر ١٩٨٤م قد بلغ (١٢,٥٠٠) طفل، وقفز هذا العدد الى (٢٤,٢٠٠) طفل بحلول عام ١٩٨٥م ويعيش هؤلاء على التسول، وتدل هذه الاحصاءات على أن العدد تضاعف نتيجة للجفاف والتصحر الذي ضرب مناطق كثيرة بالبلاد.

هذا الى جانب أن هناك الكثير من التلاميذ تركوا مدارسهم خلال الفترة الماضية ولقد ضاع من عمرهم عام دراسي كامل، ويمكن أكثر من عام عند البعض منهم، وقد تستمر الظروف وتمنع بعضهم من الاستمرار في المدرسة حيث أن كل الظروف تعوق مواصلة الدراسة ومنها:

١ ـ الحالة الصحية للتلاميذ.

٢ ـ الحالة الغذائية لهم.

٣ ـ حاجة الأسرة في هذه الظروف لجهود كل أفرادها لتوفير مقومات الحياة.

٤ ـ وسائل الترحيل من والى المدرسة التي كان يستعمل لها الدواب ولقد نفق الكثير منها

الاقتراحـــــات

١ ـ لما كان الانسان بسوء استخدامه واستغلاله غير المرشد للموارد الطبيعية عن جهل سببا في مظاهر التصحر والذي يمر به السودان في الوقت الحاضر فلابد من توعيته وارشاده بكل الطرق والوسائل المتاحة مع ابراز الآثار المدمرة التي تركها التصحر وكيفية الوقاية منها

٢ ـ العمل بكل الوسائل للتقليل من قطع الأشجار والغابات لتوفير حطب الحريق ،وذلك بتخصيص مناطق معينة حول معسكرات اقامة السكان لقطع حطب الوقود بصورة مرشدة، مع اقامة سياجات حول أشجار ونباتات السافنا ما أمكن ذلك.

٣ ـ وضع خطة بحثية تكاملية في مجال تحسين المراعي وتنمية الغابات وتطوير ادارة الموارد المائية واتباع الطرق العلمية في تخزين مياه الأمطار واستغلالها الاستغلال الأمثل، وايجاد عينات من نبات المراعي ذي القيمة الغذائية العالية وله القدرة على مقاومة الجفاف

٤ ـ تخطيط مشروعات لحماية وتنمية المراعي حول مصادر المياه المستديمة واقامة دورات رعوية في عدة مناطق على أن يتحول المرعى اليها عاماً بعد آخر حتى لا ترهق مناطق بعينها وحفظاً للأغطية النباتية التي تثبت التربة وتحفظ خصوبتها.

٥ ـ اعادة تعمير الغابات ووضع برنامج متكامل لتشجير كل المناطق التي تأثرت بالتصحر والجفاف وذلك بادخال العينات المقاومة للجفاف واشراك المواطنين في ذلك.

٦ ـ كشفت هذه الدراسة أن كثيراً من الأمراض الوبائية يتفشى وسط الأطفال في المناطق التي تضررت بالتصحر والجفاف في المعسكرات الأمر الذي يعوق نمو الأطفال واكتسابهم الصحة الجيدة وقد يعوق التلاميذ منهم مستقبلا عن الانتظام في الدراسة وأن الخدمات العلاجية والوقائية محدودة للغاية ولا تقوى على تقديم العلاج الكامل لهم وبالصورة الفعالة فان من الضروري تعزيز هذه الخدمات عن طريق انشاء وحدات صحية خاصة بعلاج حالات المتضررين بالجفاف والتصحر في مناطقهم كلما أمكن ذلك.

٧ ـ كشفت الدراسة أيضاً أن سوء التغذية وأمراض سوء التغذية منتشرة بمعدلات متفاوتة وسط الأطفال بالمناطق المتضررة المختلفة وان خدمات سوء التغذية ونقص الغذاء الذي يعاني من قلة البروتين والسعرات الحرارية فهذا ما يستوجب تكثيف الخدمات وتقديم الغذاء للأطفال والأمهات أملا في تحسين هذه الظروف مستقبلا

٨ ـ أوضحت الدراسة أيضاً أن الأمراض الممكن الوقاية منها تعتبر الأساسية في وفيات الأطفال في السودان ومع زيادة النكبة التي ألمت بالبلاد زادت حدتها فان س الواجب تحصين كل أطفال

السودان حتي يمكن السيطرة على تلك الأمراض وتخفيض معدلات الوفيات.

٩ ـ ضرورة التوسع في خدمات ما قبل الولادة والولادة وما بعدها وخدمات الأمومة والطفولة كما ونوعاً خاصة في المناطق المتأثرة بالجفاف والتصحر ضماناً لسلامة الأم والطفل.

١٠ ـ أشارت الدراسة للترابط الوثيق بين حدوث الأمراض وسط الأطفال في سن مبكرة وجهل الأمهات في ممارسة تربية الأطفال وتغذيتهم، فيجب تعزيز نشاطات التوعية الصحية وسط الأمهات بالأقاليم المتأثرة بالتصحر

١١ ـ بالنسبة للأطفال الذين سببت الكارثة لهم وضعاً اجتماعياً جديداً في المجتمع باعتبارهم أصبحوا أيتاماً لابد س معالجة وضعهم حسب ظروف كل منطقة

١٢ ـ تقديم المساعدات الاجتماعية والضمانات للأرامل سن ذوات الأولاد.

١٣ ـ تقديم الخدمات التأمينية وسرعة البت في المساعدة التي تعين الأسر المنكوبة على مواجهة ظروف الحياة.

١٤ ـ مساعدة الأسر المتضررة في انشاء مشروعات انتاجية صغيرة ذات العائد المادي الذي يمكنها س توفير متطلباتها والاعتماد على نفسها في معيشتها وذلك بمناطقها السابقة كلما أمكن ذلك.

١٥ ـ قيام مشروعات تنمية المجتمعات المحلية بالمناطق التي أصابها التصحر والجفاف بغية اعادة الحياة لها مع استغلال كل ما تبقى من موارد بها.

١٦ ـ توظيف كل قدرات المتضررين والعمل على تنميتها لتطوير البيئات المحلية وذلك بمشاركتهم في انجاح مشاريع التنمية الريفية.

١٧ ـ تقويم هذه التجارب التي اكتسبها السودان خلال فترة الكارثة ودراسة كل جوانبهاالايجابية والسلبية للاستفادة منها في تطوير عمليات الاغاثة في المستقبل خاصة اذا علمنا أن هذه المشكلة لم تكن مؤقتة بل مستمرة ما دامت المجتمعات موجودة.

المراجـــــع

١ ـ الاحصاء التربوي للعام الدراسي. وزارة التربية والتعليم. عام ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤م.

٢ ـ ادارة النشر التربوي. وزارة التربية والتوجيه

٣ ـ الماء للجميع. مشروع في كردفان السودان. اليونسيف عام ١٩٨٢م.

٤ ـ أوراق المؤتمر القومي الأول للسكان. اللجنة القومية السودانية للسكان. عام ١٩٧٤م.

٥ ـ تقرير حول التصحر والجفاف باقليم دارفور ادارة البحث مصلحة الرعاية الاجتماعية عام ١٩٨٥م غير منشور

٦ ـ تقرير حول التصحر والجفاف باقليم كردفان. ادارة البحث. مصلحة الرعاية الاجتماعية عام ١٩٨٥م. غير منشور

٧ ـ التقرير السنوي الاحصائي. وزارة الصحة والرعاية الاجتماعية عام ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤م.

٨ ـ دراسة استطلاعية عن المتأثرين بالجفاف والنازحين للعاصمة القومية اللجنة العليا لرعاية المتأثرين بالجفاف والنازحين بالعاصمة القومية عام ١٤٠٥هـ. غير منشورة.

٩ ـ السودان دراسة في الوضع الطبيعي والكيان البشري والبناء الاقتصادي. الدكتور محمد محمود الصياد والدكتور محمد عبدالغني سعودي. عام ١٩٦٦م.

١٠ ـ عناصر استراتيجية لتنمية الطفل العربي. جامعة الدول العربية عام ١٩٨٠م.
١١ ـ مكتب تنسيق برامج مكافحة التصحر ووزارة الزراعة والري. مجلة التصحر المجلد الثالث عام ١٩٨٥م

مكتبة الأمنية

طبعت بالمطابع الأمنية بدار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب
بالرياض ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م

صف الغلاف
بالكمبيوتر
الأستاذ

المكتبة الأهلية

FR 40 /111